المجلس الأعلى للثقافة

المسائل الرئيسية في الفلسفة

تأليف
A. J. AYER

ترجمة
أ. د. محمود فهمي زيدان

القاهرة
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

ZUM ARABERBILD IN DER BUNDESREPUBLIKANISCHEN PRESSE AM BEISPIEL DES IV. NAHOSTKRIEGES

Inaugural-Dissertation
zur
Erlangung der Doktorwürde
vorgelegt
der
Philosophischen Fakultät
der
Rheinischen Friedrich-Wilhelms-Universität
zu Bonn

von
SAMI FAYEZ KHALIL MUSALLAM
aus
JERUSALEM/Palästina

Bonn 1976

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة
عن اتجاهات يتبناها مركز دراسات الوحدة العربية»

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» ـ شارع ليون ـ ص . ب : ٦٠٠١ ـ ١١٣ ـ بيروت ـ لبنان
تلفون : ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧ ـ ٨٠٢٢٣٤ ـ برقياً : مرعربي ـ تلكس : ٢٣١١٤ مارابي .

الطبعة الاولى : بيروت : شباط/فبراير ١٩٨٥
الطبعة الثانية : بيروت : حزيران/يونيو ١٩٨٦

توطئة

هذه الدراسة في اصلها رسالة جامعية بدأ العمل بها مباشرة بعد اندلاع حرب تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣ في جامعة بون في المانيا الاتحادية، وذلك بناء لاقتراح من الاستاذ هانس ادولف ياكوبسن استاذ ورئيس معهد العلوم السياسية في الجامعة. وكتبت هذه الدراسة تحت اشرافه وعنايته، وذلك لاهتمامه بهذا النوع من الدراسات، اي تلك التي تدرس نظرة الشعوب الى بعضها والعوامل التي تؤثر في تكوين صور الشعوب عن بعضها، وتلك التي تؤثر في خلق الصور المقوّلبة والنمطية او تغييرها. وقد انتهى العمل في هذه الدراسة في اواخر خريف ١٩٧٥.

الهــــــدف

هدف هذه الدراسة تحليل التغطية الصحفية لأهم جرائد المانيا الاتحادية منذ اندلاع حرب تشرين الاول/ اكتوبر وحتى نهاية عام ١٩٧٣. وكيف عكست هذه التغطية صورة العرب في نظر الالمان، وذلك من خلال تحليل مضمون المقالات التي نشرت حول الحرب. وهذا يعني ان هذه الدراسة هي دراسة حالة خاصة اي «case-study» جرت في حالة من حالات الازمات الشديدة (الحرب) في العلاقات الدولية. وبالتالي لا يمكن اطلاق الاستنتاجات التي توصلت اليها على دراسات مشابهة تتم في اجواء عادية او على الاقل لا تتم في اجواء من الأزمة الصارخة. الا اننا نرى ان النتيجة التي توصلت اليها هذه الدراسة مهمة بحد ذاتها، فقد استطعنا ان نصل الى نتيجة مفادها انه بسبب النجاحات الأولية التي حققها الجانب العربي في بداية الحرب فقد حصل تغيير ملحوظ ايجابي على صورة العرب خلال حرب تشرين الاول/ اكتوبر مقارنة مع تلك الصورة السلبية التي رسمت عنهم قبل الحرب. الا ان هذه الحالة لم تدم طويلاً حيث ما كادت تستعيد اسرائيل «المبادرة» العسكرية في ساحة الحرب من خلال ثغرة الدفرسوار وتقدمها على جبهة الجولان، حتى عادت الصحافة الالمانية الى الصور المقولبة القديمة عن العرب.

ان معالجة هذه الدراسة للصحافة الالمانية الغربية هو ما يميّزها عن مثيلاتها من الدراسات التي نشرت حول دور الصحافة في تكوين الرأي العام الغربي عن العرب عامة وعن القضية الفلسطينية خاصة، فقد عنيت تلك الدراسات اساساً بالصحافة الامريكية والانكليزية ومن ثم الفرنسية، ولم تعطَ الصحافة الالمانية الغربية الاهتمام الذي يليق بها بالرغم من تشّعب العلاقات السياسية والاقتصادية وكثرتها بين الدول العربية والمانيا الاتحادية من جهة، وبين اسرائيل والمانيا الاتحادية من جهة اخرى خاصة في العقدين الاولين من قيام دولة الكيان الصهيوني على ارض فلسطين.

المنهج والأقسام

ولقد اتبعنا في هذه الدراسة اسلوب تحليل المضمون النوعي (او الكيفي) وليس تحليل المضمون الكمي كأداة لتحديد تكوين الصور والصور المقولبة والتشبيهات والاحكام المسبقة عن العرب في صحافة المانيا الاتحادية. ومن اجل ذلك قسّمنا المقالات قيد البحث الى موضوعات تم تحليلها، وهي الموضوعات نفسها التي تظهر في عناوين الفصلين الثالث والرابع من هذه الدراسة. كما ان انتقاءنا لتحليل المضمون النوعي، لا يعني استثناء اساليب اخرى من البحث العلمي. فمن اجل ان نحصل على معلومات مفصّلة عن الصحفيين وخلفياتهم الاجتماعية والدراسية والوظيفية اعتمدنا استمارة حاولنا من خلالها ان نحصل على اجابات المعنيين بالدراسة.

تنقسم هذه الدراسة الى مقدمة وخمسة فصول. تعطي المقدمة تعريفاً اولياً بالمشكلة القائمة في العلاقات العربية الالمانية التي يمكن تلخيصها بكلمتين وهما: «الصداقة التقليدية» التي لا نجد لها اثراً في العلاقات على ارض الواقع، ثم تقديم لمحة عامة وسريعة للمشكلة النظرية التي تعرضنا لها حالياً، وهي تحليل المضمون النوعي والكمي وكذلك تكوين الصور.

ترتبط هذه المقدمة ارتباطاً وثيقاً بالفصل الاول المعنون «ملاحظات اولية حول صورة العرب في الصحافة الالمانية الغربية» والذي يشكل مدخلاً لشرح التأثيرات النفسية والسياسية على العرب، الناجمة عن التمييز الكبير ضدهم في صحافة المانيا الاتحادية. ومن هنا يعالج هذا الفصل العوامل المكونة والمقررة للصورة العربية في مخيلة الالماني الغربي. ولكي تكون دراستنا مبنية ـ قدر المستطاع ـ على البيانات الاحصائية والمقابلات الشخصية والصحفية مع العاملين في الصحافة الالمانية الغربية المختصين بشؤون الشرق الاوسط، كان لا بد من استعراض اهم الادبيات حول دور وسائل الاعلام في تكوين «الصور في عقولنا»، حيث انتقلنا بعد ذلك الى تحليل المضمون والمقابلة الصحفية والصحفيين الذين ندرس كتاباتهم.

لا يمكن تكوين صورة مكتملة ـ قدر الامكان ـ عن العرب من خلال المقالات التي نشرت عن حرب تشرين الاول/ اكتوبر الا اذا رجعنا الى الوراء قليلاً لدراسة العلاقة

التاريخية القائمة بين المانيا والعرب منذ مطلع القرن مستعرضين اهم ما نشر من ادبيات حول العرب في الصحف الالمانية الغربية حتى نشوب حرب تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣. وهذا هو ما يحتويه الفصل الثاني.

اما الفصلان الثالث والرابع فهما يشكلان متن الدراسة من حيث تحليل المضمون النوعي للمقالات حول العرب خلال الفترة مدار البحث وقد تم تقسيمها الى موضوعات كما ذكرنا. وقد فصلنا ما كتب عن التغيير الطارىء في الصورة العربية نتيجة سير المعارك. ومن ثم العودة الى الصور المقولبة (الفصل الثالث) وما كتب عن القضية الفلسطينية من وجهة نظر هؤلاء الصحفيين المعنيين، وما نتج عن ذلك من صور واحكام مسبقة حول النضال الفلسطيني والمشاركة الفلسطينية في هذه الحرب (الفصل الرابع).

اما الفصل الخامس والاخير فهو تلخيص شامل للدراسة حيث لخصنا العناصر ذات الابعاد الجوهرية في تحديد الصور، والصور المقولبة والاحكام المسبقة التي تغيرت من جراء الكفاءة القتالية للعرب في الحرب او تلك التي بقيت على حالها. بمعنى آخر، لقد حاولنا ايجاد فئات تحليل في هذه الدراسة تمكّننا من فهم هذه التغييرات التي طرأت على الصورة العربية.

ويبقى ان نشير هنا الى ملاحظتين:

الملاحظة الاولى: انه في هذه الدراسة، تم استبعاد مجموعة الجوانب والمواضيع ذات الطبيعة المهنية والاكاديمية التي تتطلبها رسالة الدكتوراة. ومن هنا تم اسقاط فصل كامل منها هو الفصل النظري الذي يعالج موضوعة تحليل المضمون وموضوعة التأثيرات الاجتماعية النفسانية «Socialpsychological» على العلاقات الدولية. وان كان هذا الفصل النظري ضرورياً في رسالة الدكتوراة ليبرهن على امكانية الطالب على البحث العلمي اساساً والاسترشاد به، فإننا لم نر ضرورة لابقائه في متن هذه الدراسة. وقد استعضنا عنه بتقديم الخلاصة الاساسية التحليلية فيه للقارىء العربي.

كما اننا اسقطنا من هذه الدراسة ملحقين اضيفا الى الفصل الرابع، **الاول** بعنوان: «الممارسات الاسرائيلية في الاراضي المحتلة»، والثاني بعنوان: «اسباب المسألة الفلسطينية».

ان اسقاطهما من الدراسة لا يعني اننا لم نعد نعتقد بما جاء فيهما، بل على العكس فإننا نرى صحة ما جاء فيهما واهميته، ولكن السبب الرئيسي وراء وجودهما في النص الالماني هو كشف النقص المتعمد لدى القارىء الالماني، ذلك النقص الناجم عن التشويه المتعمد حول القضية الفلسطينية ونضال الشعب الفلسطيني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، كما ان وجودهما يعطي للقارىء الالماني امكانية المقارنة بين ما يقدم له وبين حقيقة الامور. اما بالنسبة للقارىء العربي فلا نعتقد ان الممارسات الاسرائيلية التعسفية والاجرامية ولا اسباب نشوء القضية الفلسطينية يخفيان عنه. ومن هنا رأينا استثناء هذين الملحقين من النص العربي لهذه الدراسة.

الملاحظة الثانية: هي ان هذه الدراسة كتبت اساساً باللغة الالمانية لا باللغة العربية. وهذا يعني، ضمن ما يعنيه، الالتزام في كثير من الاحيان بالترجمة الحرفية للنص الالماني على حساب التعبير العربي في الصياغة. ومن هنا قد يجد القارىء بعض الصياغات غير المألوفة، ومنه نلتمس العذر.

وختاماً لا بد لي من ان اخص بالشكر كل اولئك الاساتذة والاصدقاء، المانيين وعرباً، الذين ارشدوني الى البحث عن الحقيقة من خلال البحث العلمي. واخصّ بالذكر د. وليد الخالدي، الذي دفعني دفعاً الى هذا الميدان ووجهني مشكوراً سواء اثناء دراستي في الجامعة الامريكية في بيروت او في جامعة بون او خلال عملي في مؤسسة الدراسات الفلسطينية. ولجميع زملائي في هذه المؤسسة، الذين اطلعوا على هذه الدراسة وأبدوا تعليقاتهم ونقدهم وشرحهم عليها، الشكر والعرفان. وكذلك لا بد لي من ان اشكر الاستاذ هانس اودولف ياكوبسن الذي تبنى هذه الاطروحة ووجهني خلال الدراسة وارشدني حتى اتمامها، وكذلك اشكر الاصدقاء فولفهارد بيرنس وبيرغيت زومر على قراءة النص الالماني واضفاء الشرح والتعليق عليه.

اما مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت ومديره العام د. خير الدين حسيب وجميع العاملين الذين كانت لهم علاقة باخراج هذا الكتاب فلهم مني كل تقدير وشكر للرعاية والصبر اللذين تميزوا به قبل ايصال المخطوطة اليهم. ولولا الملاحظات والاستفسارات التي سجلوها عن النص العربي لهذه الدراسة لما كان اخراج هذا الكتاب ممكناً.

مقدّمة

يتولد، لأول وهلة، انطباع بعد قراءة المواقف الرسمية للساسة الالمان الغربيين ولنصوص البيانات الرسمية المشتركة الالمانية ـ العربية بأن اي تغيير منذ سنوات طويلة لم يطرأ على العلاقات بين جمهورية المانيا الاتحادية (ج أ ا) والبلدان العربية، بالرغم من التغييرات الطارئة بالفعل. وليس من الممكن ان يخفي الحديث عن «الصداقة القديمة» تلك التغييرات الواقعية: ان اقامة اسرائيل والعلاقات بينها وبين (ج أ ا) كانت عامل تأثير على العلاقات بين (ج أ ا) والبلدان العربية. ويمكن على سبيل المثال ان نرى ذلك التأثير في الكلمة التي القاها اويجن جيرستنماير (Eugen Gerstenmayer) لدى مناقشته موضوع التعويضات الالمانية لدولة اسرائيل في البوندستاغ (مجلس الشعب) الالماني الغربي عام ١٩٥٣، حيث يقول:

«إننا حريصون على الصداقة القديمة لألمانيا مع الدول العربية وما يمكن ان نقوم به من جانبنا من اجل تقديم المساعدة المعنوية والسياسية للنشاطات المتعلقة باللاجئين العرب هو امر يجب ان نقوم به. لكن الجسر الذي يتحتم علينا عبوره ـ كألمان ـ في هذا الموضوع لا يوصل بين اليهود والعرب ـ اولئك اليهود الذين لوحقوا وقتلوا باسم المانيا ـ وانما بين اليهود واسرائيل. اننا نحيي جهود الحكومة الاتحادية لتوطيد الصداقة الحميمة مع الدول العربية والعلاقات الاقتصادية المثمرة. الا اننا لا نستطيع ولن نسمح ان يؤخرنا اصدقاء المانيا العرب عن القيام بما يمليه علينا الضمير والشرف. وبذلك سيتأكد العرب كم هي موثوقة المانيا في المواقف الحرجة»(١).

تلك هي المفاهيم التي تنطبق منذ تلك المرحلة على جميع علاقة (ج أ ا) مع البلدان العربية. وقد كان لهذه المفاهيم تأثيرها الكبير على «تطبيع» صورة العرب كما تم تصويرها في صحافة ألمانيا الاتحادية.

---

(١) Rolf Vogel, *Deutschlands Weg Na Ch Israel: Eine Dokumentation* (Stuttgart: Seewald Verlag, 1967), p. 88.

وكما لا يمكن النظر الى علاقات المانيا الغربية بالبلدان العربية بشكل منفصل عن علاقاتها باسرائيل، كذلك لا يمكن النظر الى صورة العرب في الصحافة الالمانية بشكل منفصل عن الصراع حول فلسطين. وبهذا لا يمكن ان يعالج موضوع العلاقات والمواقف إلا من خلال التأثير المتبادل الذي يتركه اطراف الصراع على بعضهم، بصورة متداخلة ومعقدة.

ان النزاع من اجل فلسطين لا يؤثر على الصورة المطبوعة عن العرب في الصحافة الالمانية الغربية فحسب، وانما يؤثر ايضاً على الصورة والنظرة والوعي بين طرفي النزاع نفسهما سواء أكان ذلك في صراعهما المتبادل ام في علاقة كلّ منهما بالعالم الخارجي. ولهذا يشير ادوارد سعيد استاذ اللغة الانكليزية والادب المقارن في جامعة كولومبيا الامريكية بقوله، «لقد اختار الغرب والاسرائيليون بعضهما بعضاً لخوض صراع تترسخ جذوره مع مرور كل عام بشكل اعمق عبر العذاب والمهازل، والصراع»، ويقول ايضاً: «ان اي عربي اليوم لا يمتلك الشخصية التي لا تعي الوجود اليهودي (في ذاتها) او يمكنها من استبعاد اليهودي كعامل نفسي في الشخصية العربية. كما اعتقد بأنه لا يمكن لأي يهودي ان يتجاهل العربي بشكل عام او ان يتبحر في تراثه القديم اذا حاول تجاهل الوجود العربي الفلسطيني وبما تعرّض اليه على يد الصهيونية»(٢).

ومن ثم، لا يمكن تقديم تحليل لصورة العرب في صحافة المانيا الاتحادية يكون وافيا وموضوعياً، دون اجراء مقارنة بما ينشر من اخبار وتعليقات صحفية عن اسرائيل في تلك الصحـافـة او دون تحديد الصورة التي ترسمها اسرائيل. وايضاً دون محاولة تفسير صورة العرب في صحافة المانيا الاتحادية لاظهار ما اذا كان ثمة تبدلات جوهرية في هذه الصورة نتيجة الانجازات التي حققها العرب في حرب تشرين الاول/ اكتوبر.

بيد انه، قبل ذلك كله، وحتى يستقيم متن النص مع ما نحاول ان ننتهي اليه، لا بد من ابراز الطرائق الاساسية في البناء المنهجي للبحث بما قد يفضي الى إضعاف احتمالات التأويل، والاجابة مسبقاً عن تساؤلات مشروعة بشأن هذه الطرائق.

بداية، درجنا في هذا البحث على استعمال مصطلح «تحليل المضمون» عوضاً عن «تحليل المحتوى» لشمولية الاول وامتداد ابعاده نسبة الى الثاني. وثمة وراء هذا المصطلح طريقة بحثية ذات سمات لا يمكن القفز عنها او التخفيف من اعبائها،لعل اولّها «الموضوعية» التي تتـطلب انتقـاء عيّنات ذات صفة تمثيلية للنصوص موضوع البحث لاجراء التحليل عليها. وثانيها النجاح في قضية الترميز خلال اجراء التجارب في تحليل المضمون. وثالثها «المصداقية» محددة بانتقاء الاصناف ووحدات الاقوال التي سيتم بحثها «وفق المدى الذي تقيس به الأداة ما تريد قياسه»(٣). ورابعها «المنهجية» وهي التمسك بقواعد ثابتة لاختيار او اسقاط

---

(٢) Edward W. Said, «Arabs and Jews,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 3, no. 2 (Winter 1974), p. 3.

(٣) Heinz Hartmann, *Empirische Sozialforschung : Probleme und Entwicklungen* (München: Juventa Verlag, 1972), p. 71.

وحدات الاقوال موضوع البحث، وآخرها «العمومية» باعتبار المعلومات الوصفية غير المتعلقة بالمضمون او بالشروط الظرفية او الشخصية للاقوال موضوع البحث.

وليس من النافل الاشارة الى ان ثمة جدالاً قد خيض بين منظّري «تحليل المضمون» فهل يكون «تحليل المضمون كمياً او نوعياً»؟ ان ممثلي المنهج الكمي مثل لا سويل وليرنر وبوول لا يرون اي معنى لتحليل المضمون ان لم يتمكنوا من الاجابة عن السؤال الذي تتم معالجته بطريقة كمية.

لكن ادورنو وهوركهايمر يقولان «ان تحليل المضمون الكمي يصف الحالة القائمة بدلاً من ان يضعها موضع تساؤل. وعندما يضع الباحث العالم المشكلة بكامل اوجهها موضع التساؤل بها في ذلك هدفها ـ طريقة البحث ـ يمكننا عندئذٍ فقط ان نتكلم عن وجود تحليل نقدي».

ونحن نرى ان طريقة ادورنو الديالكتيكية، في تحليل المضمون النوعي، التي ترتب النص او المشكل في اطاره المجتمعي هي طريقة اكثر وجاهة وثباتاً من تلك التي ينتهجها اتباع تحليل المضمون الكمي الذين يتراكضون لاصطياد المعلومات الاحصائية للمسائل الاجتماعية وضمها لابحاثهم.

ونرى ايضاً ان الجدل بين اتباع المنهجين هو في الاساس جدل حول ما يجب تحليله في اي نص قيد البحث، اي انه جدل حول المضمون الظاهري والباطني. ونستشهد هنا بما أكده ادورنو من «ان ابسط مطلب للبحث الاجتماعي التجريبي هو مواجهة جميع الاقوال حول الوعي الذاتي للانسان، وغير الذاتي ايضاً، للبشرية، بالمعطيات الموضوعية لوجودها»(٤). وقول كراكوار: «ان تحليل المضمون النوعي لا يمكن ان يتم بطريقة كمية لأن العدد الضخم من التصنيف المطلوب في الطريقة الكمية لا يمكن ان يعطي النتائج الهامة»(٥).

بناء على ذلك اتجهنا الى محاولة القيام بتحليل للمضمون النوعي لما بين ايدينا، حيث سنرتب المحتويات، موضوع الاختيار، في مجالها المجتمعي، كما سنتبين ذلك فيما بعد، واذا كان ثمة في صحافة المانيا الاتحادية تغييب او اخفاء لبعض المشكلات برمتها في الكتابة عن العرب، فإن هذا بدوره يسهم في تأسيس صورة العرب في المانيا الاتحادية، وذلك كما سنحاول تبيانه، يعود الى خلفية مجتمعية محددة تتكامل عناصرها لتتكشف في اتجاه معين اياً كانت مناحيه وفروعه.

وتوطئة لما يشمله بحثنا من احتكاك ومعالجة للصورة العربية الراهنة في المانيا الاتحادية، وتطور هذه الصورة، لا بد من معالجة سريعة للمفاهيم والقواعد المتعلقة بنشوء الصور المقولبة وتطورها والتشبيهات والاحكام المسبقة، اقراراً بمركزية التأثير واهمية الدور

---

(٤) M. Horkheimer und Theodor Adorno, *Soziologica II* (Frankfurt/Main: Reden und Vorträge, 1973), p. 219.

(٥) Siegfried Krakauer, «The Challenge of Qualitative Content Analysis,» *Public Opinion Quarterly*, vol. 16, p. 632.

الذي تلعبه هذه الصور والاحكام لدى الافراد والجماعات والامم متمثلة في سلوكها واتجاهاتها.

ان الاحكام المسبقة و«الصور المقولبة» و«التشبيهات» ليست الا جوانب جزئية من مصطلح اساسي اكثر شمولاً هو «المواقف»، سواء أكانت هذه المواقف في حالة «الادراك» او في حالــة «الانفعــال» او في «النـزوع» وليس ثمـة تبـاين ملحـوظ من هذه الجـوانب الاصطلاحية. ان اوتا كواستهوف تعرِّف الصور المقولبة بأنها «التعبير اللفظي لاقتناع موجّه الى جماعة اجتماعية او الى فرد من افرادها، ومن ناحية الشكل المنطقي فهي تبدو حكماً تمنح طبقة من الاشخاص او تمنع عنها صفات محددة او طرقاً مسلكية معينة بطريقة مبسطة تعميمية غير مسوغة ومغلفة بقيم عاطفية، ومن الناحية اللغوية فإنه يمكن التعبير عن ذلك في جملة واحدة»(٦).

وفيما يعرّف ايرل ديفيس الحكم المسبق كالآتي: «ان الاحكام المسبقة مواقف سلبية او رافضة تتخذ تجاه شخص او جماعة من الاشخاص حيث تحصل هذه الجماعة بسبب المواقف المقولبة على صفات محددة اصلاً، يصعب جداً تصحيحها بسبب الجمود والعناء والشحنات الانفعالية حتى لو تمّ التعايش مع تجربة مناهضة للحكم المسبق»(٧).

المصطلحان متجانسان اذن، ويكفيان لتحديد ماهية المواقف بين الامم والشعوب والافراد، فيما فيض كبير من الادبيات يحدد قنوات نشوء هذه المواقف والصور والاحكام، ويحمّل وسائل الاتصال وسبل التربية ومناحي الثقافة وجوانب العلوم والبحوث والدراسات والبرامج الاذاعية والمسرحية وغيرها، دوراً مهماً في تأسيس هذه المواقف وتعميمها، بحيث يمكن القـول إنه من الممكن التخفيف من حدة الاحكام المسبقة من خلال الاتصالات المباشرة بين المنتمين الى هذه الجماعة او تلك او هذه الامة او تلك. ورغم ذلك ينبغي الاشارة الى عامل مقصدي مهم هو ان القادة السياسيين لا يتأثرون بصور الامم الموجودة فقط، بل هم يؤسسونها لأغراض سياسية بهدف تعبئة المؤيدين لهم، او لصرف الجماهير عن المشكلات الداخلية(٨).

وإذا كان من الضروري التحديد الوثيق لـ «صورة الامم» فإنه ينبغي العودة الى ما قاله ميتشل وبفيلر «ان صورة الامم، اي الصورة التي تكونها امة عن امة اخرى، ليست حاصل توحيد او تجميع لصورة الامم التي يمثلها كل فرد من افراد هذه الامة عن امة اخرى. هي جزء لا يتجزأ من سلوك

---

(٦) Uta Quasthoff, *Soziales Vorurteil und Kommunikation : Eine Sprachwissenchaftliche Analyse des Stereotyps* (Frankfurt/Main: Athenäum-Fisher Taschenbuch-Verlag, 1973), p. 28.

(٧) Earl E. Davis, «Einige Grundkenntnisse der Vorurteilsforschung,» in : Klaus Dieter Hartmann, *Vorurteile, Ängste , Agreessionen* (Frankfurt/Main: Europäsiche Verlagsanstatt, 1975), p. 43.

(٨) Kenneth Boulding, «National Images and International Systems,» in: James Rosenau, ed., *International Politics and Foreign Policy: A Reader in Research and Theory* (New York: Free Press of Glencoe, 1961), p. 392.

هذه الامـة تجاه تلك، ويتم تحديد الصـور داخـل الامة عبر فترة اتصال تطول الاجيال اللاحقة. وليس بالضرورة ان تكون الصـور موحدة داخل الامة. انما بناءً على طبيعة المصلحة وعلى التجارب المختلفة المعينة، يمكن لهذا الجزء او ذاك من الصورة المقولبة ان يظهر بوضوح اكبر او يبرز لدى هذه الطبقة او تلك او لدى هذه الجماعة او تلك. وفي ابعد الاحتمالات يمكن ان توجد ايضاً داخل الشعب الواحد مواقف متباينة تجاه شعب آخر، وهو ما يحمل في طياته مؤشراً للتفسخ الداخلي»(٩).

ونستطيع ان نضيف ان احد العوامل المهمة في نشوء الصور المقولبة، انما هو النقص في الاتصال الصريح بين الامم او بين امتين معنيتين. ان مثل هذا الاتصال، ومن خلاله فقط، يمكن ان يصل المرء الى صورة عن الذات وعن الآخرين، قريبة من الواقع والحقيقة.

---

(٩) Jörg Peter Mentzel und Wolfgang Pfeiler, *Deutschlandbilder: Die Bundesrepublik Aus der Sicht der DDR und der Sowjetunion* (Düsseldorf: Droste Verlag, 1972), p. 56.

الفصل الأول

ملاحظات أولية حول صورة العرب في الصحافة الالمانية الغربية

يأخذ معظم العرب المستوطنين في جمهورية ألمانيا الاتحادية على الصحافة الالمانية الغربية تحيّزها ضد الوطن العربي، وتحاملها عليه، في معالجة شؤونه. ان هذه المؤاخذة العربية لم تأتِ من هؤلاء العرب المستوطنين فحسب ـ وهم محقون في ذلك كما سيظهر في بحثنا ـ وانما أتت ايضاً من السياسيين العرب والعلماء الباحثين خارج ألمانيا الاتحادية. ولقد اتهم الرئيس الراحل عبد الناصر في مؤتمره الصحفي الذي عقده في القاهرة يوم ٢٨ ايار/ مايو ١٩٦٧ صحافة المانيا الغربية بالانحياز لصالح اسرائيل[١]. ولم تكن هذه هي المرة الاولى التي يعيب فيها الرئيس الراحل على صحافة المانيا الاتحادية تحزّبها وتحاملها. فقد وجه عبدالناصر رسالة الى السكرتير العام السابق للحزب الشيوعي السوفياتي نيكيتا خروتشوف اشار فيها الى التحامل والتحزّب وتشويه الحقائق التي طالما دأب الصحفيون الغربيون عليها. . عندما «تخذلهم»[٢] الحقيقة. وفي اثر تلك الاتهامات التي كالها الغرب الى مصر عام ١٩٥٨ من انها تتدخل في النزاع الدائر يومذاك في لبنان نصح الكاردينال مار انطونيوس بولس المعوشي ـ المعارض في ذلك النزاع آنذاك ـ الصحفيين الاجانب قائلاً: «افتحوا عيونكم جيداً وقدموا لشعوبكم المعلومات الصحيحة»[٣].

في ضوء استشراء ذلك التحامل والانحياز الذي شهده الطلاب العرب ـ ومن بينهم الطلاب الفلسطينيون ـ الدارسون في المانيا الاتحادية ضد وطنهم العربي وضد قضيتهم الفلسطينية اصبح العمل الاعلامي جزءاً من نشاطهم للعمل على إلقاء الضوء على قضاياهم الوطنية، وخاصة القضية الفلسطينية، امام الشعب في المانيا الاتحادية. ومن هنا كان العمل

---

(١) دي فلت (Die Welt)، (٢٩ ايار/ مايو ١٩٦٧).

(٢) محمد حسنين هيكل، عبد الناصر والعالم (بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٧٢)، ص ٢٠٤.

(٣) الاهرام (القاهرة)، ٣١ / ٥ / ١٩٥٨، ص ٩.

الاعلامي اهم الانشطة التي كان يقوم بها الاتحاد العام لطلاب فلسطين والاتحاد العام لعمال فلسطين على ساحة المانيا الاتحادية. وقد كتب محمود اللبدي وكان رئيساً لاتحاد الطلاب عام ١٩٧٢، عندما اصدرت السلطات الالمانية قرار الحظر ضد الاتحادين العربيين الفلسطينيين(٤) مقالاً يفضح فيه تحامل الصحافة الالمانية الغربية وتعصّبها، جاء في المقال:

«يُستفز الانسان الفلسطيني يومياً من خلال الصحافة المنحازة لصالح اسرائيل. بيد ان المرء يعجب للطريقة التي يتم فيها تشويه الحقائق بأسلوب يطمس ذكر مصير الشعب الفلسطيني. وقد دأبت صحافة شبرنغر Springer على تصوير العرب مجرد رعاة جمال وبرابرة وانتقصت من كرامتهم ومثلهم الانسانية، واعتبرتهم مجرد حمقى وخاملين وكسالى بينما راحت تضع الاسرائيليين في الجانب المشرق من الصورة. ووصفتهم بأنهم اوروبيون متطورون وقادرون على تحويل الصحارى الى جنات خضراء»(٥).

في مثل هذه الاوضاع وجد العمال والطلاب الفلسطينيون ان من واجبهم تنظيم انفسهم «للتوصل الى مخاطبة الرأي العام والشعب في المانيا الاتحادية حول قضاياهم الاجتماعية والقومية»(٦). إن الحظر الذي فرضته الحكومة الاتحادية في ألمانيا ضد الاتحاد العام لطلاب فلسطين والاتحاد العام لعمال فلسطين، قد اعاق هذا النشاط ولكنه لم يستطع ان يشله. وكان لا بد من ان نتساءل: هل هذه الاتهامات والشكاوى التي يرفعها الجانب العربي صحيحة ومحقة؟ ان المثلين اللذين نوردهما ادناه يؤكدان صحة هذه الاتهامات.

قدَّر اشار بن ناتان، السفير الاسرائيلي السابق لدى ألمانيا الاتحادية بعد حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧، للصحافة الالمانية الغربية، تقديراً عالياً لدعواتها عن «الحرب المطابقة للحقيقة». قال: «ان الصحف في ألمانيا الاتحادية اذا ما كتبت عن انتصاراتنا الكبيرة فإنها تعبر عن رضاها. وكان هذا في الواقع امراً متوقَّعاً بعد هذه الحرب. ولكن ما سرني هو ان هذه الصحف قبل التهديد الكبير لاسرائيل، وخلاله، اتخذت موقفاً واضحاً حول وجود اسرائيل المهدَّد. وفي هذا المجال تحدثت الصحف الالمانية عن ميونخ جديدة. وقد فهمت الوضع بشكل صحيح. واتخذت جميع الصحف المسؤولة في المانيا الاتحادية حتى تلك اللحظة موقفاً واضحاً. ومما يسرني ان الرأي العام الالماني قد توصل الى المعلومات المطابقة للحقيقة في كل مرحلة من مراحل النزاع من خلال الصحافة والراديو والتلفزيون وقد كانت الحقيقة افضل عون لنا ونحن بحاجة اليها الآن حتى بعد نهاية العمليات العسكرية»(٧). لذا فإن اتهام الطلاب العرب للصحافة الالمانية الغربية بالانحياز لصالح اسرائيل هو اتهام له اسسه.

---

(٤) في يوم ٣ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٢ حظر الاتحاد العام لطلاب فلسطين والاتحاد العام لعمال فلسطين من قبل حكومة المانيا الاتحادية.

(٥) Hakam Abdel-Hadi et al., *BRD, Israel und die Palästinenser: Fallstudie zur Ausländerpolitik* (Köln: Pahl - Rugenstein Verlag, 1973), pp. 174 - 175.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٧٥.

(٧) دي فلت، ١٠ / ٦ / ١٩٦٧، ص ٦، كما ورد في: Kenneth Melvin Lewan, *Der Nahostkrieg in der Westdeutschen Presse* (Köln: Pahl - Rugenstein Verlag, 1970), p. 7.

تعتبر مؤسسة شبرنغر واحدة من اهم صانعي الرأي العام في جمهورية المانيا الاتحادية. فهي تمتلك عدداً كبيراً من الصحف. ويصل رأي هذه المؤسسة من خلال الصحيفتين الكبيرتين اللتين تصدرهما: صحيفة «بيلد تسايتونغ» وصحيفة «دي فلت»، الى قطاع واسع من القرّاء من مواطني المانيا الاتحادية، وبالتالي فإنها تؤثر على مواقفهم فيما يتعلق بالقضايا العربية. ولو كان لهذه المؤسسة غير هذا الدور لأمكننا غض النظر عما جاء في خطاب «اكسل شبرنغر» صاحب هذه المؤسسة في القدس(٨) وهو قوله:

«طلبت الحكومة الاتحادية (في المانيا) في الخريف الماضي من معهد في جامعة معينة ان تحصل على جواب للسؤال التالي: هل يوجد في الصحف التي تصدرها مؤسستي رأي واحد وثابت؟ وقد نفى المعهد بعد ذلك، وبكل وضوح توفر التعبير الموحد في الرأي. غير ان هناك استثناءً وحيداً في الموقف هو تجاه اسرائيل، اذ ان جميع الآراء في صحفي متطابقة تماماً حوله. فهل هناك بعد هذا من يتهمني بذلك؟ اني اطرح هذا السؤال بكل اطمئنان. وعندما اعلنت هذه النتيجة بعد فترة وجيزة من ذلك في خطاب امام اصحاب المصارف والصناعيين الالمان صفّق الحاضرون لي تصفيقاً حاداً لعدة دقائق. وقال احد المنكتين الساخرين معلقاً: (لقد اصدر اكسل شبرنغر خلال حرب الايام الستة في المانيا صحفاً اسرائيلية طوال ستة ايام. ولكن حدسه التجاري وقف ـ بكل اسف ـ حائلاً دون اصدار هذه الصحف باللغة العبرية)»(٩).

ان من يقرأ هذه الاعترافات لا يعتريه العجب حول نتائج استطلاعات الرأي العام في المانيا الغربية، حيث نرى ان الاجابة عن السؤال الاستطلاعي التالي «مع من تتعاطف في هذه الحرب (حرب تشرين الاول/ اكتوبر؟ واجاب ٥٧ بالمائة من الذين طرح عليهم السؤال بأنهم يتعاطفون مع اسرائيل، وثمانية بالمائة يتعاطفون مع العرب، و٢٥ بالمائة لا يتعاطفون مع اي من الفريقين. وعشرة بالمائة لم يكن لديهم اي رأي»(١٠).

امام هذا الموقف من العرب يفرض السؤال نفسه حول العوامل المكونة والمقررة لهذه الصورة العربية في مخيلة الالماني العربي، اننا نرى ان اهمها هو العوامل الاستراتيجية والثقافية والاقتصادية.

---

(٨) H. Wallenberg, ed., *A. Springer von Berlin Ausgesehen, Zeugnisse eines Engagierten Deutschen* (Stuttgart, 1971), p. 115.

(٩) يبدو ان هذا الحدس التجاري قد خانه خلال حرب تشرين الاول / اكتوبر، فقد نشرت صحيفة دي فلت يوم ٢٤ / ١٠ / ١٩٧٣ خارطة سيناء وعليها اسماء الاماكن بالعبرية، وكان من المفروض ان تشير الى الوضع المتفوق للجيش الاسرائيلي، ولكن هذا لم يتم توضيحه للقارىء الالماني الذي لم يفهم الخريطة.

(١٠) Elisabeth Noelle and Erich Peter Neumann, eds., *Jahrbuch der öffentlichen Heinung, 1968 - 1973* (Allensbach, Bonn: Verlag für Demoskopie, 1974), p. 595.

في نيسان / ابريل ١٩٧٣ اي قبل حرب تشرين الاول / اكتوبر طرحت مؤسسة الاستطلاع نفسها سؤالاً مشابهاً حول تعاطف المواطن الالماني الغربي مع العرب او الاسرائيليين. وكانت النتيجة ٣٧ بالمائة مع الاسرائيليين و ٥ بالمائة مع العرب و٣٧ بالمائة محايدين و ٢١ بالمائة دون رأي. وبالامكان ايضاً مقارنة نتائج الاستطلاع نفسه على السؤال نفسه عبر سنوات ١٩٧٠، ١٩٧١و ١٩٧٢. انظر: المصدر نفسه، ص ٥٩٣ ـ ٥٩٤.

اولاً : العوامل المكونة لأبعاد هذه الصورة

لا شك في ان الاهمية الاستراتيجية للمنطقة العربية هي حقيقة ثابتة، وقد اعترفت بها جميع الدول العظمى في العصور القديمة، والوسيطة والحديثة. وقد شهد بها الفراعنة والآشوريون والبابليون والفرس واليونان والرومان والبيزنطيون والعرب والعثمانيون، والفرنسيون والبريطانيون بالامس. وتشهد بها الدولتان العظميان، الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي اليوم، نظراً لأهمية المنطقة الجغرافية وموقعها المركزي والتجاري والعسكري.

وقد حاولت كلٌ من هذه الدول، قديمها وحديثها، ولأسباب مختلفة ومتعددة ـ ليست مجال هذا البحث ـ السيطرة عليها والتحكم بمصيرها. كما ان هناك عوامل اخرى بالاضافة الى العامل الاستراتيجي، دفعت القوى العظمى الى التنافس والتناحر على المنطقة. وقد كانت المنطقة من الناحية التاريخية والثقافية والحضارية، مهداً للديانات الثلاث في العالم: اليهودية والمسيحية والاسلامية. كما جرت عليها خلال الالفي سنة الماضية الحروب الطاحنة في المنطقة نفسها وحولها وبسببها باسم هذه الاديان. خاصة الحروب الصليبية التي شنتها اوروبا المسيحية ضد العرب والاسلام في اوائل العصور الوسطى، ولم تكن ـ في الحقيقة ـ سوى تعبير عن النزاع على مناطق النفوذ بين القوى العربية الاسلامية وبين الدول الاوروبية.

ونظراً للموقع الاستراتيجي للشرق الادنى في العالم القديم، فقد كان مركزاً اساسياً للمواصلات، وقد سارت القوافل التجارية لنقل البضاعة من الدول الافرو ـ آسيوية الى اوروبا وبالعكس، مستخدمة موانئه البحرية وطرقه الملاحية. ان مركزية الشرق الادنى للارتباط والاتصال بين اوروبا والدول الافرو ـ آسيوية على الصعيد التجاري تلقي ضوءا ايضاً على دوره الثقافي بين هذه الدول.

وقد حافظ الشرق الادنى على ذخائر التراث الحضاري الثقافي القديم. واضاف اليها، وجدد فيها، ونقلها بدوره في حلله العربية الاسلامية الى اوروبا حتى طبع دوره الثقافي المؤثر في الحضارة الاوروبية الحديثة حتى يومنا هذا. وقد كان الشرق الادنى، ولا يزال، يلعب هذا الدور بحكم موقعه الجغرافي والسياسي، ومن هنا كانت مصر وفلسطين ـ بسبب موقعهما الاستراتيجي على البحر المتوسط والبحر الاحمر ـ هدفاً للاطماع والمآرب الكولونيالية والامبريالية. وقد اكد شق قناة السويس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الاهمية الاستراتيجية للمنطقة خاصة بالنسبة الى الاسواق والطرق التجارية الدولية، وبالطبع فإن اهمية هذا الممر البحري ـ الدولي بالنسبة لالمانيا الاتحادية كدولة اوروبية صناعية لا يخرج عن اطار هذه الاهداف الكولونيالية والامبريالية، خاصة اذا علمنا بأن قيمة الصادرات والواردات التي مرت خلال نيسان/ ابريل ١٩٦٧ اي قبل نشوب حرب حزيران/ يونيو بفترة قليلة عبر قناة السويس، بلغت مليون طن من البضائع التجارية. بالاضافة الى

هذا لا بد لنا من ان نركز على ما يؤكد اهمية الشرق الادنى للتجارة الدولية والمواصلات بين القارات، فيما يحتله موقعه الاستراتيجي ايضاً بالنسبة للملاحة الجوية الدولية.

ولقد ادى اكتشاف النفط في بلدان الشرق الاوسط الى تصاعد اهمية المنطقة الاستراتيجية، لا سيما وان ما يختزنه الشرق الاوسط من النفط يبلغ ٦٠ بالمائة من المخزون العالمي بالاضافة الى الاعتماد الرئيسي للدول الاوروبية (وغيرها من البلدان وفي مقدمتها اليابان) على نفط الشرق الاوسط، والمانيا الاتحادية من بين هذه الدول الاوروبية، حيث تحصل على ٨٠ بالمائة من احتياجها النفطي من البلدان العربية.

ان جميع هذه العوامل الاستراتيجية والجيوسياسية والاقتصادية والثقافية والمواصلات والنفط تؤكد اهمية الشرق الاوسط في العلاقات الدولية.

وكان من المفروض ان كل هذه العوامل مجتمعة يمكن لها ان تكون عاملاً لعلاقات افضل وتفاهم اعمق بين الدول في المنطقة من جهة، وبين العالم الخارجي من جهة اخرى، الا ان هذه الدول والقوى الاستعمارية لم تتردد - بالمقابل - في السيطرة الكاملة على ثروات الامة العربية، وإخضاع دول المنطقة الى احتكاراتها، وفرض التجزئة عليها. وقد يعود السبب الى ان هذه الدول والقوى الاستعمارية الامبريالية وجدت من المربح والمفيد لها ان تتعامل مع عدد كبير من الدول بدلاً من ان تتعامل مع دولة مركزية واحدة موحدة، تتعامل معها على قدم المساواة وعلى قدر كبير من الاستقلالية ولتسيطر اخيراً على هذه الثروات الضخمة في هذا الموقع الاستراتيجي المهم من العالم.

قد يكون تحليل الاوضاع الراهنة هذه تفسيراً كافياً لبدء عملية استعمار المنطقة من المحيط الاطلنطي الى الخليج العربي منذ عام ١٨٣٠ بدءاً بالاحتلال الفرنسي للجزائر وامتداده الى تونس فالمغرب بين الفترة ١٨٨١ و١٩١٤، والاحتلال البريطاني لمصر والسودان عام ١٨٨٢. وقد اقتسمت هاتان الدولتان الاستعماريتان، فرنسا وبريطانيا، باعتبارهما الدولتين العظميين آنذاك، بقية الدول العربية الاخرى ضمن الخلافة العثمانية حسب اتفاقية سايكس - بيكو عام ١٩١٦. وقد ازجت بريطانيا عام ١٩١٧ وعدها بمنح فلسطين للمنظمة الصهيونية، مما ادى - وبمشاركة بريطانيا ومساهمتها الفعالة بعد عام ١٩١٨ وخلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين - الى قيام دولة اسرائيل على جزء من الاراضي الفلسطينية. وقد امتدت السيطرة البريطانية الى العراق والاردن كما فرضت حمايتها على الامارات الواقعة على الخليج العربي، وعلى عدن. وكانت السيطرة الاستعمارية بموجب اتفاقية سايكس - بيكو قد شملت لبنان وسوريا. وانضمت ايطاليا الى هذه المنافسة الاستعمارية بعد احتلالها ليبيا عام ١٩١٤. لقد ارادت المانيا التي لم يكن لها نصيب - بعد ابتلاع الوطن العربي بين بريطانيا وفرنسا بالاضافة الى ايطاليا واسبانيا - ان تلحق بالركب الاستعماري ولو بشكل متأخر. وقد قررت ان تنضم الى هذا التنافس فهُرعت الى مد خط سكة الحديد بين برلين وبغداد، وهو المشروع الذي قامت به بالفعل، وانجزته قبيل بدء

الحرب العالمية الاولى[11].

هكذا فرضت تجزئة وحدة الوطن العربي وظلت قائمة حتى يومنا هذا رغم تراجع الدول والقوى الاستعمارية واضطرارها الى الجلاء عن جميع الاقطار العربية. وقد رأت الدول الغربية - ولا تزال ترى - في اية محاولة وحدوية بين البلدان العربية تهديداً للغرب، يجب كسرها وتحطيمها. واذا ما أردنا ان نفهم مواقف الغرب هذه جيداً علينا ان نبحث عن اسبابها في ثنايا العوامل التي ذكرناها سابقاً؛ وتلك الاسباب التي تؤكد اهمية المنطقة العربية الاستراتيجية على جميع الصُعُد.

لقد كانت نظرة الغرب الى الوحدة بين البلدان العربية - في الماضي - مجرد صراع ضد المواقف الاسلامية. وبما ان هذه المواقف قد تراجعت في الاربعينات والخمسينات والستينات من هذا القرن لصالح نشوء وتطور القومية العربية كعامل حاسم من اجل الوحدة، فقد اصبح الغرب يرى في القومية العربية والوحدة العربية شراً جديداً يجب مقاومته، وتهديداً يجب قطع دابره. ومن هنـا يمكن تفسير النظرة الحاقدة للصحافة الغربية - ومن ضمنها صحـافـة المـانيا الاتحـادية - تجاه القومية العربية. ومن اجل هذا تكيل لها اشنع النعوت وابشعها: الشوفينية، والراديكالية، والعدائية الى درجة الهبوط اللاأخلاقي والتحقير والشتم البـذيء للسياسيين والقـادة العرب، كما تعرضت للرئيس جمال عبدالناصر، وللتنظيمات السياسية ولكـل دعـاة القومية العربية، وتكيل المديح والثناء لكل من يبتعد عن المواقف القومية. وعلى سبيل المثال فقد اقتبست مجلة (دير شبيغل) وهي من اكبر المجلات الاسبوعية الالمانية الغربية، تقويماً للرئيس المصري انور السادات من صحيفة التايمس اللندنية التي كتبت تقول بأن السادات استطاع ان يحوّل مصر من القومية العربية «العدائية» (الوصف المستعمل هو (Kriegerisch) اي حربي) للرئيس عبد الناصر الى الوطنية (المصرية) البنّاءة. وقد وجدت الصحيفة اللندنية والمجلة الالمانية هذه الوطنية البنّاءة في تغيير اسم مصر من «الجمهورية العربية المتحدة»، الى «جمهورية مصر العربية» وتحويل «الخطوط العربية المتحدة الجوية» الى «طيران مصر»[12].

ان نظام البناء الاقتصادي، الذي اتبعته بعض الاقطار العربية يشكل عاملاً اساسياً له تأثيره المباشر على الصورة العربية في الغرب، اذ ان السمة الغالبة في هذا النظام هي تأميم الاقتصاد، اي تفضيل القطاع العام على القطاع الخاص. اما الاقطار العربية التي تتبنى النـظام الـرأسمالي، فإنّ الصحافة الغربية، بما فيها الالمانية الغربية، تعتبرها من البلدان

---

(١١) David Thomson, ed., *The Era of Violence, 1898 - 1945* (Cambridge: University Press,1960), vol. XII: *The New Cambridge Modern History*, pp. 304 - 305. For a more extensive analysis on the construction of the Berlin - Bagdad - Railway,See: Edward Mead Earle, *Turkey, the Great Powers and the Bagdad Railway: A Study in Imperialism* (New York [N. Y.]:Macmillan, 1923).

(١٢) دير شبيغل، العدد ٤٣ (٢٢ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣)، ص ١٢٦.

الـديمقـراطية المؤيدة للغرب، وهو اعتبار ايجابي. كما ان الاقطار التي تخلت عن التأميم لصالح القطاع الخاص اي النظام الرأسمالي تلقى كل ترحيب وثناء من الصحافة الالمانية الغربية. ولم تتورع مجلة دير شبيغل ان تزف تهنئتها للرئيس انور السادات لأنه قاد الاقتصاد المصري بعد عقدين من البناء الاشتراكي الى الانفتاح واعادة المؤسسات المؤممة الى القطاع الخاص والسماح بإدخال المطبوعات الغربية الى مصر(١٣).

ومن العوامل المهمة لفهم صورة العرب في صحافة المانيا الاتحادية تلك التجربة التي عاشهـا الالمـان في تاريخهم الحديث خلال سيطرة الحزب الوطني الاشتراكي (وهو الاسم الرسمي للحـزب النـازي بقيادة ادولف هتلر) على مقاليد الحكم في المانيا بين الحربين العالميتين، وخلال فترة الحرب الباردة بعد الحرب العالمية الثانية.

إن ملاحقة ملايين المواطنين الالمان والاوروبيين من معتنقي الديانة اليهودية وقتلهم في المانيا وبولندا وغيرهما من الدول الاوروبية خلال الحكم الارهابي النازي، ما زال حتى يومنا هذا يترك في المانيا درجة عالية من الشعور بالالتزام تجاه اسرائيل.

ولقد أيّدت جمهورية المانيا الاتحادية قيام دولة اسرائيل في عام ١٩٤٨، واصبحت في المرتبة الثالثة بين الدول في التعامل الاقتصادي مع اسرائيل(١٤). ان تصريح السيد فيلي برانت، المستشـار الاتحادي السابق لالمانيا الاتحادية يعبّر افضل تعبير عن الشعور الالماني بالذنب وعن التعاطف مع اسرائيل. ففي مقابلة له مع مجلة «تريبونه Tribüne» وهي مجلة يهودية صهيونية المـانية، قال المستشـار السـابق «يجب ان لا نسمـح بوجـود اي حياد قلبي تجاه اسرائيل»(١٥). ان المعاداة للصهيونية في المانيا الغربية تعتبره الصحافة والسياسيون - كما ظهر ذلك واضحاً في «اسبوع الاخوّة» مع الصهاينة عام ١٩٧٢ - بأنه «شكل جديد من اشكال كره اليهود». وقد اعلن المشتركون في هذا الاسبوع انه «لا يمكن التفريق من ناحية نظرية بين المعاداة للصهيونية وبين المعاداة للسامية، وانه في كلتا الحالتين تعبير عن العداء لليهود. وان اي نقد لسياسة اسرائيل الخارجية والداخلية من منطلق المعاداة للصهيونية هو نقد يشرح نفسه بنفسه»(١٦).

لهذا فإن الصحـافة الالمانية الغربية لا تتطرق الى الممارسات والاجراءات العدوانية والارهابية الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة. ولا تعرض اسباب المشكلة الفلسطينية وانما تسعى الى اخفائها وإذا ما ذكرتها فإنها تذكرها مشوهة(١٧).

---

(١٣) المصدر نفسه، وجرهارد كونتسلمان، دي تسايت، (١٩ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣)، انظر ايضاً: الفصل الثالث، الفقرة د.

(١٤) انظر: الفصل الثاني، الفقرة ٣.

(١٥) *Tribüne, Zeitschrift zum Verständnis des Judentums*, vol. 11, no. 41(1972), pp. 4457 - 4468.

(١٦) *Hektographierte Thesen zur Veranstaltung im Rahmen der «Woche der Brüderlichkeit»* (Marburg ,1972)

(١٧) من هنا رأينا ان يتضمن النص الالماني لهذه الدراسة ملحقين: الاول بعنوان «الممارسات الاسرائيلية في الاراضي المحتلة» والثاني «اسباب المسألة الفلسطينية» لتعريف القارىء الالماني بهما.

وبالمقدار الذي نؤكد فيه اهمية العامل المتعلق بقتل اليهود في الرايخ الثالث من اجل فهم افضل للصورة العربية اليوم في المانيا الاتحادية، فإننا نؤكد اهمية عامل آخر مستمد من تجربة الالمان التاريخية. فقد دأبت الصحف الالمانية الغربية على اجراء مقارنة خلال فترة حرب تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣ بين التجربة الحالية الاسرائيلية في الحرب وتلك التي عاشها الالمان خلال الحرب العالمية الاولى والثانية وبعد كل منهما على الصعيدين العسكري والسياسي: فقد اجرى، على الصعيد العسكري، عدد كبير من المراسلين والصحفيين الالمان الغربيين مقارنة بين المعارك التي خاضتها اسرائيل ضد البلدان العربية وتلك التي خاضها الالمان في الحربين العالميتين الاولى والثانية. وقد قارن ديتر فيلد، فيما يتعلق بحرب تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣، في مجلة دير شبيغل، التجربة الاسرائيلية مع التجربة الالمانية خلال الحرب العالمية الاولى قائلاً: «انها تجربة من الخذلان والخوف، فعندما يعود الجيش الاسرائيلي من المعركة بإمكانه ان يقول بحق ـ وهو الامر الذي لم يستطع الالمان عام ١٩٢٨ الافصاح عنه ولكنهم اكدوه فيما بعد ـ بأن هذا الجيش لم يهزم على ارض المعركة ـ ومهما كانت الهزيمة قريبة فإنها لن تعرف الا بعد ان يتم ببطء، استيعاب نتائج صدمات (الحرب)»[١٨]. ويضيف فيلد «ان مثل اسرائيل كالمانيا عام ١٩١٨ وهي تتساءل آنذاك: على عاتق من تقع مسؤولية الحرب؟ وستتردد الاكاذيب عن مسؤولية الحرب وعن قصص طعنة الخنجر من وراء الظهر»[١٩]. ان صحفيين آخرين هُرعوا الى المقارنة ايضاً بين المعارك التي خيضت في حرب تشرين الاول/ اكتوبر والمعارك التي خاضها الجيش الالماني على الجبهة الروسية الشرقية في الحرب العالمية الثانية. وكتب مراسلون صحفيون يقولون «إن المعارك التي دارت رحاها فوق ارض سيناء والجولان كان الروس قد جربوها من قبل»[٢٠].

وقد قارنت صحافة المانيا الغربية على الصعيد السياسي بين الدور الذي تلعبه دول الشرق الاوسط، ودور الدول الاوروبية، معتبرة اسرائيل «بلد الديمقراطية» الواقف الى جانب الغرب بينما تقف الاقطار العربية الى جانب الاتحاد السوفياتي. وقد ذهبت الى ابعد من هذا في مقارنة للمجابهة بين الاسرائيليين والعرب مع المجابهة بين الالمان والروس، اي مع السوفيات، اي مع الشيوعية، والروس هم اعداء الالمان في حربين عالميتين ـ وحتى بعد قيام دولة المانيا الاتحادية ايضاً يؤيدون العرب، اعداء اسرائيل الذين يتعاطف الالمان معهم ويؤيدونهم.

اذا كانت كل هذه العوامل لها اثرها على الصورة العربية في صحافة المانيا الاتحادية فكيف اذن تبدو صورتهم بعد الحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة (حرب تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣) في هذه الصحافة؟ نستطيع ان نقول بعد هذه الملاحظات ان اغلبية التقارير في الصحف الالمانية حول اسرائيل كانت صوراً ايجابية. ولكننا بالرغم من ذلك وبسبب

---

(١٨) دير شبيغل، العدد ٤٨ (٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٣)، ص ١٣١.
(١٩) المصدر نفسه، ص ١٣٦.
(٢٠) انظر: الفصل الثالث، الفقرة ب.

النجاح الذي حققه الجانب العربي في المعارك، نستطيع ان نتبين تغيراً قد طرأ على الصورة العربية في الصحافة الالمانية. ان هذه الدراسة تعالج بالتفصيل عملية هذا التغيير. ويمكننا ان نؤكد بأن الكتابة عن العرب في الصحافة الالمانية بدت اكثر موضوعية، وصورتهم اصبحت اكثر ايجابية من تلك الصورة التي وُضعوا فيها عام ١٩٦٧. وكان هناك اتجاهان واضحان في الصحافة، اولاً: عندما تقارن الصحافة الالمانية بين الجانب العربي والجانب الاسرائيلي، فإنها تحاول ان تخلق «توازناً» بين الحقائق التي افرزتها الحرب. وقد اخذت تشير مثلاً الى ان العرب يستطيعون «التخطيط» ويستطيعون «التعامل مع التقنية الحديثة». اما الاسرائيليون فيمكن ان يخطئوا ويرتكبوا الاخطاء. ثانياً: اصبحت الصحافة عندما تكتب عن الجانب العربي تفرّق بين «الواقعيين» و«المتطرفين». «فالواقعيون» يمكن ان يكونوا عقلانيين ومنظمين ومخططين كما يمكنهم الانفتاح على الغرب. بينما يحاول «المتطرفون» اي الماركسيون او الشيوعيون او الثوريون نسف جميع الجهود التي يقوم بها «الواقعيون».

ولكي تكون دراستنا للصورة العربية في صحافة المانيا الاتحادية مبنية ـ قدر المستطاع ـ على البيانات الاحصائية والمقابلات الشخصية والصحفية مع العاملين في هذا الحقل والمتخصصين بشؤون الشرق الاوسط، فلا بد لنا من استعراض اهم الادبيات حول دور وسائل الاعلام من اجل تكوين «الصور في عقولنا» ومن اجل فهم الادبيات التي استرشدنا بها في وضع صيغ البيانات الاحصائية والمقابلات.

ثانياً: دور وسائل الاعلام في تكوين «الصور في عقولنا»

ان توجيه وسائل الاعلام للمعلومات هي احدى اهم الطرق المؤثرة على تكوين الصور لدى امة عن امة اخرى. ان هذا التأثير مهمّ عندما نعلم «انه تكتب كل يوم في العالم اكثر من مليون كلمة اعلامية، لا يتسلم منها القارىء اكثر من نصف بالمائة»[٢١]، وأما ما تبقّى من هذا البحر من المعلومات الاخبارية «فيخضع لتغيير ضخم». ويقول كارل دويتش وريتشارد ميرت في مقالتهما حول تأثير الاحداث على الصور الوطنية والعالمية ان «القائمين manager» على المعلومات العامة هم الذين يجرون هذا التغيير. وهؤلاء «القائمون» هم الحكومة والنخب الحاكمة في وسائل الاعلام والذين نسميهم «قادة الرأي» الذين يختارون من بحر المعلومات الواردة ما يناسب اهتماماتهم ويخفون ما لا يريدون توزيعه ونشره[٢٢]. ويتأثر

---

(٢١) Hans Adolf Jacobsen, «Anmerkungen zur Untersuchumg Internationaler Konflikte,» *Beiträge zur Konfliktforschung*, nos. 1 + 2, 1972, p. 9.

(٢٢) K. Deutsch and R. Merrit,«Effect of Events on National and International Images,» In: Herbert Kelman, ed., *International Behaviour: A Social - Psychological Analysis* (New York: Rinehart and Winston, 1965), p. 137.

«قادة الرأي» هؤلاء في آرائهم ومواقفهم وبدورهم الاجتماعي وبمواقعهم ولمن يعملون ومن يمولهم، ويمول صحفهم، بجانب القوانين والاجراءات الداخلية اي الرقابة الذاتية لدى هذه الصحف التي تقولب آراء المراسلين الصحفيين والمحررين ومواقفهم مع خط الصحيفة(٢٣).

ان عملية اختيار المعلومات المتناثرة من بحر المعلومات لتكوين الصور عن امة لدى امة هي عملية مهمة لسببين. اولاً: لأن هذه المعلومات المتناثرة يختارها «القائمون» على الصحف «حسب اهوائهم السياسية»، الامر الذي «يزيد من التغيير على الصورة المشوهة اصلاً»(٢٤). ثانياً: تدّعي هذه الصحف انها تلعب دوراً تثقيفياً بين جمهور المواطنين. وبالنسبة الى جزء كبير من الشعب الالماني الغربي فإنّ الصحف هي المصدر التثقيفي الوحيد. لذلك يتحمل المحررون بصفتهم «معلمي الشعب» «مسؤولية المستوى الروحي والخلقي للصحف لتكون ذات فائدة لكل فرد منه (اي الشعب) لأن دور التأثير التثقيفي للصحف على الجمهور لا يمكن نكرانه»(٢٥).
ان امكانية التلاعب بالاخبار لدى مراسلي الصحف في الخارج اكثر من الآخرين لأن القارىء على العكس من المواضيع السياسية الداخلية لا يملك اية وسيلة للتدقيق فيما يقرأه.
يقول هربرت كلمان «لذلك يجب ان لا نستغرب فيما اذا وجدنا ان الجمهور العام لا يكترث بكل ما يتعلق بالسياسة الخارجية وان معلوماته يشوبها الجهل العام، وتتميز بعدم الاكترات وبالجهل والنقص في امكانية الاستزادة (من المعلومات) والاستقرار (في الرأي)»(٢٦).

إن الكتابة الصحفية الجدّية في الصحف لها اهمية قصوى للانتشار الواسع للصحافة ولأنها الوسيلة المهمة لنقل المعلومات المؤثرة على تكوين المواقف المتعلقة بالصور عن الامم. ولكي يتم الارتقاء الى مستوى المسؤولية فإن تدفق المعلومات والاتصال الفاعل(٢٧) بين المراسل وادارة التحرير في الصحيفة الام هو بالاهمية السابقة نفسها. ومن الاهمية بمكان ان يكون المراسل او الصحفي على علم واطلاع افضل من اي قارىء عادي. إنّ صحافة الاثارة غير الجدية تفضح نفسها بسرعة، بينما تجذب التحاليل الجدية القارىء وتعطيه اليقين

---

(٢٣) Walter Griebers, «News is What Newspapers Make it,» In: Lewis Dexter and David M. White, eds., *People, Society and Mass Communication* (New York [N. Y.] :Free Press of Glencoe,1964),p.178.
حول استعداد المراسلين للتماثل مع آراء صحفهم، انظر: Christel Hopf, «Zur Strukture und Zielen Privatwirtschaftlich Organisierter Zietungsverlage,» In: Peter Brokmeier, ed., *Kapitalismus und Pressfreiheit am Beispiel Springer* (Frankfurt/ Main: Europäischer Verlagsanstalt, 1969, p. 26 ff.

(٢٤) Jacobsen, «Anmerkungen Zur Untersuchung Internationaler Konflikte,» p. 9.

(٢٥) Winfried Schulz, comp., *Der Inhalt der Zeitungen* (Düsseldorf: Rheinische Druckerei und Verlagsgesellschaft, 1970), p. 89.

(٢٦) Herbert C. Kelmann, «Sozialpsychologische Aspekte Internationalen Verhaltens,» In: Uwe Nerlich, ed., *Krieg und Frieden im Industriellen Zeitalter* (Gütersloh: Bertelsmann Verlag, 1966).

(٢٧) Deutsch and Merrit, «Effect of Events on National and International Images,» p. 153.

للحصول من خلال المعلومات الجديدة على امكانية توسيع معرفته باستمرار. واذا ما كان الصحفيون والمراسلون يؤمنون بالجدية والمعرفة والاطلاع الافضل فإن هذا يتوقف ايضاً على ما يتمتعون به من الكفاءات في اعمالهم الصحفية. ومن هنا سوف نتطرق في هذه الدراسه الى «بحث الكتابة الصحفية عن السياسة الخارجية في وسائل الاعلام، بطريقة نقدية معتمدين على تحليل المضمون لكشف تشويه الصورة عن العالم الخارجي او للاحداث على المستوى الدولي»(٢٨).

وسنرسم في هذا البحث الصورة العربية في الصحافة الالمانية الغربية بشكل تقريبي وصادق، كما هي عليه في تلك الصحافة عن طريق تحليل المضمون والمقابلات مع المراسلين والمحررين ذوي العلاقة بموضوع الشرق الاوسط.

١ ـ تحليـــل المضمـــون

إن تحليل المضمون كطريقة لتحديد صورة الامم هو اساس دراسة الصورة العربية في صحافة المانيا الاتحادية. وسنعالج عند تحليل المضمون للمسألة المصداقية والموثوقية في المادة التي تخضع للتحليل، وفي المواد الاكثر ملاءمة لرسم الصورة العربية في صحافة المانيا الاتحادية وبشكل توثيقي، معتمدين على تحليل المضمون النوعي. لقد اخترنا الصحف التالية للدراسة انظر الجدول رقم (١): فرنكفورتر الجماينة تسايتونغ، زود دويتشه تسايتونغ ودي فلت وهي صحف يومية. كما اخترنا دي تسايت كصحيفة اسبوعية ودير شبيغل وهي مجلة اسبوعية. اما الاسباب التي حدت بنا الى اختيار هذه الصحف والمجلات فهي:

أ ـ الاتفاق في مواقفها الاساسية العامة الى حد كبير ـ ان لم تكن تتطابق ـ مع الصحف والمجلات اليومية والاسبوعية الصادرة على مستوى المانيا الاتحادية او على المستوى المحلي (المدينة) او (المقاطعة).

ب ـ ان حجمها وعدد النسخ لكل طبعة منها وتوزيعها عالٍ جداً كما يظهر في الجدول رقم (١):

ج ـ انها تحصل على الاخبار والمعلومات من وكالات الانباء العالمية الكبيرة مثل وكالة الصحافة الالمانية (D.P.A) اليونايتد بريس انترناشيونال(UPI) الاسوشيتيد برس (AP)، رويتر، وكالة الصحافة الفرنسية (و. ص. ف.)، بالاضافة الى الوكالات المحلية الاخرى او الاقل اهمية وانتشاراً. يضاف الى ذلك ان هذه الصحف تتمكن من ناحية مالية ان تبعث بمراسليها او مندوبيها بشكل دائم ومستمر الى الشرق الاوسط وتفتح لها مكاتب فرعية هناك.

د ـ كما يقول كينيث ليفان(٢٩) اننا نعالج صحافة المانيا الغربية التي يقرأها «الناس

---

(٢٨) Jacobsen, «Anmerkungen Zur Unterschung Internationaler Konflikte,» p. 9.

(٢٩) Lewan, *Der Nahostkrieg in derWestdeutschen Presse*, p. 9.

جدول رقم (١)

اسماءوعدد النسخ المطبوعة ومبيعات الصحف المشمولة بالدراسة لعام ١٩٧٥

اسم الصحيفة	عدد النسخ المطبوع	المبيع
فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ		
طبعة السبت	٣١٨,٣٢٤	٣٠٧,٠٧٦
طبعة الاسبوع	٢١٨,٥٩٤	٢٧١،١١٨
طبعة الاثنين	٢٧٣,٩٠١	٢٦٣,٥٨٥
زود دويتشه تسايتونغ	٢٩٢,٣٥٠	٢٨٦,٩٢٥
طبعة السبت	٣٤٤,٦٤٠	٣٣٩,٦٠٥
طبعة الاثنين	٢٨١,٥٦٩	٢٧٦,٠٧١
دي فلت		
طبعة السبت	٢٤٤,٠٧٦	٢٣٨,٩٨٦
طبعة الاثنين	٢٢١,٥٣٥	٢١٥,٨٧٧
طبعة الاسبوع	٢٢٥,٣٩٠	٢١٩,٨٣١
دي تسايت	٣٤٧,١٢٩	٣٣٧,١٩٦
دير شبيغل	٩١٨,٣٠٥	٩٠٣,٨٧٣

المصدر: نقلاً عن: *IVW Auflagenliste Informationsgemeinschaft Zur Verbreitung von Werbeträgern* (Bonn-Bad Godesberg: IVW, 1975), vol. 1, pp. 22-23, 44 and 59.

المتعلمون» اي انها تدعي الموضوعية والتنوع في كتابتها الصحفية.

هـ ـ ان الصحف والمجلات الخاضعة للدراسة في هذا البحث تنقسم ما بين محافظة ـ يمينية او ليبرالية. لم نختر اي صحيفة يسارية لأن جميع هذه الاسباب باستثناء الرابع لا تنطبق عليها.

اما الفترة التي شملها تحليل نصوص المادة الصحفية الواردة في الفصلين الثالث والرابع فتمتد عبر ثلاثة شهور من ٦ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣ حتى ٣١ كانون الاول/ ديسمبر ١٩٧٣. وبذلك تكون هذه الدراسة التي نضعها بين يدي القارىء العربي دراسة خاصة. لأنها تعالج فترة قصيرة نسبياً هي ثلاثة شهور، بشكل مفصّل. كما ان التغيير الذي طرأ على الصورة العربية حُلّلت في فترة من حالات النزاع، خضعت فيه الصورة العربية الى تغييرات سارت بشكل متزامن مع مسيرة النزاع.

وقد تمّ فحص جميع المواد الصحفية في هذه الدراسة، كالتقارير والانباء والمقالات والتعليقات التي ظهرت في الصحف موضع البحث، اي انه تم بحث جميع المواد فيها اذا كانت موقعة او غير موقعة باسم الكاتب او موقعة بالاحرف الاولى من اسم الكاتب او اذا

جدول رقم (٢)
لائحة باسماء المراسلين والمحررين
الذين تمت معالجة كتاباتهم الصحفية في فترة البحث تحت الدراسة

Frankfurter Allgemeine Zeitung	فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ
Erik Michael Bader	اريك ميشيل بادر
Jürgen Busche	يورغن بوشه
Fritz Ullrich Fack	فريتس اولرش فاك
Günther Gillessen	غونتر جيللسن
Robert Held	روبرت هلد
Erich Helmensdorfer	اريش هلمنسدورفر (القاهرة)
Ernst Otto Maetzke	ارنست اوتو ميتسكه
Thomas Meyer	توماس ماير
Thankamar Freiherr Von Münchhausen	تانكمار فرايهر فون مونشهوزن(بيروت)
Karl-Alfred Odin	كارل الفرد اودين (اسرائيل)
Jan Reifenberg	يان ريفنبرغ (واشنطن)
Mosche Tavor	موشه تافور (تل ابيب)
Harald Vocke	هارالد فوكه
Adalbert Weinstein	ادلبرت فاينشتاين
Süddeutsche Zeitung	**زود دويتشه تسايتونغ**
Klaus Arnsperger	كلاوس ارنشبرغر (باريس)
Herbert von Borsch	هربرت فون بورش (واشنطن)
Carl Buchalla	كارل بوخالا (بيروت)
Rudolf Chimelli	رودولف شيملي (موسكو)
Klaus Dreher	كلاوس دريهر (بون)
Josef Friedmiller	يوسف فريد ميللر
Olaf Ihlan	اولاف ايلان (بلغراد)
Hans Ulrich Kempski	هانس اولرش كمبسكي (اسرائيل)
Dieter Schröder	ديتر شرودر
Manfred Schröder	منفرد شرودر (اسرائيل)
Hans Schuster	هانس شوستر
Christian Potyka	كريستيان بوتيكا

يتبع

تابع جدول رقم (٢)

Die Welt	دي فلت
Heinz Barth	هاينتس بارت (واشنطن)
Dieter Cycon	ديتر سيكون
Ernst Ulrich Fromm	ارنست اولرش فروم (موسكو)
Erich Gysling	اريش جيسلنغ
Mathias Hardt	ماتياس هاردت (القاهرة)
Erwin Hirschmann	ارفن هيرشمان (تل ابيب)
Jan Kriesemer	يان كريزمر (تل ابيب)
Wilhelm Körber	فلهلم كوربر (القاهرة، بيروت)
Epfraim Lahav	افرايم لاهاف (القدس)
Kurt Leisler	كورت لايسلر (اسرائيل)
Klaus Müller	كلاوس ميللر
Francis Ofner	فرانسيس اوفنر (تل ابيب)
Wolfram von Raven	فولفرام فون رافن (اسرائيل)
Peter Rissen	بيتر رسن (دمشق)
Heinz Schewe	هاينتس شيفه (تل ابيب)
Georg Schröder	جورج شرودر
H. G. Telmein	هـ. ج. تلماين
Mahtias Walden	ماتياس فالدن
Fritz Wirth	فريتس فيرت (لندن)

Die Zeit	دي تسايت
Rolf Kiekhof	رولف كيهكوف
Wolfgang Ebert	فولفكانغ ايبرت
Karl Heinz Janssen	كارل هاينتس يانسن
Michael Jungblut	ميشيل يونغ بلوت
Andreas Kohlschütter	اندرياس كولشوتر (اسرائيل)
Gerhard Konzelmann	جرهارد كونتسلمان (بيروت)
Inge von Münch	انجه فون مونش
Lothar Ruehl	لوثار رول
Theo(dor) Sommer	تيو (دور) سومر
Dieter Strothmann	ديتر شتروتمان
Gabriele Venzky	جبرياله فينتسكي

يتبع

تابع جدول رقم (٢)

دير شبيغل	Der Spiegal
كارل جدعون فون كلير	Carl-Gideon von Claer
عادل الياس	Adel Elias
هاينتس ليفلد	Heinz Lehfeldt
يان مينسينغ (اسرائيل)	Jan Menssing
برنهاردت موللر هيلسه بوش (القاهرة وروما)	Bernhard Müller-Hülsebusch
كارل بففر (بيروت)	Karl R. Pfeffer
هيرمان شريبار (اسرائيل)	Hermann Schreiber
هيلموت زورغة (الخليج)	Helmut Sorge
ديتر فلد	Dieter Wild
هنري تسوللر (تل ابيب)	Henri Zoller
فولكهارد فيندفور	Volkhard Windfuhr

كانت موقّعة من قبل الصحيفة بأحرفها الاولى مثل (F.A.Z) اي فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ او (.S.Z) (زود دويتشه تسايتونغ) او (.S.A.D) (شبرنجر اوسلاندز دينست) اي وكالة شبرنجر للاخبار الخارجية.

ويتضمن البحث في الفصل الثاني موجزاً للعلاقات العربية ـ الالمانية في محاولة لوصف الجذور التاريخية للصورةالعربية. وفي هذا السياق تم استعراض جميع الادبيات التي صدرت عن الصورة العربية في المانيا حتى حرب تشرين الاول/ اكتوبر.

وعلى خلفية البحث والنتائج التي تم التوصل اليها في نهاية الفصل الثاني يبدأ الفصل الثالث بتحليل مضمون الصحف مدار البحث حيث يبدأ الفصل بفقرة تقارن تقويم الظروف التي قادت الى نشوب حرب تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣ واهداف هذه الحرب مع ظروف واهداف حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧[٣٠]. يلي ذلك التغييرات التي طرأت على الصور المقولبة نتيجة سير العمليات العسكرية[٣١]. وهنا نشير الى ان الكتابة الصحفية اتخذت مساراً متطابقاً مع سير القتال ـ الانتصارات والهزائم العسكرية[٣٢]. مع بداية القتال، وبسبب المبادرة العربية في بدء الحرب، والنجاحات التي حققتها القوات العربية، كان هناك ميل واضح في الكتابة الصحفية لوضع الصور المقولبة القديمة عن

(٣٠) انظر: الفصل الثالث، الفقرة أ.
(٣١) انظر ايضاً: الفصل الثالث، الفقرة ب.
(٣٢) انظر: الفصل الثالث، الفقرة ٢ ب.

العرب موضع تساؤل. ولكن هذه الصور المقولبة القديمة عادت الى الظهور بعد ان اصبح الاسرائيليون هم المنتصرون. وتم ارجاع اسباب النجاح العربي الأوّلي في بداية الحرب الى «المزايا غير العربية».

ويبدو مدى التغيير او عدم التغيير في صورة العرب بشكل واضح في الفقرتين التاليتين اللتين تعالجان مسألة اسرى الحرب ومسألة القادة السياسيين اللتين كتبت عنهما الصحافة. ان مسألة «تبادل اسرى الحرب»(٣٣) المشحونة بالعواطف سُخّرت بكاملها لصالح اسرائيل. وفي مسألة تقويم القادة السياسيين للبلدان العربية تم التمييز بين القادة الراديكاليين والمحافظين(٣٤).

ان اهم مسألة لفهم نزاع الشرق الاوسط والصورة العربية هي المسألة الفلسطينية، حيث افردنا تحليل ما كتب عنها في الفصل الرابع، ويبدو واضحاً انها بقيت على هامش المعالجة في الكتابة الصحفية عن حرب الشرق الاوسط الرابعة. لذلك لم تكن الطريقة المتبعة حتى الآن ـ وهي تحليل المضمون ـ كافية. ويظهر بشكل واضح ان هناك نقصاً كبيراً في الكتابة الصحفية عن المسألة الفلسطينية. وبما انها جوهر صراع الشرق الاوسط فقد جرت محاولة لشرحها حيث اضيف في النسخة الالمانية من الكتاب ملحقان من المعلومات(*) الى تحليل المضمون، لم تعرهما الكتابة الصحفية اي اهتمام مما يؤكد التحيز القائم والمسيطر على وسائل الاعلام ضد القضية الفلسطينية. امّا ما يسمى بأزمة النفط فلم يتم ادراجها في هذه الدراسة، بالرغم من ان معالجة هذا الجانب من النزاع يؤكد الصور المقولبة التي توصلت اليها هذه الدراسة ولكنه لا يضيف عليها اي نوع جديد، اللهم سوى صور «شيوخ النفط». ومن قراءة ما نشر عن هذه الازمة ـ اي ازمة النفط ـ يتولد الانطباع بأن الكتابة الصحفية عنها توضح مفهوم صحافة المانيا الاتحادية عن الازمات الاقتصادية (مجرد كبش فداء) اكثر مما توضح الصورة العربية. ولم يكن ممكناً معالجة ازمة النفط دون التطرق الى هذا الجانب من الازمة الاقتصادية، الامر الذي يوسع هذه الدراسة بشكل كبير ويخرج عن نطاقها.

٢ ـ المقابلة الصحفية

يلعب المراسلون والمحررون في صحافة المانيا الغربية، في الكتابة الصحفية عن الشرق الاوسط، دوراً كبيراً في تكوين الصورة العربية اذ ان المادة التي يبعث بها المراسلون في الشرق الاوسط يحررها المحررون في مركز الصحيفة في المدينة الام، كما ان المحررين هم الذين يقدمون هذه المادة بالعناوين الكبيرة والفرعية داخل المقالة نفسها. ويقوم كلا الطرفين

---

(٣٣) انظر: الفصل الثالث، الفقرة ج.

(٣٤) انظر: الفصل الثالث، الفقرة د.

(*) الملحق الاول كان بعنوان «الممارسات الاسرائيلية في الاراضي المحتلة»، والثاني كان بعنوان «اسباب المسألة الفلسطينية» الذي عالج نشوء وتطور القضية الفلسطينية. (المحرر)

(المراسلون والمحررون) بكتابة التعليقات حول احداث الشرق الاوسط، وفي الغالب يكتب المحررون المسؤولون عن قسم الشرق الاوسط هذه التعليقات. وبما ان كلا الطرفين، المراسلين والمحررين، يؤثرون على تكوين الصورة العربية فقد اصبح من المهم اجراء المقابلات الصحفية معهم، والهدف من ذلك تقويم «المعرفة الافضل» التي من المفروض ان يتمتع بها المراسل والمحرر بالقياس الى المعايير الثقافية والامكانيات الاخرى، ومصادر المعلومات التي يعتمد عليها المراسل او المحرر في تقاريره الصحفية، وفهمه لنزاع الشرق الاوسط. لهذا الغرض وضعت استمارة اسئلة ارسلت الى مراسلي الصحف المذكورة في بيروت والى المحررين المسؤولين عن قسم الشرق الاوسط في الصحيفة نفسها. كما طلب الى هؤلاء المحررين ارسال نسخ من استمارة الى مراسليهم في فلسطين المحتلة. وبالرغم من رفض معظم المحررين الاجابة عن الاسئلة المطروحة، مما اعطى مردوداً قليلاً، الا اننا ابقينا هذه الاستمارة لأنها كانت الاساس للمقابلات الصحفية. ويجب هنا ان ننوه بأن مراسلي هذه الصحف في بيروت، على الاقل، اجابوا عن الاسئلة بطريقة متعاونة، او انهم وعدوا اثناء المقابلة بإعادتها «خلال الايام المقبلة» الينا. ولكنهم الى الآن وبالرغم من التذكير المتكرر لهم بارسالها لم ينفذوا وعودهم. وقد تم توزيع الاستمارة على جميع مراسلي وسائل الاعلام الالمانية الغربية (من صحافة وتلفزيون وراديو) وقد قام المؤلف في نيسان/ ابريل ١٩٧٤ باجراء مقابلات صحفية مع مراسلي وسائل الاعلام الالمانية الغربية التالية: كارل بوخالا (زود دويتشه تسايتونغ) يوم ١١ / ٤ / ١٩٧٤، تانكمار فرايهر فون مونشهوزن (فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ) يوم ١١ / ٤ / ١٩٧٥ و١٩/ ٤ / ١٩٧٥، وفالتر كراوزه (Walter Kr-ause) مراسل لعدة صحف محلية يوم ١٥ / ٤ / ١٩٧٥. كما اعتذر عن المقابلة الصحفية بحجة عدم توفر الوقت كل من السيد رينارتس (Reinartz) وكالة الصحافة الالمانية الرسمية (Deutsche Press Agentur-DPA) هاينتس ميليتسكي (Heinz Melitzki) (مراسل البرنامج الثاني للتلفزيون الالماني) د. هينريش كاستيا (Dr. Heinrich Kastea) مراسل راديو هسن (Hessen) وصحيفة رينيشر ميركور (Rheinischer Merkur) وجرهارد كونتسلمان (دي تسايت) و (ARD) الجماينة روند فونكسآنشتالتن دويتشلاند (اي الوكالات الالمانية المذاعة والمتلفزة للقناة الاولى في التلفزيون).

وكان الكاتب قد ارسل اليهم استمارة الاسئلة بناءً على طلبهم. ويجب الاشارة هنا الى ان فيند فور لم يكن مراسلاً لدير شبيغل خلال حرب تشرين الاول/ اكتوبر. وفي بيروت كان المراسل السيد كارل روبرت بففر قد ابعد عن بيروت بأمر من السلطات اللبنانية في نهاية شهر تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣.

وقد اوردت سابقاً، بأنني ارسلت الاستمارات الى المحررين من مراكز الصحف، مقرونة بطلب ان يقوموا هم بارسالها الى مندوبيهم في فلسطين المحتلة. ولكن هذه الصحف رفضت الاتصال بمراسليها في هذا الصدد. ومن هنا لم تجر المقابلات مع هؤلاء المراسلين. ان سبب رفض هذه الاستمارات او الاجابة عنها هو- كما جاء في رسالة جوابية من احد

المحررين ـ ان هذه الاستمارة «تتضمن اسئلة شخصية لا يسمح بها القانون الاساسي (لألمانيا الاتحادية) وبالتالي لا يمكن توجيهها الى اي مواطن من مواطني المانيا الاتحادية، لذلك نجد انفسنا غير قادرين على دعم مشروعكم بهذا الشكل»[٣٥].

وبالرغم من هذا الاعتراض فقد قام هذا المحرر الذي وقع الرسالة المتضمنة لهذا الاعتراض بمقابلة صحفية مطولة مع الكاتب يوم ٢٩ / ٤ / ١٩٧٥ تتضمن الاسئلة نفسها التي كان المحرر قد رفضها في رسالته قبل عام، مع انه لم يطرأ اي تغيير على القانون الاساسي لالمانيا الاتحادية في هذه الفترة. وقد رفض محرر آخر في صحيفة اخرى مقابلة صحفية قبل ان يعرف من «اي بلد عربي» يتحدر الكاتب ومن هو الاستاذ المشرف على البحث[٣٦]. ومع هذا فقد تمت المقابلة معه يوم ٧ ايار/ مايو ١٩٧٥.

وعلى الرغم من هذه المواقف التي اتخذها المحررون، فقد ارسلت الاستمارة الى جميع مراسلي الصحف التي ندرسها بشكل مباشر (ما عدا اولئك المراسلين في فلسطين المحتلة) وقد رفض احد المراسلين الاجابة عن الاستمارة قائلاً: «انني اشعر من جهة انه لا يحق لي ان اجيب عن الاستمارة المرفقة في رسالتكم ومن جهة ثانية لا استطيع ان اجيب عليها»[٣٧]. ولم يجب المراسلون الآخرون حتى يومنا هذا عن الاستمارة، تماماً مثلما فعل معظم محرري الصحف الخاضعة لهذا البحث.

ان اللغة هي اهم وسيلة للتفاهم بين الاشخاص او المجموعات او الامم. فاللغة «هي وسيلة للتعبير، خاصة وانها وسيلة الاتصال والتفاهم ولا يمكن لها بشكل من الاشكال ان تكون مستقلة عن الانسان»[٣٨]. ان معرفة لغة البلد التي يبعث المراسل اليها هي امر مهم لفهم الحياة اليومية والاحداث السياسية في ذلك البلد على حد سواء. وبالرغم من ان اللغة العربية هي اللغة الرسمية في جميع الاقطار العربية الاعضاء في الجامعة العربية تبين لنا من خلال المقابلات التي اجريناها ان جميع مراسلي الصحف والمجلات الالمانية لا يتكلمونها. وبالرغم من ان معدل السنوات التي يقضيها غالبية مراسلي الصحف الالمانية في الشرق الاوسط هي سبع سنوات، الا ان هؤلاء المراسلين يكتفون باللغتين الانكليزية والفرنسية للقيام بعملهم في البلدان العربية، مع انهم يدركون ان عدم معرفتهم للغة العربية يُسبب لهم الصعاب في متابعة اعمالهم الصحفية. وقد كان الاستثناء الوحيد مراسل دير شبيغل فيندفور فهو يتكلم اللغة العربية بطلاقة ويكتبها كتابة جيدة[٣٩].

---

(٣٥) رسالة الصحيفة أ بتاريخ ١٨ / ٧ / ١٩٧٤ ومحفوظة لدى الكاتب.

(٣٦) رسالة الصحيفة ب بتاريخ ٢٢ / ٤ / ١٩٧٥ ومحفوظة لدى الكاتب.

(٣٧) الرسالة الجوابية للمراسل «أ» بتاريخ ٢٥ / ١١ / ١٩٧٤.

(٣٨) *Rororo Lexikon*, sozlographie «Stichwort Sprache,» vol. 6, p. 1946, and *Das Bertelsmann-Lexikon*, «Stichwort Sprache,» vol. 6, p. 207.

(٣٩) أجريت المقابلة معه باللغة العربية.

وقد وجدنا من بين المحررين الذين اجرينا مقابلات صحفية معهم في المانيا الاتحادية ان هارالد فوكه (الفرنكفورتر الجماينة تسايتونغ) قد درس اللغة العربية في مصر، بالاضافة الى خدمته في السلك الديبلوماسي لألمانيا الاتحادية مدى عشرة اعوام. وقد كان في دمشق (سوريا) وبغداد (العراق) وجدة (العربية السعودية). ولم يكن المحرر الآخر الذي اجرينا لقاءً صحفياً معه يعرف اللغة العربية. ولم نستطع التأكد فيما اذا كان المحررون الآخرون يعرفونها، لأنهم رفضوا الموافقة على اجراء مقابلات صحفية معهم، كما انهم لم يجيبوا على الاستمارات. ولكننا لا نعتقد ان المحررين الموجودين في مراكز الصحيفة هم احسن حظاً من حيث معرفتهم اللغة العربية، من زملائهم المراسلين الموجودين «في الميدان». وقد اثار السيد هارالد فوكه في المقابلة التي اجريناها معه موضوع عدم معرفة اللغة العربية لدى المراسلين وحتى داخل وزارة الخارجية الالمانية الاتحادية، وكتب مقالاً يقول فيه ان العاملين في الخدمة الديبلوماسية الالمانية في الشرق تنقصهم المعرفة، اذ ان الديبلوماسيين الكبار لا يعرفون العربية او الفارسية، ولا التركية او اية لغة مشرقية(٤٠). وقد لقي هذا المقال تأييداً من الديبلوماسي الالماني الاتحادي د. هاينتس نوربرت هول (Dr. Heinz-Norbert Holl) الذي كان يعمل وقتئذٍ في القاهرة. وقد رد في رسالة وجهها الى بريد القراء في صحيفة فرنكفورتر الجماينة تسايتونغ شارحاً فيها صعوبة تعلم اللغة العربية والنقص في العارفين بها. ويقول انه يجد هذا النقص ايضاً في وسائل الاعلام الالمانية. «وبالمناسبة، ان وجود العارفين بالشرق نادر ليس فقط في وزارة الخارجية (الالمانية الاتحادية)، وانما بين مندوبي الصحافة والراديو والتلفزيون الالماني، الذين قابلتهم في الشرق الاوسط، فإن دارسي اللغة العربية بينهم ندرة»(٤١).

تقود مسألة معرفة اللغة العربية الى سؤالين آخرين مهمين، يوضحان مفهوم هؤلاء الصحفيين للأحداث في المنطقة العربية. المسألة الاولى هي مدى اهتمام الصحفيين بمشاكل المنطقة العربية، والمسألة الثانية هي مسألة مصادر الاخبار، من اين يحصل الصحفيون على اخبارهم؟

ليس للمراسلين وللمحررين الذين اجريت المقابلات معهم، ما عدا اثنين منهم، اي اعمال علمية حول مشاكل المنطقة العربية وقضاياها. وليس لديهم اي نتاج مكتوب، ما عدا كتاباتهم الصحفية في اطار عملهم الصحفي حول مسائل المنطقة العربية وقضاياها. ويظل الاستثناء الاول بينهم مونشهوزن الذي كتب اطروحته للدكتوراه عن السياسة الفرنسية تجاه الجزائر خلال الجمهورية الرابعة عام ١٩٦٢ في جامعة هيدلبرغ (Heidelberg). والاستثناء الثاني فوكه الذي كتب اطروحته للدكتوراه عن وثائق البردى في مصر الهيللينية. الا اننا نعتقد ان هذه الاطروحة لا تشكل مقياساً لمعرفة فوكه بالمنطقة العربية، وقد كانت معرفته هذه وليدة عمله الديبلوماسي في البلدان العربية. ولم تكن الكتب الاخرى التي

---

(٤٠) Vocke, *Frankfurter Allgemeine Zeitung* [FAZ], 19/11/1973.

(٤١) انظر: رسالة د. هينتس نوربرت هول في: فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ، ١٩/ ١٢/ ١٩٧٤، بريد القراء.

نشرها المراسلون الآخرون سوى نتاج مشاهداتهم ورحلاتهم في الاقطار العربية واسرائيل. وقد جمع فوكه تجاربه التي قام بها في اليمن عام ١٩٦٥ في كتاب اسمه «السيف والنجوم: جولة على الحصان في اليمن» «Das Schwert und die Sterne Ein Ritt durch den Jemen» وكتب هاينتس شيفه عن زيارته الى الارض المحتلة كتاباً تحت عنوان «تقرير من اسرائيل Report aus Israel»(٤٢). كما نشر مراسلون آخرون فهمهم للحرب الرابعة العربية الاسرائيلية في «دراسات» صغيرة منها ما كتبه لوتار رول (مراسل تسايت والبرنامج الثاني في التلفزيون الالماني) «حرب اسرائيل الاخيرة Israel Letzter Krieg». اما جيرهارد كونتسلمان فكان مسهباً في نتاجه الصحفي، وقد كتب في معظم المواضيع الشرق اوسطية، حول القضية الفلسطينية وتاريخ العرب، والنفط وقناة السويس(٤٣).

ولا بد لنا من الاشارة هنا الى ان النقص في معرفة اللغة لا يعني ان الكتابة الصحفية لمراسل يعرف اللغة ستكون بالضرورة افضل وادق من الكتابة الصحفية لمراسل لا يجيد اللغة. وقد ظهرت في هذه الدراسة بعض الحالات التي استطاع فيها المحررون الموجودون في مركز الصحيفة اعطاء تقويمات افضل وأدق حول الوضع في الشرق الاوسط من تلك التي ارسلها مراسلوهم، وبالطبع فإن العكس صحيح ايضاً. من هنا يمكن ان نقول ان الكتابة «بشكل موضوعي اكثر» في الصحافة، وبالتالي تغيير الصورة، ليست بالاساس نتاج معرفة اللغة او الاقامة في مكان الحدث، بقدر ما هي مسألة درجة الاطلاع والحصول على المعلومات من جهة، والتقويم الشخصي الذي يقوم به الصحفي نفسه لهذه المعلومات وللحدث من جهة اخرى.

اننا نرى ان المعالجة العلمية لمسألة الشرق الاوسط والعمل الطويل لسنوات كثيرة في هذا المجال هي الضمان الافضل للحصول على كتابة صحفية كفوءة اكثر من المعرفة المتخصصة في موضوع جزئي (اللغة مثلاً). ونود هنا ان نشير الى ان وجود هذه العوامل كلها مجتمعة، معرفة اللغة والمعرفة العلمية، والعمل الطويل لعدة سنوات، والاقامة في مكان الحدث، تظل الشرط المسبق الضروري لوجود كتابة صحفية جديّة، وهي الوحيدة القادرة على اضفاء الموثوقية والموضوعية على العمل الصحفي.

اما المسألة الثانية التي طرحت فهي مسألة المصادر الاخبارية: واذا كان المراسلون ـ على بعض الاستثناءات ـ لا يجيدون اللغة العربية فمن اين يحصلون على المعلومات حول الاحداث وكيف يكتبون تقاريرهم الصحفية اليومية؟ لقد اثارت هذه المسألة ـ اكثر من اي مسألة اخرى ـ اجوبة متنوعة وردود فعل مختلفة. ويبدو ان هذا السؤال لم يجد الاستحسان

---

(٤٢) Herald Vocke, *Das Schwert und die Sterne: Eine Ritt durch den Jemen* (Frankfurt / Main, 1965)

(٤٣) Heinz Schewe, *Report aus Israel* (Frankfurt / Main, Berlin / Wien: Ulstein Verlag, 1970).

والرضى لدى المراسلين والمحررين على حد سواء وقد اثار لديهم الانزعاج وعدم الارتياح.

وقد أجاب بعض الصحفيين عن هذا السؤال بكلمتين فقط: «it depends» اي: يعتمد ذلك على... وقال آخرون إنهم يحصلون على اخبارهم من خلال «الاتصالات الشخصية». وقد استشاط احد الصحفيين غضباً مدعياً بأن صحيفته تحصل على معلوماتها من «مصادر شرعية» وهذه «المصادر الشرعية» حسب مفهومه هي الصحف والمجلات والتلفزيون والراديو ووكالات الانباء العالمية، وكذلك المحادثات والنقاشات التي يجريها مع زملائه الاجانب. واضاف قائلاً ان صحيفته تضع مصدر النبأ دائماً بداية الخبر او المقال.

لقد اظهرت المقابلات الصحفية التي اجريتها ان معظم المراسلين والمحررين يحصلون على معلوماتهم واخبارهم من الصحافة الاجنبية التي تصدر في بيروت. واهم هذه المصادر هي جريدة ديلي ستار (Daily Star) (٤٤) ولوريون لوجور (l'Orient le Jour) ومجلة مؤسسة الدراسات الفلسطينية باللغة الانكليزية (Journal of Palestine Studies). كما تحتل صحيفة لوموند الفرنسية المرتبة الاولى بين الصحافة الاجنبية التي يستقي منها المراسلون والمحررون الالمان معلوماتهم عن الشرق الاوسط؛ يأتي بعدها الفاينننشال تايمس (Financial Times) البريطانية، ومجلتا نيوزويك والتايم الامريكيتان. من هنا يبدو واضحاً الفائدة التي تقدمها معرفة اللغة للصحفيين والمحررين في عملهم الصحفي. اما الاعتماد في جمع المعلومات على الصحافة الاجنبية فإنّه يعني بالضرورة الاعتماد على المصادر الثانوية.

---

(٤٤) توقفت عن الصدور اثر نشوب الحرب في لبنان عام ١٩٧٥.

الفصل الثاني

العناصر التاريخيّة للصّورة العربيّة عند الالمان[1]

(١) لا تدعي هذه المعالجة للعلاقات العربية ـ الالمانية انها معالجة تاريخية شاملة، ولكنها تحاول ان تتتبع المشاكل الاساسية التي ظهرت عبر التطور التاريخي للعلاقات بين المانيا والبلدان العربية للتوصل الى فهم افضل في هذا البحث.

اولاً: صورة العرب في المانيا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية

١ ـ السياسة العربية لالمانيا حتى نهاية الحرب العالمية الاولى

تطور الدور الذي اراد الرايخ (الامبراطورية) الالماني ان يلعبه في دوائر القوى الامبريالية، في نهاية القرن التاسع عشر، عندما بدأت المانيا علاقاتها التي لم تعمّر كثيراً مع الخلافة العثمانية، لتجد لها موضع قدم في الشرق الاوسط. ما لبثت المانيا ان اضطرت لمواجهة الحقيقة وهي ان الخلافة العثمانية كانت واقعة تحت تأثير القوى الكولونيالية التقليدية، وهي بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية، وقد اقتحمت الاراضي العربية التابعة للخلافة العثمانية آنذاك تحت تأثير هذه الدول الاستعمارية، تحت غطاء حماية الاقليات الدينية فيها. لذلك كان التقدم الالماني في المناطق العربية حذراً، وقد اقتصر في بداية المطاف على منح الخلافة العثمانية المساعدات الاقتصادية والعسكرية.

ارسلت المانيا في عام ١٨٨١ وفداً عسكرياً الى الاستانة، كانت مهمته تحديث الجيش العثماني. وفي عام ١٨٨٨ حصلت شركة المانية على امتياز لبناء خط سكة الحديد من ازمير الى انقرة. وقد علق احد المراقبين قائلاً، لقد نسف الرأسمال الالماني والشركات الالمانية المصالح البريطانية والفرنسية، وخلق ما يمكن تسميته، «الامبراطورية الاقتصادية الالمانية»، في الشرق الاوسط[٢].

---

(٢) David Thomson, ed., *The Era of Violence, 1898 - 1945* (Cambridge: University Press, 1960), vol. XII: *The New Cambridge Modern History*, p. 304.

كما حصلت «شركة الاناضول لسكك الحديد»، التي تسيطر عليها المانيا، عام ١٨٩٩، على امتياز لبناء ميناء تجاري في حيدر باشا على الجانب الآسيوي من البوسفور[٣]. وقد بلغ اجمالي الاستثمارات الالمانية في الخلافة العثمانية في نهاية القرن التاسع عشر، وحتى عام ١٩١٢ حوالى ١٠٠٠ مليون مارك (امبراطوري)[٤]. وبلغت هذه العلاقة ذروتها بمنح الصناعة الالمانية عام ١٨٩٩، امتياز بناء سكة الحديد ما بين برلين وبغداد.

وبالرغم من ان الدويتشه بانك (المصرف الالماني) الممول لهذا العطاء، حاول جاهداً الحصول على الرأسمال الروسي والبريطاني والفرنسي لتمويل بناء سكة الحديد هذه، الا ان روسيا القيصرية وبريطانيا وفرنسا رفضت دعم هذا المشروع بسبب من الموقف العدائي تجاه المانيا. وقد بدأ بناء سكة الحديد اخيراً مدعوماً بالرأسمال الالماني عام ١٩٠٤. وكشف هذا الدعم حرص المانيا القيصرية للحصول على الموارد الخاصة، وخاصة الاصواف، من المناطق العربية والنفط من شمال العراق[٥].

واعربت المانيا القيصرية في الوقت نفسه عام ١٨٩٨ عن حرصها وعن صداقتها نحو الخلافة العثمانية خلال الزيارة التي قام بها القيصر ويلهلم الثاني الى القسطنطينية وهو في طريق الحج الى فلسطين، معلناً بعد وصوله الى دمشق صداقته للعالم الاسلامي.

سنحت الفرصة للدولة الالمانية خلال هذه الزيارة لتكثف نشاطها في شؤون البلدان العربية. فقد استقبل القيصر رئيس المؤتمر الصهيوني تيودور هرتسل، واقترح الاخير على القيصر تأسيس جمعية يهودية سماها «جمعية اراضي سوريا وفلسطين» تديرها المنظمة الصهيونية، واقترح هرتسل ان توضع هذه الجمعية تحت الحماية الالمانية. ولكن القيصر الالماني رفض هذا الاقتراح لأنه اراد من جهة ان يتجنب التدخل في الشؤون الداخلية للخلافة العثمانية ولأنه كان من جهة اخرى يخشى ان يقود مثل هذا العمل الى ازعاج او استفزاز القوى الكبرى الاخرى، اي بريطانيا وفرنسا.

وكانت بريطانيا تنظر في بادىء الامر الى النفوذ الالماني في الخلافة العثمانية كسبيل من سبل التوازن للنفوذ الروسي القيصري وللنفوذ الفرنسي في تلك الخلافة. ولكنها بدأت مع بداية القرن العشرين تنظر الى النفوذ الالماني بارتياب. وقد تغير آنذاك الوضع السياسي في اوروبا، وكذلك سياسة الاحلاف بين الدول الاوروبية (مثلاً حلف الصداقة بين فرنسا وبريطانيا عام ١٩٠٤)[٦]، وكانت الدول الغربية تخشى ان يؤدي النفوذ الالماني الى ان يقوم

---

(٣) على اثر الضغوطات التي مارستها روسيا على الخلافة العثمانية سحب هذا الامتياز. انظر: المصدر نفسه، ص ٣٠٥.

(٤) Lukusz Hirszowicz, *The Third Reich and the Arab East* (London: Routhledge and Kegan Paul, 1966), p. 2,
وكانت هذه الدراسة قد صدرت اصلاً باللغة البولندية عام ١٩٦٣ في وارسو.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣.

محور برلين ـ القسطنطينية بشق اوروبا وبشكل قطري على البّر، الى نصفين[٧]. لذلك قامت بريطانيا وروسيا عام ١٩٠٧ بتوقيع اتفاقية قسمت بموجبها ايران الى «منطقة نفوذ بريطانية واخرى روسية» في محاولة لاستباق التوسع الالماني الى الشرق انطلاقاً من مهد الخلافة العثمانية[٨].

ولقد اندلعت الحرب العالمية الاولى على خلفية من النزاعات والتنافس بين الدول الكبرى، ووقفت الخلافة العثمانية في هذه الحرب الى جانب المانيا القيصرية.

وبدأ القوميون العرب آنذاك، بتنظيم انفسهم في ظل الخلافة العثمانية من اجل تأسيس دولة عربية موحدة[٩]. ولم يكن بمقدور المانيا القيصرية ان تدعم هؤلاء القوميين من اجل اهدافهم الاستقلالية، باعتبارها حليفة للخلافة العثمانية. لذا ارتأت السياسة الالمانية ان تدعم الحركة الاسلامية وتستغلها لتوجيه ضربة للمصالح البريطانية في مصر والهند[١٠].

واستقبلت الدوائر الالمانية نداء الجهاد المقدس الذي اصدره السلطان العثماني استقبالاً حاراً. واعتقدت الدولة الالمانية انه في مثل هذه الحالة يمكن ان يكون لها تأثيرها لدى القوميين العرب، وخاصة لدى قائدهم الحسين شريف مكة. ولكن بريطانيا التي كان يمثلها في مصر المندوب السامي مكماهون، اجرت عام ١٩١٦ محادثات مع شريف مكة ووعدته خلالها بالدعم المادي وبتأييد اهدافه الاستقلالية اذا ما انتفض ضد الخلافة العثمانية. الا ان شريف مكة واعوانه لم ينظروا الى المانيا كحليف لهم، حتى بعد اعلان وعد بلفور عام ١٩١٧، وبعد ان اصبح واضحاً بأن المنطقة العربية قد اقتسمتها بريطانيا وفرنسا.

وحاول الصهاينة الالمان خلال الحرب العالمية الاولى الحصول على دعم الحكومة الالمانية لخططهم الاستيطانية في فلسطين. واقترح م. أ. بودنهايمر وقادة صهاينة آخرون على الحكومة الالمانية تحريك يهود بولندا وروسيا من خلال المنظمة الصهيونية ليتعاونوا مع قوات الرايخ الالماني المتقدمة شرقاً.

واذا ما اخذنا بعين الاعتبار المذابح التي اقامتها روسيا القيصرية ضد اليهود فإن ذلك

---

(٧) Thomson, *The Era of Violence, 1898 - 1945*, p 305.

(٨) المصدر نفسه، ص ٢٠٧.

(٩) لا نستطيع ان نعالج في هذه السطور نشوء وتطور القومية العربية، ويمكن للقارىء ان ينظر في هذا الصدد الى: George Antonious, *The Arab Awakening: The Story of the Arab National Movement* (London: H. Hamilton, 1945), ch. IV ; Zeine N. Zeine, *Arab Turkish Relations and the Emergence of Arab Nationalism* (Beirut: Khayat, 1958), ch. 5, and Ibrahim I. Ibrahim, «Der Aufstieg des Nationalismus,» in: Friedemann Büttner, ed., *Reform und Revolution in der Islamischen Welt*, Taschen- bücher der Wissenschaft, 1505 (München:List Verlag, 1971).

(١٠) Fritz Fischer, *Griff nach der Weltmacht: Die Kriegszielpolitik des Deutschland, 1914 - 1918* (Düsseldorf: Droste, 1967).

الاقتراح لم يكن غير واقعي[١١]. ولكن حتى لو تمّ قبوله، فإن توسيع النفوذ الالماني في منطقة الشرق الاوسط لم يعد ممكناً ـ ولو الى حين ـ بسبب رفض القوميين العرب الاوائل التعاون مع المانيا القيصرية.

٢ ـ السياسة العربية لالمانيا ما بين الحرب العالمية الاولى والثانية

حرمت المانيا القيصرية بسبب هزيمتها وحلفائها في الحرب العالمية الاولى من الحصول على النفوذ في الوطن العربي. وتم تقسيم الامبراطورية العثمانية، واخضعت البلدان العربية للانتداب البريطاني والفرنسي. وبموجب اتفاقية سان ريمو لعام ١٩٢٠ التي وافقت عليها عصبة الامم عام ١٩٢٣، وقعت فلسطين وشرقي الاردن تحت الانتداب البريطاني.

ولم يكن لجمهورية فايمار (Weimar)، وهي التي حلت محل الحكومة القيصرية في المانيا، اي نفوذ سياسي يذكر في الوطن العربي. وكان هدف تلك الجمهورية اعادة بناء المانيا من جهة، والغاء اتفاقية فرساي من جهة ثانية. ولم تكن علاقاتها التجارية مع البلدان العربية كبيرة، ما عدا الفترة ١٩٢٥ ـ ١٩٣٠ والتي شهدت انتعاشاً في العلاقات التجارية بين المانيا ومصر.

ولم يكن للاقطار العربية «لا في جمهورية فايمار ولا في الفترة النازية»، اي دور كبير في الاقتصاد الالماني[١٢]، الذي كان يبحث عن امكانيات لتصدير منتجاته، خاصة وانه فقد اسواقه نتيجة للهزيمة في الحرب العالمية الاولى. وقد عملت ايضاً الحكومة الاشتراكية الوطنية النازية لتحقيق هذا الهدف ايضاً. لذلك انصبت جهود الحكومة النازية في بداية الثلاثينات على تحسين العلاقات الاقتصادية مع الاقطار العربية وكان عليها ان تعمل بحذر، لوقوع هذه الاقطار اما تحت الانتداب البريطاني او الفرنسي. لذلك اكد السفير الالماني في القاهرة ورئيس مصرف دريزدن (Dresdener Bank) في القاهرة اكثر من مرة بأنه «لا يمكن لأي صفقة كبيرة ان تتم الا بموافقة انكلترا»[١٣].

وكانت السياسة الخارجية الالمانية النازية حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية مركزة على اوروبا. من هنا فإنها لم تقدّم اي دعم للعرب الذين ينادون بالتحرر من الانتداب البريطاني والفرنسي. ولم يطرأ على هذه السياسة اي تغيير حتى بعد صدور تقرير لجنة بيل (Peel Commission Report) الذي دعا الى تقسيم فلسطين بين الفلسطينيين واليهود. ولكن قادة الحركة الوطنية العربية في فلسطين والعراق وسوريا ولبنان، كانوا يأملون ان تأخذ الحكومة الالمانية

---

(١١) Max Isidor Bodenheimer, *So Wurde Israel* (Frankfurt / Main: Europaïsche Verlag Anst., 1958), p. 183 ff,and K. Polkehn, «Die Kollaboration der Zionisten mit dem deutschen Kaiserreich und dem deutschen Faschismus,» *Resistentia Schriffen* (Frankfurt), no. 12,(1971).

(١٢) Hirszowicz, *The Third Reich and the Arab East*, p. 16.

(١٣) المصدر نفسه، ص ١٧.

موقفاً معارضاً لتقرير لجنة بيل، وان تصدر بياناً ضد نتائج التقرير(١٤). ولكن السياسة الخارجية الالمانية لم تحقق لهم هذا الامل، لأنها لم تكن مستعدة بعد لمواجهة بريطانيا. ولم تتغير هذه السياسة الا باندلاع الحرب العالمية الثانية. فكانت المانيا النازية تأمل ان تحرك الجانب العربي لاتخاذ سياسة معادية لبريطانيا.

وقد حقق الالمان بعض النجاح الاولي في سنوات الثلاثينات في بعض البلدان العربية في العراق والعربية السعودية وفلسطين. وفي هذه الفترة قامت عدة انتفاضات وطنية ضد السلطة البريطانية في العراق. وقد سنحت الفرصة امام المانيا لتطوير نفوذها السياسي والاقتصادي في العراق، بعد وقوع الثورة فيها في ٢٩ تشرين الاول/ اكتوبر من عام ١٩٤١، التي جاءت بالحكومة الكيلانية الى السلطة، وكان هدفها تحقيق استقلال العراق عن بريطانيا. الا ان هذا الوضع لم يدم طويلاً، حيث اعادت القوات البريطانية العائلة المالكة الى العراق الى عرشها بعد هربها. وقد حقق اندلاع الحرب العالمية الثانية، الفرصة السانحة لالمانيا لتوطيد نفوذها السياسي في الوطن العربي. وكان هذا التأثير بالغاً خاصة في الاقطار التي كانت تحت الانتداب البريطاني. ورأى القوميون العرب في الثلاثينات والاربعينات في المانيا حليفاً في نضالهم ضد بريطانيا. ولكن نشاطهم لم يخرج عن هذا الاطار خلال الحرب العالمية الثانية(١٥).

اما العربية السعودية فقد وقّعت المانيا معها قبيل انلادع الحرب في ايار/ مايو ١٩٣٩ اتفاقية لبيع السلاح، ولكنها بعد اندلاع الحرب وقفت الى جانب بريطانيا ضد ألمانيا(١٦).

ولما كان قيصر المانيا لم يستطع تحقيق مآرب المنظمة الصهيونية، اي تأسيس الجمعية اليهودية تحت اسم «جمعية اراضي سوريا وفلسطين» وكان هدفها استعمار فلسطين، فقد استطاع النظام النازي الهتلري في ألمانيا تحقيقه للصهاينة. وبذلك فقد برهنت المنظمة الصهيونية عن استعدادها للتعاون مع النظام الاشتراكي الوطني النازي من اجل تحقيق الاستيطان الصهيوني في فلسطين على الرغم من الضغوطات التي مارسها النظام النازي باتباع السياسة المعادية للسامية. ولقد رحّب الاقتصاد الالماني بهذا التعاون، بسبب ما سيفتحه امامه من اسواق في احد البلدان العربية. وتبلور هذا التعاون بتوقيع الاتفاقية المعروفة باسم، اتفاقية «هافارا» او «التحويل»، تلك الاتفاقية التي وقّعها في ٢٥ آب/

---

(١٤) *Akten Zur Deutschen Auswärtigen Politik, 1918 - 1945*, Serie D, vol. 1 - 9 (Baden-Baden: Imprimerie nationale, 1950), documents no. 566, 569, 574, and 578.

(١٥) Heinz Tillmann, *Deutschlands Araberpolitik im Zweiten Weltkrieg* (Berlin: VEB Deutscher Verlag der Wissenschaft, 1965).

(١٦) ان تقارير المبعوث الالماني الذي تفاوض ووقع الاتفاقية موجودة في: المصدر نفسه، ص ٣٤ - ٣٦؛ Hirszowicz, *The Third Reich and the Arab East*, pp.43 - 62, and *Akten zur Deutschen Auswärtigen Politik, 1918 - 1945*, Serie D, vol. 1, p. 336 ff.

اغسطس ١٩٣٣، ممثلون عن الصهاينة الالمان من جهة، ووزارة الاقتصاد الالمانية النازية من جهة ثانية، وكان الهدف منها «تدعيم هجرة اليهود الألمان الى فلسطين من خلال تقديم المبالغ الضرورية دون الارهاق المفرط بالموجود النقدي في مصرف الرايخ، وفي الوقت نفسه زيادة الصادرات الالمانية الى فلسطين»(١٧).

ومن اجل تنفيذ مشروع استيطان فلسطين، فقد تم الاتفاق على تدعيم هجرة اليهود من المانيا النازية، ولكن تلك الهجرة يجب ان تكون «منظمة» تتناسب مع المقدرة الاستيعابية الاقتصادية(١٨) في فلسطين. ومن هنا كان التشديد على ضرورة السماح بتحويل الاموال حسب ما جاء في الاتفاقية، وبالفعل فقد تم تحويل اربعين مليون مارك ما بين ١٩٣٣ ـ ١٩٣٩، من اموال اليهود الالمان المهاجرين الى فلسطين(١٩).

ولجأت الحكومة الالمانية الى تشديد الاجراءات ضد هجرة الرأسمال الالماني كما ورد في الاتفاقية المذكورة نظراً للقرار الالماني حول اعادة بناء الاقتصاد الحربي، واخيراً، فقد حظر تصدير سلع كثيرة الى الخارج خاصة المصنوعة من المعادن، كما شددت الاجراءات ضد اليهود، خلال ١٩٣٨، واستخدمت حادثة اغتيال الوزير المفوّض في السفارة الالمانية في باريس، فون رات، على يد الشاب اليهودي غورنشبان (Grühspan) البالغ سبعة عشر عاماً لتصعيد ملاحقة اليهود. وكانت حصاد ذلك احداث «ليلة البلور او الكريستال» (Kristallnacht) . وقد دمرت فيها املاك اليهود في المانيا في ليلة ٩ ـ ١٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٣٨. وارغم اليهود على دفع «غرامة» بلغت ملياراً وربع المليار مارك(٢٠) وبلغ عدد الاجراءات المعادية التي فرضت على اليهود ٢٥٠ اجراءً، وسلب ما تبقى من حقوق الانسان لليهود القاطنين في المانيا. واتخذت في ٢٠ كانون الثاني/ يناير ١٩٤٢ قرارات في «مؤتمر فن زية (Wannsee Konferenz) وضعت «الحل النهائي للمسألة اليهودية (die Endlösung der Judenfrage) والتي ادت الى ابادة عدة ملايين من اليهود الاوروبيين.

وبالرغم من إبادة النازيين لليهود، لم يتوان معظم القادة الصهاينة في المناطق التي احتلها الجيش الالماني خلال الحرب العالمية الثانية عن التعاون مع سلطات الاحتلال الالمانية. وكان هدف المنظمة الصهيونية من ذلك تحقيق «الهجرة المنتقاة»، من القوى

---

(١٧) Ludwig Pinner, «Vermögenstransfer nach Palästina, 1933-1939,» in: In Zwei Welten, *Siegfried Moses Zum Fünfundsiebzigsten Geburstag* (Tel Aviv, 1969), p. 138.

ولمزيد من التفاصيل حول هذه الاتفاقية انظر: Werner Feilchenfeld, et al., *Haavara-Transufer nach Palästina und Einwanderung der Deutschen Juden, 1933 - 1939* (Tübungen: J. C. B. Mohr, 1972).

(١٨) صاحب هذا المصطلح (economic absorbtion capacity) هو تشرشل.

(١٩) Birgit Sommer, «Die Beziehungen BRD - Israel,» in: Hakam Abdel -Hadi, et al., *B R D, Israel und die Palästinenser: Fallstudie Zur Ausländerpolitik* (Köln: Pahl - Rugenstein Verlag, 1973), p. 36.

(٢٠) Jekutiel Deligdisch, *Die Einstellung der Bundesrepublik Zum Staate Israel* (Bonn - Bad Godesberg: Verlag Neue Gesellschaft, 1974), p. 13.

اليهودية المدربة الى فلسطين لتساعد في عملية الاستيطان(٢١).

ولقد قاد انهيار المانيا في الحرب العالمية الثانية الى احتلالها من قبل الحلفاء، واقيمت عام ١٩٤٩ جمهورية المانيا الاتحادية. كما اقيمت قبل عام، اي في ١٩٤٨، دويلة اسرائيل على جزء من الاراضي الفلسطينية. اما الجزء الآخر اي الضفة الغربية، فقد انضم الى الاردن، ووضع جزء ثالث، اي قطاع غزة، تحت الادارة المصرية. وعلى خلفية هذه الاحداث، اي ابادة اليهود الاوروبيين، واقامة دولة اسرائيل، ونشوء القضية الفلسطينية، تطورت ديبلوماسية المانيا الاتحادية وتعاملت مع الاقطار العربية.

ونظراً لقيام ألمانيا الاتحادية بعد ألمانيا النازية، فقد وافقت على تحمل المسؤوليات القانونية المترتبة على ذلك، بينما لم توافق جمهورية المانيا الديمقراطية. لقد ارادت المانيا الاتحادية ان «تكفر» عن خطيئة الماضي القريب، بقيام علاقة «خاصة» مع اسرائيل، ولكن هذه العلاقة الالمانية ـ الاسرائيلية، تركت تأثيرات سلبية كبيرة على الجانب العربي وخاصة الفلسطيني.

سوف نعالج في الفقرة التالية علاقة المانيا الاتحادية مع العرب وقد ترك هذا الوضع وهذه التطورات تأثيراً كبيراً على موقف المانيا الاتحادية وصحافتها.

ثانياً: صورة العرب وسياسة المانيا الاتحادية حتى حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧

قامت جمهورية المانيا الاتحادية إثر انهيار المانيا الهتلرية عام ١٩٤٩، وظلت تحت سيطرة القوى الحليفة الغربية المنتصرة في الحرب العالمية الثانية وهي بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية. وكانت حرية الحركة السياسية والقانونية للسلطة الالمانية الاتحادية محدودة جداً، وخاصة ضمن مجال العمل في الشؤون السياسية الخارجية المرتبط بالقوات الحليفة(٢٢). وبالرغم من هذا الوضع لم يكن رئيس الاتحاد المسيحي الديمقراطي

---

(٢١) انظر محاكمة د. رودولف كاستنر(Rudolf Kastner) مسؤول لجنة الانقاذ التابعة للوكالة اليهودية في المجر في: Criminal Case 124 / 53 in the district court of Jerusalem; Ben Hecht, *Perfidy* (New York [N. Y.]: Julien Messner, 1961); Jon and David Kimche, *The Secret Roads: The «Illegal» Migration of a People, 1938 - 1948* (London: Secker and Warburg, 1954), and Robert Briscoe, *For the life of Me* (Boston:Little, Brown, 1958).

(٢٢) Heinrich End, *Zweimal deutschen Aussenpolitik: Internationale Dimensionen des inner-deutschen Konflikts, 1949 - 1972* (Köln: Verlag Wissenschaft und Politik, 1973), p. 32.

هناك دراسات اخرى مهمة عن سياسة المانيا الغربية في هذه الفترة منها: Waldemar Besson, *Die Aüssenpolitik der Bundesrepublik: Erfahrungen und Massstäbe* (München R. Piper and Co. Verlag, 1970), and Hans - Peter Schwartz, «Das Aussenpolitische Konzept Adenauers,» in: Rudolf Morsey und Konrad Repgen, eds., *Adenauer Studien I* (Mainz, 1971).

(Christliche Demokratische Union) في القطاع البريطاني من ألمانيا ورئيس المجلس البرلماني كونراد اديناور[٢٣] على استعداد للتخلي عن النشاط السياسي الخارجي لجمهورية المانيا الاتحادية[٢٤] فقد كان اديناور يعتبر علاقاته مع المندوبين الساميين للحلفاء «على نحو او آخر علاقات خارجية»[٢٥].

القى اديناور بعد خمسة ايام من انتخابه مستشاراً اتحادياً في ٢٠ ايلول/ سبتمبر ١٩٤٩ البيان الحكومي الاول لجمهورية المانيا الاتحادية وحدد هدفين مهمين لحكومته ستعمل من اجل تحقيقهما، الاول: الاندماج بالغرب، والثاني: اعادة توحيد المانيا.

وكان يرى ان تحقيق الهدف الاول يتم بالانضمام الى الاتحاد الاوروبي[٢٦]، اما الهدف الثاني فكان يرى انه يتم بـ «اعادة الوحدة الالمانية ضمن اطار اوروبا حرة وموحدة»[٢٧]. وضمن

---

(٢٣) شهدت السنوات ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩ مجادلات كبيرة بين ممثلي الاحزاب الالمانية المختلفة، خاصة بين حزب الاتحاد المسيحي الديمقراطي CDU والحزب الاشتراكي الالماني SPDوالحزب الشيوعي الالماني KPDوحزب الاحرار الالماني FDP من جهة وداخل هذه الاحزاب من جهة اخرى حول شكل واتجاهات الدولة الالمانية. ولا يمكننا هنا استعراض جميع هذه المواقف، ويمكننا ان نشير الى الاتجاهين في الحزب الديمقراطي المسيحي، فيما يتعلق بسياسة المانيا الداخلية. الاتجاه الاول كان ينادي «بالحفاظ على الحد الادنى من حرية الحركة لالمانيا امام الحلفاء المنتصرين في الشرق والغرب على حد سواء. اما الاتجاه الآخر فقد استخلص النتائج من تقسيم العالم ورأى عدم امكانية تجنب تقسيم المانيا. وكان يعني قيام دولة منفصلة في المانيا الغربية، يعتمد تطورها على درجة ارتباطها بالغرب». انظر:
Besson, Ibid, p. 34.

وكان جاكوب قيصر Jakob Kaiser يمثل الاتجاه الاول الذي كان يتصور بأن المانيا يمكنها ان تلعب دور الجسر بموقعها في وسط اوروبا. انظر: المصدر نفسه، ص ٣٤ ـ ٤٠. اما ممثل الاتجاه الثاني، فكان كونراد اديناور. وما يهمنا هو الاتجاه الذي دعا اليه اديناور، لأنه ادار سياسة المانيا الاتحادية خلال عقدين من الزمان. ويمكن مراجعة سياسة جاكوب قيصر، في: Werner Conze et al., *Jakob Kaiser: Politiker Zwischen Ost und West, 1945 - 1949* (Stuttgart, 1969).

أما كورت شوماخر Kurt Schumacher رئيس الحزب الاشتراكي SPD فكان ينادي بقيام المانيا، «ديمقراطية واشتراكية». ويقدم بيسون في: المصدر نفسه، ص ٦١ ـ ٦٨، اسس نظرته السياسية وفهمه لدور المانيا بعد الحرب.

(٢٤) Rainer Büren, «Die Arabischen Staaten in der Aussenpolitischen Konzeption der Bundesrepublik Deutschland,» in: Friedrich Helmuth Kochwasser und Hans R. Roemer, eds., *Araber und Deutsche: Begegnungen in einem Jahrtausend* (Tübingen / Basel: Horst Erdmann Verlag, 1974), p. 11, and Besson, Ibid., pp. 56 - 75.

(٢٥) المصدر نفسه، ص ٦٨.

(٢٦) المصدر نفسه، ص ٧٢، ويعتقد بيسون انه يمكن اتباع هذا الهدف بالانضمام الى اوروبا الغربية لدى اديناور منذ عام ١٩٤٥. انظر: المصدر نفسه، ص ٥٦ ـ ٥٧.

(٢٧) انظر: Büren, «Die Arabischen Staaten in der Aussenpolitischen Konzeption der Bundesrepublik Deutschland,» pp. 11 - 12.

وكان اديناور يعتقد ان سبب تقسيم المانيا هو التوتر القائم بين الدولتين الكبريين والثنائية في النظام الدولي التي نجمت عن ذلك. واذا ما تم ازالة هذا التوتر فيمكن للوحدة ان تتم. انظر: Besson, Ibid, p. 72.

العمل من اجل الاندماج مع الغرب ذكر محاولات المانيا الاتحادية من اجل «التحرر واعادة التأهيل»(٢٨). وهذا كان يعني بأن المانيا الاتحادية تعتبر نفسها الوريث القانوني للرايخ الالماني(٢٩). فعليها اذن ان تتنصل من «الاعمال غير القانونية للنظام الاشتراكي الوطني» النازي، وكجزء من عملية اعادة التأهيل للعودة الى الاسرة الدولية تمت عملية دفع التعويضات (Wie-dergutmachung) الى اولئك الذين سبب لهم الرايخ الثالث الهتلري مصائب جمة، وخاصة دفع التعويضات لليهود.

وكانت احدى اولويات السياسة الخارجية لالمانيا الاتحادية، حتى عام ١٩٦٥، هي سياسة عدم الاعتراف بجمهورية المانيا الديمقراطية، اي عدم السماح لطرف ثالث بالاعتراف بها. وعلّلت المانيا الاتحادية هذه السياسة باعتبارها الوريث القانوني للرايخ الثالث، وبالتالي فإنها تمثل الشعب الالماني ككل(٣٠). ولكي تضمن نجاح هذه السياسة اعلنت المانيا الاتحادية مبدأ هالشتاين (Hallstein) الذي شرحه السيد ولهلم كريفه (Wilhelm Grewe) رئيس القسم السياسي في وزارة الخارجية الالمانية في مؤتمر لسفراء المانيا في كانون الاول/ ديسمبر ١٩٥٥، ونعت إقامة اي علاقة مع جمهورية المانيا الديمقراطية من قبل اي دولة ثالثة بأنه عمل غير ودي ويعطي المانيا الاتحادية الحقّ في فرض عقوبات تصل الى قطع العلاقات الديبلوماسية مع تلك الدولة الثالثة(٣١).

من هنا نرى ان المبادىء الثلاثة هذه: وهي إعادة تأهيل المانيا الاتحادية، ودفع التعويضات لاسرائيل، وعدم الاعتراف بالمانيا الديمقراطية، قد تركت تأثيراً كبيراً على تطور العلاقات الالمانية العربية.

اعترف اديناور، مستشار المانيا الاتحادية، يوم ١٩ ايلول/ سبتمبر ١٩٥٢ باسرائيل عندما وقّع معها اتفاقية لوكسمبورغ، وقبل فيها ان تكون اسرائيل شريكاً في اتفاقية دفع التعويضات، اي ان يتم دفع التعويضات لاسرائيل(٣٢). وقد طالبت اسرائيل بعد قيامها المانيا الاتحادية بدفع التعويضات المالية لتستطيع ان تعيد تأهيل ودمج حوالى نصف مليون مهاجر يهودي استطاعوا الهرب من المانيا النازية. وكان هذا القرار باعتبار اسرائيل الجهة التي

---

(٢٨) Büren, Ibid., p. 12

(٢٩) End, *Zweimal deutschen Aussenpolitik: Internationale Dimensionen des innerdeutschen Konflikts, 1949-1972*, p. 24.

(٣٠) المصدر نفسه، ص ٢٤ - ٢٧.

(٣١) Büren, «Die Arabischen Staaten in der Aussenpolitischen Konzeption der Bundesrepublik Deutschland,» p. 14, and Besson, *Die Aüssenpolitik der Bundesrepublik: Erfahrungen und Massstäbe*, pp. 197 - 203.

(٣٢) *Economic Review Jerusalem*, vol. 10, no. 54 (12 September 1957), p. 1.

نقلاً عن: Jörg Seelbach, *Die Aufnahme der Diplomatischen Beziehungen Zu Israel als Problem der deutschen Politik Seit, 1955* (Meisenheim a. Glan: Hain, 1970), p. 7.

تستطيع تسلّم التعويضات باسم اليهود، «قراراً اتخذ عن سابق وعي». وكان لتوقيع اتفاقية لوكسمبورغ يوم ١٠/ ٩/ ١٩٥٢، بالنسبة لاديناور معنى خاصاً. ففي الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم، كان عليه ان يترأس الاجتماع الاول لوزراء الفحم والصلب التابع لمجلس وزراء الاسرة الاوروبية. وكان رأيه انه فقط بالتوصل الى توقيع هذه الاتفاقية الالمانية ـ الاسرائيلية، تقوم الخلفية الاخلاقية التي تستطيع معها المانيا الاتحادية العبور الى الاسرة الدولية الحرة(٣٣).

لقد حدد اديناور توقيع الاتفاقية بالاضافة «الى جانبها الاخلاقي، بالسعي الى اعادة التأهيل والتحرر والاندماج بالغرب»(٣٤).

لم يكن للاقطار العربية (وكان اكثرها لم يحقق استقلاله بعد) سوى دور ثانوي ضمن هذا الاطار لسياسة المانيا الاتحادية الخارجية(٣٥). وقد كانت اهمية هذه الاقطار بالنسبة لألمانيا الاتحادية (بصرف النظر عن العلاقات التجارية القائمة بينها) بقدر دعمها او اعاقتها لهذا التصور السياسي الخارجي.

وقد ظلت الاقطار العربية حتى عام ١٩٦٧ تتبنى سياسة عدم الاعتراف بدولة اسرائيل، وعللت هذه السياسة بأن قيام اسرائيل كان ضد ارادة الشعب العربي والشعب الفسلطيني الذي كان يشكل حتى عام ١٩٤٨ الغالبية الساحقة من سكان فلسطين، وبأن اسرائيل رفضت باستمرار عودة الشعب الفسطيني الى وطنه. ومن هنا اعتبرت البلدان العربية اتفاقية لوكسمبورغ التي اعترفت وفقها المانيا الاتحادية باسرائيل كشريك موقع على هذه الاتفاقية، ضربة قوية لسياسة عدم الاعتراف باسرائيل التي تتبعها. واظهرت البلدان العربية خطورة الاعتراف باسرائيل خاصة ان الاموال الالمانية المدفوعة لاعادة تأهيل المستوطنين اليهود على الارض الفلسطينية يتم على حساب الشعب الفلسطيني المشرّد(٣٦).

وبالرغم من هذا، تفهمت البلدان العربية سعي ألمانيا الاتحادية للتنصل من اعمال بل من جرائم النظام النازي؛ ولكن ما لم تستطع استيعابه هو ان يتم هذا التنصل على حساب الشعب الفلسطيني. ان دفع التعويضات ساعد كثيراً في بناء اسرائيل. وقد بلغت الاموال الالمانية الغربية المدفوعة الى اسرائيل حتى منتصف ١٩٦٥ حوالى ثلاثة مليارات

---

(٣٣) *Das Parlament*, no. 45 (4 November 1972).

(٣٤) Büren, «Die Arabischen Staaten in der Aussenpolitischen Konzeption der Bundesrepublik Deutschland,» p. 13.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ١٤.

(٣٦) قارن في هذا الصدد كلمة مندوب الحزب الشيوعي الالماني السيد موللر في البندستاغ (البرلمان) الذي رفض هذه الاتفاقية، انظر: Rolf Vogel, *Deutschlands Weg Na Ch Israel: Eine Dokumentation* (Stuttgart: Seewald Verlag, 1967), pp. 94 - 95.

ونصف مليار مارك الماني، وكانت سبباً دون شك لدعم استقرار اسرائيل(٣٧).

وقد نقلت البلدان العربية عبر الجامعة العربية او بشكل فردي رفضها وادانتها لسياسة المانيا الاتحادية تلك، ولكنها لم تستطع ان تغير او تحدّ من هذه السياسة الالمانية الغربية، حتى اصيب الشعور العربي بالمرارة واليأس(٣٨). وكانت البلدان العربية في بداية الخمسينات تقارن سياسة عدم الاعتراف التي تنتهجها ضد اسرائيل بسياسة عدم الاعتراف التي تنتهجها المانيا الاتحادية ضد الاعتراف بالمانيا الديمقراطية.

وبالرغم من هذا الاختلاف بين البلدان العربية وألمانيا الاتحادية، فقد حققت الاخيرة في هذه الفترة اول نجاحاتها مع البلدان العربية. واخذت السياسة الالمانية الشرق اوسطية تؤكد اهمية الدور الذي تلعبه مصر في الوطن العربي، محاولة ايجاد موطىء قدم لها في الوطن العربي عبر مصر. واستطاعت ذلك بعد فترة قصيرة من نجاح ثورة «الضباط الاحرار» في مصر. فتبادلت المانيا الاتحادية والجمهورية المصرية العلاقات الديبلوماسية في يوم ١٦ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٥٢. وكانت قد تبادلت العلاقات الديبلوماسية مع سوريا قبل يومين من هذا التاريخ.

لقد نظرت البلدان العربية بشكل ايجابي للدور الذي لعبته المانيا الاتحادية آنذاك خلال الاعوام ١٩٥٤/ ١٩٥٥ عندما حاولت الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا دفع البلدان العربية للاسهام في سياسة معادية للاتحاد السوفياتي من خلال محاولات اشراكها في حلف السنتو او السياتو حيث لم تشترك المانيا الاتحادية ضمن اطار هذه السياسة(٣٩).

وبالرغم من هذه الحقيقة فإن التسميات التي اطلقتها السياسات الغربية على اي سياسة مستقلة يمكن ان تنتهجها البلدان العربية على انها سياسة معادية للغرب ومؤيدة للاتحاد السوفياتي، قد تركت اثرها السلبي على الرؤية الالمانية الاتحادية تجاه الاقطار العربية، حيث كانت اكثر القوى السياسية المؤثرة في المانيا الاتحادية، تشك في اي تعبير استقلالي للسياسة العربية، وتعتبره «برهاناً على تبعية تلك الدولة العربية المعنية للسوفيات»(٤٠). لذا فإن المانيا الاتحادية لم تصدر عنها خلال العدوان الثلاثي على مصر الذي قامت به اسرائيل وفرنسا وبريطانيا في عام ١٩٥٦ سوى بيان حذر لم يُدن هذا العدوان(٤١).

---

(٣٧) Besson, *Die Aussenpolitik der Bundesrepublik: Erfahrungen und Massstäbe.*

(٣٨) Joachim Kreysler und Klaus Jungfer, eds., *Deutsche Israel -Politik Entwicklung oder Politische Masche* (Dissen /Amersee: V. Tucher Verlag, 1965), p. 18 ff.

(٣٩) Büren, «Die Arabischen Staaten in der Aussenpolitischen Konzeption der Bundesrepublik Deutschland,» p. 16.

(٤٠) المصدر نفسه.

(٤١) بيان المستشار الاتحادي حول السياسة الخارجية ألقاه في البوندستاغ الالماني يوم ٨ / ٢ / ١٩٥٦ في: *Die Auswartige Politik der Bundesrepublik* (Köln, 1972), p. 343

صدر هذا المرجع عن وزارة الخارجية الالمانية الاتحادية.

ان موقف الاتهام هذا للاقطار العربية بالتبعية للسوفيات، كان له اثره على الموقف المعادي للعرب في وسائل اعلام المانيا الغربية ايضاً، خلال ازمة ١٩٦٥ في العلاقات العربية ـ الالمانية الغربية(٤٢).

ان اتفاقية اللوكسمبورغ لم تعكر العلاقات بين الاقطار العربية والمانيا الاتحادية فحسب وانما قررت موقف المانيا الاتحادية من القومية العربية. وان علاقة الالمان بموضوع القومية كانت علاقة حذرة، خاصة ان المانيا الاتحادية قررت بناء على تجربة الالمان تحت النازية ان تقف ضد اي مظهر من مظاهر القومية الالمانية دون التخلي عن الوحدة الالمانية او ان تسقط حقها في ان تكون الممثل الوحيد للشعب الالماني. ففي الاقطار العربية، وفي الدول الاخرى في العالم الثالث، تشكل فكرة القومية ومنها القومية العربية، قوة دافعة مهمة في سياساتها. وقد نقلت «قوى سياسية واعلامية مهمة» في المانيا الاتحادية موقفها السّلبي تجاه القومية الالمانية دون تدقيق الى القومية العربية، واتخذت موقفاً ناقداً من القومية العربية(٤٣).

ولم تر هذه القوى في بداية الامر، ان المشاعر القومية في دول العالم الثالث بما فيها البلدان العربية، تعني «تدعيم الهوية الشخصية والتحررية» معاً، على العكس من القومية الغربية الصناعية المتطورة(٤٤).

وقد وجدت سياسة بون في الخمسينات وفي بداية الستينات حول عدم الاعتراف بالمانيا الديمقراطية تفهماً لدى البلدان العربية. ومما كان عاملاً على بلورة هذا الموقف تلك الاهمية الاقتصادية لألمانيا الاتحادية من جهة، والشعور العام المتبادل لدى البلدان العربية من انها وألمانيا تعمل من اجل وحدة كياناتها(٤٥). لذلك «فقد ظل نشاط المانيا الديمقراطية، حتى في حالات الازمات الكامنة، تحت السيطرة»(٤٦).

ازمة ١٩٦٥

كان السبب الرئيسي لنشوب تلك الازمة ما ورد من التقارير عام ١٩٦٤ حول اتفاقية

---

(٤٢) Büren, Ibid., p. 16.
حول موقف المانيا الاتحادية من العدوان الثلاثي على مصر، انظر:
Joseph T.Malone, «Germany and the Suez Crisis,» *Middle East Journal,* vol. 20, no. 1 (1966), pp. 20-30.

(٤٣) Buren, Ibid., p. 17.

(٤٤) Bassam Tibi, *Nationalismus in der Dritten Welt am Arabischen Beispiel* (Frankfurt / Main: Europäische verlagsanstalt, 1971), p. 44.

(٤٥) Büren, Ibid., p. 18.

(٤٦) Siegfried Kupper et al., *Die Tätigkeit der DDR in der nicht kommunistischen Ländern: 6 Arabische Staaten und Israel* (Bonn: Forschungs - Institut der deutschen Gesellschaft für Auswärtige Politik, 1971)
وذلك نقلاً عن: المصدر نفسه، ص ١٨.

سرية كان اديناور وديفيد بن غوريون قد وقّعاها عام ١٩٦٠ في فندق والدورف استوريا وتعهدت فيها المانيا الاتحادية بتزويد اسرائيل بالسلاح. وقد تم توقيع هذه الاتفاقية تحت ضغط مارسته الولايات المتحدة الامريكية على المانيا الاتحادية(٤٧).

كان اديناور يريد من موافقته على هذه الاتفاقية ان يحقق هدفين، الاول: ان يتقرّب من الولايات المتحدة، والثاني: ان «يُظهر مرة اخرى مصداقية سياسة إعادة التأهيل التي يتبعها»(٤٨).

وبالرغم من ان ادارة اديناور كانت تدّعي بأن توقيع هذه الاتفاقية كان تحت عبء الضغوطات التي مارستها الولايات المتحدة، الا ان بعض الباحثين الالمان حاولوا اثبات العكس(٤٩). وبناء على قولهم فإن الولايات المتحدة، لم تعلم بالمباحثات الا بعد البدء بها وان السبب الكامن من وراء توقيع اتفاقية تزويد اسرائيل بالسلاح هو حسب رأيهم يعود الى البدء بمحاكمة ايخمان في القدس المحتلة(٥٠). وقد اخرت الحكومة الالمانية مرحلة تبادل العلاقات الديبلوماسية مع اسرائيل لأنها كانت ترى «من الضروري منع الدول العربية من التقرّب الى حكومة القطاع السوفياتي»(٥١) اي جمهورية المانيا الديمقراطية.

وبعدما تأكدت صحة التقارير حول هذه الاتفاقية، قام رئيس البوندستاغ اويجين جيرستنماير، بزيارة الى القاهرة في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٤، لشرح هذه الاتفاقية للرئيس جمال عبد الناصر. ولكن حكومة المانيا الاتحادية لم تف بالتعهد الذي قطعه جيرستنماير للرئيس عبدالناصر بايقاف شحن الاسلحة فوراً، ولم يتوقف الشحن الا بعد قبول رئيس مجلس الدولة في جمهورية المانيا الديمقراطية فالتر اولبرشت (Walter Ullbricht) الدعوة لزيارة مصر. فقد اوقف مستشار المانيا الاتحادية لودفيغ ايرهارد (Ludwing Erhard) آنذاك هذه الشحنات وحوّلها الى مساعدات غير عسكرية، الا انه لم يستطع منع زيارة اولبرشت الى مصر، في ٢٤ شباط/ فبراير حتى ٢ آذار/ مارس ١٩٦٥.

ولم يصدر اي اعتراف رسمي مصري بحكومة المانيا الديمقراطية خلال تلك الزيارة، الا ان البلدين تبادلا العلاقات الديبلوماسية. وهنا وجدت حكومة بون سياستها الداعية الى عدم اعتراف الدول الاخرى بجمهورية المانيا الاتحادية موضع التساؤل. ولكنها لم تلجأ الى تطبيق مبدأ هالشتاين اي انها لم تقطع علاقاتها مع الجمهورية العربية المتحدة. واستطاع جورج شرودر (Georg Schroder) وزير خارجية المانيا الاتحادية آنذاك ان يقنع حكومته بعدم

---

(٤٧) Wolfgang Wagner, «Der Rückschlag der Bonner Politik in den Arabischen Staaten,» *Europa Archiv*, Folge 10 (1965), p. 359 ff.

(٤٨) Büren, Ibid., p. 19.

(٤٩) Ulrich Albrecht und Birgit A. Sommer, *Deutsche Waffen für die Dritte Welt: Militärhilfe und Entwicklungspolitik* (Reinbeck bei Hamburg: Rowohlt Taschenbuch Verlag, 1972).

(٥٠) Birgit Sommer, «Die Beziehungen BRD - Israel,» p. 53, and Albrecht and Sommer, Ibid., p. 117.

(٥١) Vogel, *Deutschlands Weg Na Ch Israel: Eine Dokumentation*, p. 130.

قطع العلاقات الدبلوماسية مع مصر، لتتجنب المانيا الاتحادية خسارة «موقع قدم» لها في القاهرة، وكذلك لم ترغب الدول الغربية الاخرى، التي كانت علاقاتها مع مصر تمر في ازمة، ان تخسر المانيا الاتحادية دورها «كرأس جسر في القاهرة»(٥٢). وكان رأي الرئيس عبدالناصر ايضاً ان لا تخسر مصر كلاً من ايطاليا والمانيا الاتحادية «كجسر» لها مع الغرب(٥٣).

ولكن الانهيار ما برح ان دبّ في العلاقات العربية ـ الالمانية الاتحادية مباشرة بعد ان تبادلت المانيا الاتحادية العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل. وبناءً على اقتراح قدمه الرئيس الراحل جمال عبدالناصر في جامعة الدول العربية، استدعت البلدان العربية سفراءها من بون، ما عدا المغرب وتونس وليبيا.

لقد كان لهذين الحدثين اهمية خاصة مترادفة اي انهما وجهان لعملة واحدة في العلاقات العربية ـ الالمانية الاتحادية. وقد هزت هذه الازمة سياسة عدم الاعتراف بالمانيا الديمقراطية التي ارادت حكومة بون ان ترفعها الى مرتبة السياسة القومية لها. ولكن المانيا الديمقراطية كانت قد اكتسبت خلال زيارة رئيسها الى مصر اهمية جديدة في السياسة الدولية، مما اضطر المانيا الاتحادية ان تتنازل عن ادعائها بأنها الممثل الالماني القانوني الوحيد مقتنعة بتأكيد ولائها للغرب وحصولها على هوية ذاتية منفصلة بصفتها جمهورية المانيا الاتحادية(٥٤).

اما على الصعيد العربي، فقد منيت الاقطار العربية بفشل كبير في السياسة الدولية فهي لم تستطع منع المانيا الاتحادية من الاعتراف باسرائيل. وبالرغم من قرار قطع العلاقات الدبلوماسية مع المانيا الاتحادية الا ان البلدان العربية لم تلتزم به.

وقد اتخذت الاقطار العربية موقفاً مستقلاً في سياستها، وحرصت ان تكون على درجة عالية من التضامن.

ان عدم اعتراف البلدان العربية بألمانيا الديمقراطية بالرغم من زيارة اولبرشت الى مصر كان دليلاً على استقلال قرار البلدان العربية، ودحضاً لادعاء متهميها آنذاك بأنها خاضعة للنفوذ السوفياتي(٥٥).

---

(٥٢) Büren,, «Die Arabischen Staaten in der Aussenpolitischen Konzeption der Bundesrepublik Deutschland,» p. 19, and Besson, *Die Aussenpolitik der Bundesrepublik: Erfahrungen und Massstäbe,* pp. 352 - 353.

(٥٣) Mohammad H. Heikal, *Das Kairo-Dossier: Aus des Geheimpapieren des Gamal Abdel Nasser* (Wien, München, Zürich: Molden, 1972), p. 275.

(٥٤) Büren, «Die Arabischen Staaten in der Aussenpolitischen Konzeption der Bundesrepublik Deutschland,» p. 20.

(٥٥) Wagner, «Der Rückschlag der Bonner Politik in der Arabischen Staaten,»; Seelbach, *Die Aufnahme der Diplomatischen Beziehungen Zu Israel als Problem der deutschen Politik Seit, 1955;* Amor Ben-Vered, «Israel und Deutschland Die Bedeutung der Aufnahme Diplomatischer Beziehungen für den Jüd- =

لقد اندلعت حرب الشرق الاوسط الثالثة في ٥ حزيران/ يونيو ١٩٦٧، على خلفية هذه الاجواء السياسية من العلاقات العربية ـ الالمانية الغربية. وكانت وسائل اعلام المانيا الاتحادية متحيزة دون مواربة الى جانب اسرائيل في هذه الحرب. ولم تكن كتاباتها الصحفية وتعليقاتها حول هذه الحرب لصالح طرف واحد فقط، وانما انجرفت وأغرقت برسم الصورة السلبية للطرف الآخر. وسوف نراجع ـ في الفقرة التالية ـ هذه الكتابات الصحفية الالمانية الغربية حول حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧، متجنبين استعراض العلاقات العربية ـ الالمانية، كما شرحناها في الفقرتين السابقتين. وسيعقب تحليل الصحافة الالمانية الغربية من ١٩٦٧ الى حرب تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣، فصل اخير حول تحليل الصورة العربية في صحافة المانيا الاتحادية على ضوء حرب تشرين الاول/ اكتوبر.

ثالثاً: صورة العرب في صحافة المانيا الاتحادية من حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧ حتى تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣

هناك اربع دراسات المانية حول الصورة العربية في صحافة المانيا الاتحادية ما بين حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧ الى حرب تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣، سنستعرض اهم ما جاء فيها في هذا الفصل. واذا ما بدت للقارىء سلبية النتائج التي توصل اليها مؤلفو هذه الدراسات فمن الممكن ان يردّ هذه السلبية الى خلفية العلاقات بين المانيا الاتحادية واسرائيل من جهة، والمانيا الاتحادية والاقطار العربية من جهة ثانية، كما اشرنا سابقاً.

١ ـ صورة العرب: حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧

صاحب **الدراسة الاولى** البروفسور **كينيث ليفان** (Kenneth Lewan) [٥٦] وقد درس المواد الصحفية في وسائل الاعلام الالمانية حول حرب حزيران/ يونيو من الفترة الواقعة ما بين ايار/ مايو حتى نهاية آب/ اغسطس ١٩٦٧. وبحث في هذه الدراسة جميع «المسائل القانونية والسياسية»[٥٧] المهمة خلال حرب ١٩٦٧. الا اننا هنا لا نعالج هذه المسائل، بل نبحث عن الصورة العربية في هذه الصحافة ووسائل الاعلام الاخرى، بناء على معالجة هذه المسائل. اما الصحف التي درسها ليفان فهي فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ، دي فلت، زود دوتيشه تسايتونغ، وشتتغارتر تسايتونغ Stuttgarter Zeitung.

---

ischen Staat,» *Europa Archiv*, Folge 13 (1965), p. 58 ff, and Lothar Rathmann, «Die Vereinigte Arabische Re- = publik und die beiden deutschen Staaten in Jahre 1965,» in: *Die Nationale Befreiungsbewegung 1965* (Leipzig: Bilanz, Berichte, Chronik, 1966), p. 89 ff.

(٥٦) Kenneth Melvin Lewan, *Der Nahostkrieg in der westdeutschen Presse* (Köln: Pahl-Rugenstein Verlag, 1970).

(٥٧) المصدر نفسه، ص ٨.

يقول ليفان اجرت صحافة المانيا الغربية في هذه الفترة مقابلات صحفية مع شخصيات اسرائيلية او مندوبين اسرائيليين او متعاطفين مع اسرائيل، وتم اختيار الاسئلة التي وجهت اليهم بشكل يظهر اسرائيل في وضع ايجابي. ولم يكن هناك تمثيل مناسب للعرب او بالاحرى للجانب العربي الرسمي.

واتخذت الاحكام المسبقة الراهنة عن العرب لصالح ابراز اسرائيل بصورة افضل، ومنحت «التبريرات والاعذار»(٥٨) لاسرائيل في تفسير مواقفها، واكدت هذه الصحافة مثلاً - في موضوع اغلاق مضيق تيران، انه «ضرورة حيوية» لاسرائيل، ونعتت الصحافة تصرف مصر بأنه «غير قانوني». ولكن ليفان اثبت في دراسته بأن اغلاق المضيق، من وجهة نظر اقتصادية واستراتيجية، لم يهدد وجود اسرائيل، لأن جزءاً يسيراً من الواردات والصادرات الاسرائيلية يمر عبر ميناء ايلات(٥٩). كما اثبت ان اغلاق مضيق تيران لم يكن غير قانوني بالنسبة الى اتفاقية وقف اطلاق النار بين مصر واسرائيل، اذ ان اتفاقية وقف اطلاق النار لم تكن اتفاقية سلام(٦٠).

اما الصحافة الالمانية الاتحادية فقد استغلت الادعاءات الواردة اعلاه بالاضافة الى ما سمته بعقدة «النقص العسكري والازمة الاقتصادية» لدى العرب مقرونة باتهام سوريا بشن «الهجمات الارهابية ضد اسرائيل»(٦١) لتضع مسؤولية البدء بالحرب على عاتق العرب. ولكن هذه الصحافة اضطرت الى الاعتراف بأنه «بالرغم من استعراض العرب لقوتهم والمطالب التي وضعوها بعد انسحاب قوات الامم المتحدة»(٦٢) انهم اكدوا على عدم البدء بالهجوم من جانبهم.

وبالرغم من اعتراف جميع الصحفيين الالمان(٦٣) وتأكدهم بأن اسرائيل هي التي بدأت الحرب، فإنهم لم يتخلوا عن تبريرهم للتصرف الاسرائيلي، واصبح لديهم كما كتبوا في صحفهم، امراً غير مهم من الذي بدأ الحرب. وبهذا الصدد كتبت جريدة دي فلت قائلة، «ليس هناك اي جدوى من التفكير بمن بدأ الحرب»(٦٤).

وتم تشبيه الحرب بين العرب واسرائيل في صحافة المانيا الاتحادية بقصة داود وجوليات، في العهد القديم من الكتاب المقدس، والهدف واضح وهو تقريب الاحداث الى عقول الالمان لابتزاز عواطفهم مع داود ضد جوليات، اذ ان داود المسكين الضعيف، اي اسرائيل، يحارب جوليات العدائي، المتفوق عدداً، اي العرب، ولكن داود، اي اسرائيل،

---

(٥٨) المصدر نفسه.
(٥٩) المصدر نفسه، ص ٣١ - ٤١.
(٦٠) المصدر نفسه، ص ٤١ - ٥١.
(٦١) المصدر نفسه، ص ١٣ و ٥١.
(٦٢) المصدر نفسه، ص ٥١.
(٦٣) المصدر نفسه، ص ٨٥.
(٦٤) المصدر نفسه، ص ٨٨.

يحقق نصراً «باهراً»(٦٥) ضد جوليات، اي العرب. وان اسرائيل التي يبلغ عدد سكانها مليونين ونصف تدافع عن نفسها ضد «ستين» مليون عربي. وقد اثبت ليفان بأن الصحافة تستخدم ارقاماً خاطئة لتدلل بأن الجيوش العربية متفوقة على الجيش الاسرائيلي. ولم تتطرق الى الخلافات العربية المضطرمة آنذاك، ولم تذكر ان تجربة مصر في اليمن قد استنزفت طاقاتها. وبالتالي يستنتج، ليفان، من المعلومات الالمانية الخاطئة، بأن «الادعاء بوجود تفوق عددي للقوات العربية هو ادّعاء مشكوك فيه»(٦٦)، وان تكرار ادعاء التفوق العددي للقوات العربية يجب الاّ يحجب النظر عن ان الاقطار العربية كانت، ولا زالت، من بين الدول النامية. وبالرغم من انها تمتلك اسلحة جديدة وحديثة، الا انها ـ كما يقول ليفان ـ كانت وقتئذٍ غير كفوءة لاستعمالها(٦٧)، وبالمقابل فإن الاسرائيليين عرفوا كيف يتعاملون مع التكنولوجيا الحديثة، كما انهم يمتلكون جهازاً عسكرياً افضل وجنوداً مدربين بصورة افضل. ان «الحياة السلمية»(٦٨) في اسرائيل مهددة من قبل جوليات العربي، ومع هذا فقد هربت الجيوش العربية الى الصحراء امام القوات الاسرائيلية «الرائعة»(٦٩).

وللحقيقة فإن صحفيي جريدة فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ لم يشتركوا في هذا «الحماس» الكبير ضد العرب. وقد شرح فاينشتاين، في مقال له «بطريقة موضوعية» خلفية الهزيمة العربية، وانتهى الى الاستنتاج الصحيح، الى حسن لياقة الجندي العربي وقناعته وقدرته كمقاتل ان يحقق النتائج التي يفاخر بها. ولكن امره يختلف عندما يكون «كحلقة في جهاز عسكري صعب العطاء، وتنقصه الالفة مع التكنولوجيا»(٧٠).

اما الصحفيون الالمان الغربيون فإنهم يصورون الحياة في اسرائيل وعملية زجّ جنودها في المعركة تصويراً رومنتيكياً. انها اسرائيل «الصغيرة والجسورة والمعتمدة على نفسها»(٧١). كما يصفها يورغن ترن (Jürgen Tern) مراسل فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ. انها «ترسل جنوداً ضاحكين يمزحون ويغازلون المساعدات الشابات الجميلات في الجيش»(٧٢)، كما يصفهن زميله في دي فلت، السيد هاينتس شيفه. وتؤكد دي فلت، لقرائها مستشهدة بالاقوال الاسرائيلية من ان الاسرائيليين بعد كل ازمة، «يخرجون اكثر قوة واكثر تضامناً»(٧٣). وان دايان حسب رأي

---

(٦٥) المصدر نفسه، ص ١٣٥.
(٦٦) المصدر نفسه، ص ١٣٧.
(٦٧) المصدر نفسه، ص ٥٢.
(٦٨) المصدر نفسه، ص ٦٤.
(٦٩) المصدر نفسه.
(٧٠) المصدر نفسه، ص ١٤٢ ـ ١٤٣.
(٧١) المصدر نفسه، ص ١٢٤.
(٧٢) المصدر نفسه، ص ١٠٧.
(٧٣) المصدر نفسه، ص ٦٤.

شتتغرتر تسايتونغ الصادرة في ٢٧ ايار/ مايو ١٩٦٧، «يجسد جميع الفضائل الاسرائيلية»(٧٤). وهكذا تشدد هذه الصحيفة في موقفها المتحيز على المزايا العسكرية للمجتمع الاسرائيلي.

ولتشويه صورة العرب فإن بعض الصحفيين الالمان الغربيين يتهمون العرب بالمعاداة للسامية. وتعتبر هذه المعاداة في المانيا الغربية تهمة كبرى بالنسبة للتجربة التاريخية الالمانية المريرة. وقد كتبت جريدة شتتغرتر تسايتونغ بهذا الصدد تقول: «ان الدوائر المعادية للسامية(٧٥) تقوم بالدعاية للعرب في الولايات المتحدة الامريكية». ان هذه الصحيفة، ارادت ام لم ترد، توجيه التهم لليهود المعادين للصهيونية في امريكا كالحاخام ألمر بيرغر، والمؤرخ الفرد ليلينتال باعتبارهم يهوداً معادين للصهيونية، واتهمت آخرين ممن يدافعون عن الحقوق الفلسطينية والعربية، بأنهم المعادون للسامية في رأيها.

ويذهب ماكس فكلر (Max Fackler) المحرر في صحيفة زود دويتشه تسايتونغ ابعد من هذا، فيرى في تهديد اسرائيل بالدمار «ابادة لشعب»، وان اسرائيل، حسب رأيه، عضو كامل العضوية في الامم المتحدة، وبالتالي «ليس من الممكن ان تتعرض للتهديد او الابادة»(٧٦). وقد نسي او تناسى السيد فكلر ان يذكر قراءه بحقيقة ثابتة، هي ان قبول اسرائيل في الامم المتحدة كان مشروطاً باعترافها بجميع قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالفلسطينيين(٧٧). ولكن دي فلت، اليمينية، حاولت ان تكون ارفق بضحايا العدوان الاسرائيلي، فتبرعت باسترضائهم ومواساتهم على طريقتها بالطبع، باعتبارهم ضحايا جنون الكبرياء، وشطط قادتهم السياسيين (تعني القيادة العربية) الذين لا يريدون الاعتراف «لا بحدودهم، ولا بحدود شعوبهم»(٧٨). هكذا تصف دي فلت، ضحايا الحرب العدوانية التي شنتها اسرائيل، وتتهمهم بالتوسع وبالتالي فإنهم يتحملون المسؤولية.

اما الصور الفوتوغرافية او الكاريكاتورية التي دأبت هذه الصحف على نشرها، كما يقول ليفان، فقد كان لها هدف واحد، هو التأثير بشكل متحيز لصالح اسرائيل(٧٩). يتوصل ليفان في نهاية دراسته الى نتائج نقتبسها هنا. يقول ليفان: «اذا ما نظر المرء الى هذه الجرائد متفحصاً دارساً فإنه سيجد المواقف الناقدة من مشكلة الشرق الاوسط، ما زالت قائمة، وان العمى تجاه الحقائق وعدم الفهم تجاه مشاكل الفلسطينيين والعرب الآخرين، ما زالت كما هي، ما عدا بعض الاستثناءات الصغيرة. ان الصحافة التي شرحت بتفهّم ابعاد الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٦٧، وتركت

---

(٧٤) المصدر نفسه، ص ٧٤.

(٧٥) المصدر نفسه، ص ١٠٣.

(٧٦) المصدر نفسه، ص ٩٢.

(٧٧) انظر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٢٧٣ (الدورة الثالثة) بتاريخ ١٩ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٨ في: Sami Musallam, ed., *United Nations Resolutions on Palestine, 1947 - 1972* (Beirut: Institute for Palestine Studies, 1973), pp. 18 - 19.

(٧٨) Lewan, Ibid., p. 106.

(٧٩) المصدر نفسه، ص ٦٦، ٩٣و ١٠٠.

اثرها على الرأي العام، والحكومة تخفي اليوم (اي بعد الاحتلال) استمرار ذلك الاحتلال. انني لن اعالج هذا الفشل الذي وقعت فيه الصحافة، لأن ذلك يحتاج الى بحث آخر. الا ان الامل ما زال يخالجنا بأن تنضم الصحافة يوماً ما، الى التغيير الملموس الذي طرأ على الكثيرين من الناس، ممن يعنون بالسياسة في المانيا الاتحادية وفي اماكن اخرى. ان هذه الدراسة قد تقود الى تدقيق المواقف القديمة حول هذا الموضوع، وعلى اي حال يجب ان نبحث عن الوسائل والطرق الكفيلة بامتثال الصحافة للكتابة بطريقة مسؤولة. ان قضية الشرق الاوسط هي مثل خاص وحالة صارخة، عن امكانية وقوع طرف من الاطراف ضحية لتعسف غير صديق. ان هذا يتعلق بشرّ واسع الانتشار.

ما زالت تجربة بعض الاحتمالات لكسر طوق هذا الشر رهن ايدينا، لذا يجب العمل لضم موضوع الصحافة، ولو ببطء، الى الابحاث السلمية، ونعتقد ايضاً ان المحررين يجب ان يبادروا الى وضع خطوطهم العامة، وكذلك اختيارهم للصحفيين... الخ، وان يتحملوا مسؤولية البحث عن الحقائق. ان فشل الصحافة الخطير في مسألة الشرق الاوسط، يجب ان يحركنا جميعاً لاستخدام جميع الامكانات المتاحة لمحق هذا الوضع الشاذ. وقد حان الوقت للتفكير مرة اخرى»(٨٠).

٢ ـ الكتابة عن الشرق الاوسط في مرآة الصحافة الالمانية(٨١)

قام الاتحاد العام لطلاب فلسطين، بنشر هذه الدراسة الثانية، وهي تعالج الكتابة الصحفية الالمانية الغربية حول الشرق الاوسط، مدى سنتين، اي من حزيران/ يونيو ١٩٦٧ حتى شباط/ فبراير ـ آذار/ مارس ١٩٦٩. وتقتصر الدراسة على الصحف المحلية او الاقليمية الصادرة في حدود المدينة او المحافظة، بالاضافة الى بعض الصحف والمجلات الصادرة على نطاق المانيا الغربية كلها، ان ما يستهدفه المؤلف هو البحث عن المعلومات التي تقدمها هذه الصحافة حول الشرق الاوسط الى «القارىء العادي»(٨٢). ولكي يشير المؤلفون الى التحيز الصارخ للصحف الالمانية الغربية ضد العرب فإن الكاتب يعرض ثلاثين عنواناً صحفياً ظهرت في هذه الصحف حول العرب وخمسة وعشرين عنوانا حول اسرائيل.

العناوين الصحفية حول العرب(٨٣)

- «اقتلوا، اقتلوا،» (دير شبيغل، ١٢/ ٦/ ١٩٦٧)
- «ان هذا يزيد حقدنا بالتأكيد،» (دار مشتتار تاجبلات، ٤/ ١١/ ١٩٦٧)
- «انهم يسكنون في الكهوف وعلى السطوح،» (المصدر نفسه، ١٤/ ١١/١٩٦٧)
- «القَسَم بالانتقام،» (شتتغرتر ناخرشتن، ٥/ ٦/ ١٩٦٨)
- «ناصر لا يريد القناة كاملة،» (ناه اوست باوبختر، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٨)

---

(٨٠) المصدر نفسه، ص ١٧٤ ـ ١٧٥.
(٨١) هذا هو عنوان الدراسة التي صدرت في فرانكفورت عام ١٩٦٩.
(٨٢) الكتابة عن الشرق الاوسط في مرآة الصحافة الالمانية، ص ٣.
(٨٣) المصدر نفسه، ص ١٠.

- «هناك رائحة فاسدة في مملكة مصر،» (المصدر نفسه)
- «٢٥٠٠ سوفياتي يدربون الجيش المصري،» (المصدر نفسه)
- «طلقة ناصر المعادية،» (المصدر نفسه)
- «الملك المنافق،» (المصدر نفسه)
- «الجنود المصريون يتعهدون بالثأر،» (شتتغرتر ناخرشتن، ٥/ ٦/ ١٩٦٩)
- «بريد الشرق ابطأ مما كان عليه قبل ٦٠ عاماً،» (فرانكفورتر روندشاو، صيف ١٩٦٨)
- «هل توقظ انتصارات اسرائيل حسد العرب،» (نورد دويتشيه روند شاو/ ايتسه هو، ١٤/٥/١٩٦٨)
- «قادنا جهلنا الى الهلاك!» (فرانكفرتر الجماينة تسايتونغ، ٢٥/ ٦/ ١٩٦٨)
- «فلوس السينما من اجل الارهاب،» (فرانكفورتر ناخت اوسغابة، ١٤/ ٥/ ١٩٦٨)
- «هم كلابنا،» (دير شبيغل، ٤/ ٩/ ١٩٦٧)
- «مستعدون للحرب التالية،» (مجلة بونته المصورة، ٢٧/ ١١/ ١٩٦٨)
- «العواطف بدل الحقائق،» (المصدر نفسه)
- «رقع الاحذية،» (كاسلر بوست، ١٦/ ١٢/ ١٩٦٨)
- «القنابل في الاراضي المقدسة،» (راين تسايتونغ/ كوبلنتس، ٢٤/ ١٢/ ١٩٦٨)
- «ان حقدهم اكبر من جوعهم،» (بيلد ام زونتاغ، ١٠/ ١١/ ١٩٦٨)
- «ارهابيو الجبهة الشعبية،» (نشرة اسرائيل، السنة ٤، العدد ١٦، ١٩٦٩)
- «تصعيد الارهاب،» (فرانكفورتر روند شاو، ٤/ ١/ ١٩٦٩)
- «انهم يؤذون انفسهم،» (ايزنهاغنر كرايس بلات، ٤/ ١/ ١٩٦٩)
- «سوريا تريد فقط الحرب ضد اسرائيل،» (السفلدر كرايس انتسيجر، ١١/ ١/ ٦٩)
- «البربرية،» (هسشه الجماينة/ كاسل، ٢٩/ ١/ ٦٩)
- «الغرور يعاود العرب،» (مانهايمر مورغن، ٣٠/ ١/ ١٩٦٩)
- «تكتيك الفدائيين العرب، استعمال الوحشية للوصول الى النصر،» (اندوستري كورير، ٤/ ٢/ ١٩٦٩)
- «مطاردة السحرة في الشرق الاوسط،» (فورفيرتس/ باد غودسبرغ، ٦/ ٢/ ١٩٦٩)
- «ناصر يتأرجح ثانية،» (نورنبرغر ناخرشتن، ٢٠/ ٢/ ١٩٦٩)

العناوين الصحفية حول اسرائيل

- «اغنية الابطال تعزف من جديد: حقيقة الانتصار الاسرائيلي،» (دار مشتتر بلتر، تشرين الاول ١٩٦٧)
- «تبرعوا لأطفال اسرائيل،» (دار مشتتر تاجبلات، ٩/ ٦/ ١٩٦٧)
- «واخيراً عدنا من سيناء،» (المصدر نفسه، ١٠/ ٦/ ١٩٦٧)
- « منذ عشرين عاماً تحارب اسرائيل من اجل وجودها ضد العرب،» (نورد دوتيشه روند شاو، ٢/ ٥/ ١٩٦٨)
- «الانسانية عوضاً عن الوحشية،» (الجماينة يوديشه فوخن تسايتونغ، ٣/ ٥/ ١٩٦٨)

- « دولة ولدت من العدم،» (فلنسبرغر تاجبلات، ٣/ ٥/ ١٩٦٨)
- «سلام على اسرائيل،» (نورد فريز شه ناخرشتن، ٥/ ٥/ ١٩٦٨)
- «الغريب لا يجد صعوبة،» (مجلة بونته المصورة، ٨/ ٥/ ١٩٦٨)
- «اسرائيل تدعو اعداءها الى طاولة المفاوضات،» (فيسر كوريير/ بريمن، ٢٠/ ٥/ ١٩٦٨)
- «سياسة الاحتلال تطبق بيد خفيفة،» (ايزنهاغنر كرايس بلات، ١٥/ ٦/ ١٩٦٨)
- «اسرائيل تسمح للاقارب العرب بالزيارة،» (دي فلت، ١٨/ ٦/ ١٩٦٨)
- «المنتصر البسيط،» (فرانكفورتر روند شاو، ٢٩/ ٦/ ١٩٦٨)
- «الاسرائيليون يتخوفون من حرب شرق اوسطية جديدة،» (دارمشتات ايشو، ١٩٦٨)
- «اسرائيل تبحث عن السلام مع نفسها ومع جيرانها،» (كيلر تسايتونغ، ١٤/ ١٢/ ١٩٦٨)
- «امهات اسرائيليات يتخوفن من ساعي البريد،» (راين - نيكار تسايتونغ، ٢٠/ ١٢/ ١٩٦٨)
- «بواسل لكن لوحدهم،» (كولنر شتادت انتسيغر، ٤/ ١/ ١٩٦٩)
- «الدم يستصرخ السماء،» (الجماينة يوديشه فوخن تسايتونغ، ٧/ ٢/ ١٩٦٩)
- «حتى المنافقون والمراثون يدينون ذلك،» (فرانكفورتر روند شاو، ٨/ ١/ ١٩٦٩)
- «التقدم في الاراضي التي تديرها اسرائيل،» (الجماينة يوديشه فوخن تسايتونغ، ١٧/ ١/ ١٩٦٩)
- «اسرائيل مستعدة للتفاوض،» (اكسبرس/ كولون، ٢٠/ ١/ ١٩٦٩)
- «التفهم من اجل اسرائيل،» (باديشه تسايتونغ، ٢٣/ ١/ ١٩٦٩)
- «اسرائيل تعلن «الدفاع الفعال عن الذات،» (راين بوست، ٢٤/ ٢/ ١٩٦٩)
- «صباح اليوم ضربة ثأرية،» (دير آبند، ٢٤/ ٢/ ١٩٦٩)
- «يبدو ان التقارير عن ضربات جوية مختلقة،» (فست دويتشه روند شاو، ٣٠/ ١/ ١٩٦٩)

لقد تم انتقاء هذه العناوين الصحفية عن قصد، «ونظراً لابتذالها من جهة ولشهاداتها المتعاطفة بافراط (مع اسرائيل) من جهة ثانية، يبدو الموقف المتحيز لاكثرية الصحف المحلية او الاقليمية»(٨٤).

وبالطبع فإن هذه الكلمات الموجهة، او المصطلحات المنتقاة التي تختارها الصحف، تترك اثرها لدى القارىء من خلال «الجمل المكررة المرتبطة بالمواقف المتحيزة»، وهي تؤكد الاحكام المسبقة لدى القارىء، وبالتالي تؤكد له موقفه الذي يتبناه. ان العنوان الصحفي الذي يقول - مثلاً - «ان اسرائيل تتخوف من نشوب حرب شرق اوسطية جديدة»، يصور الوضع، وكأن العرب هم الذين بدأوا هذه الحرب باستمرار، او تلك الصورة التي يصورون بها العرب قوماً من الكسالى، للعودة بالقارىء الالماني الى صور الكسل والارتخاء في قصص الف ليلة وليلة. حتى صحيفة فرانكفورتر روند شاو، القريبة جداً من الحزب الاشتراكي، كتبت هي الاخرى في شباط/ فبراير ١٩٦٩ حول العرب انهم «عندما لا ينامون، فإنهم يشربون القهوة»(٨٥).

---

(٨٤) المصدر نفسه، ص ٩.
(٨٥) المصدر نفسه، ص ١١ - ١٢.

اما صحيفة مونشنر ميركور Munchner Merkur الصادرة في ٧ كانون الاول/ ديسمبر ١٩٦٩ ، فقد وصمت العرب بخداع النفس والخيال الواسع Phantasie لأنهم «يحتاجون اليهما في حياتهم اليومية كالخبز والرز»(٨٦).

ان التحيز المفضوح للصحافة الالمانية الغربية ضد القضايا العربية ينعكس بشكل جليّ في الكتابة الصحفية حول الاشتباكات العسكرية في النزاع العربي ـ الاسرائيلي وكذلك في موقفها المعادي للمقاومة الفلسطينية وللشعب الفلسطيني ، «وهي تصور الحرب الخاطفة» الاسرائيلية في عام ١٩٦٧ ، وكأنها تريد ان تشير الى القدرات العسكرية الاسرائيلية امام عالم متخلف . وقد بيّنا في الفقرة السابقة عملية تعظيم هذا الانتصار الاسرائيلي . وتدور هذه الصحافة ضمن مقياسين مختلفين لتصوير الاحداث في النزاع العربي ـ الاسرائيلي . فهي في اختيارها للكلمات وللعناوين الصحفية تحدد ما هو حق وما هو باطل . وهناك فرق كبير جداً عندما تصف هذه الصحافة الفدائيين الفلسطينيين «بالارهابيين» او «المغامرين» ، او «المتعصبين» من جهة ، او تصفهم بـ «الانصار» او «مقاتلي المقاومة» او «مقاتلي الحرية»(٨٧) . هكذا تطلق الصحافة نعوتها المعادية ضد منظمة «فتح» كبرى تنظيمات المقاومة الفلسطينية بعد حرب ١٩٦٧ ، «انها احدى منظمات الارهاب»(٨٨) او على حد تعبير جريدة فرانكن بوست Frankenpost في ٢٨/ ١٢/ ١٩٦٨ ، «بأنه الارهاب العربي الدولي» ، ولكنها تغض الطرف عن الاعتداءات الاسرائيلية على المخيمات الفلسطينية ولم تلصق بها هذه الصحافة صفة الارهاب مطلقاً . انها تعتبرها مجرد «ضربات انتقامية» ، من اجل «الدفاع عن النفس»(٨٩) .

لهذا فإن الصحافة الالمانية الغربية ، لا تعتبر مقاومة الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال الاسرائيلي ، في مستوى مقاومة الاوروبيين للاحتلال النازي ، لا بل انها تدين مقاومة الشعب الفلسطيني للاحتلال الاسرائيلي(٩٠) . اما الممارسات الاسرائيلية في الاراضي المحتلة ضد الفلسطينيين ، فإن هذه الصحافة تعتبرها ممارسات انسانية . ويقول كاتبو هذه الدراسة ، ان الصحافة لا تنتقد المطالب التوسعية الاسرائيلية ولا تعترض عليها فحسب وانها ايضاً تتقبلها بصمت ، او تدعمها(٩١) .

ونشير هنا الى ان كينيث ليفان نفسه قد توصل الى نتيجة مشابهة . وقد وقفت معظم الصحافة الالمانية الغربية مؤيدة ضم القدس الى اسرائيل ، ودعا اكثر الصحفيين ، خاصة صحفيو جريدة دي فلت ، الى حل مسألة برلين بالطريقة التي اتبعها الاسرائيليون في ضم

(٨٦) المصدر نفسه، ص ١٦ .
(٨٧) المصدر نفسه، ص ١١ .
(٨٨) المصدر نفسه، ص ٩ .
(٨٩) المصدر نفسه، ص ١٤ .
(٩٠) المصدر نفسه، ص ١٥ .
(٩١) المصدر نفسه، ص ٢١ ـ ٢٢ .

القدس. الا ان بعض صحفيي فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ، كما يقول ليفان، اعترضوا ورفضوا هذا الاقتراح الغريب(٩٢). ولم يتورع بعض الصحفيين الالمان عن القاء مسؤولية بؤس اللاجئين الفلسطينيين ورد اسبابه الى «كسلهم والى قادتهم والى الشيوعيين»(٩٣).

ويتهم كاتبو هذه الدراسة، الصحافة الالمانية الغربية، في تناول الخبر مباشرة من تل ابيب، واعادة بثه باسلوب تقريري، وهم بهذا يحاولون ويدعمون الاعتبار الاسرائيلي، او اليهودي، ويضعونه فوق كل اعتبار - مثلاً - «ان حياة ذلك الاسرائيلي الذي قتل في اثينا اكبر من جميع المدرعات والطائرات التي دمرت في بيروت»(٩٤)، ويتساءلون «ماذا يريد العرب؟ انهم لم يستطيعوا ان يفعلوا شيئاً في بلادهم، اما نحن (اي الاسرائيليين) فنمتلك الثقافة، فلماذا نخفي الحقيقة، اننا العِرق الأسمى في الشرق الاوسط، لقد كسرنا في الماضي ظهورهم، اما الآن.. فإننا ندوس عليهم بالحذاء، فهذا اسهل»(٩٥).

بهذه الاقوال يستشهدون بالمواقف المبنية على الصور المقولبة لدى الاسرائيليين عن العرب. ودأبت الصحافة، بشكل مباشر، على نشر المقالات حول القومية العربية «العمياء» كما جاءت من افواه الاسرائيليين، ودون اي تعليق. وفي المقابل وضعت الفدائيين العرب في الصورة السلبية المعاكسة. ولم تتورع صحيفة الجماينة زونتا غستسايتونغ في عددها الصادر في ٢٦/ ٥/ ١٩٦٨ ان تصفهم بالجبن والغدر، وتصور من يُلقى عليهم القبض، من اعضاء منظمة التحرير الفلسطينية، ويُزج بهم في السجن الاسرائيلي بأنهم «يعترفون بكل شيء، وضد الجميع، ضد زملائهم وقواعدهم واعمالهم، كل ذلك من اجل انقاذ حياتهم البائسة»(٩٦).

ويعالج كاتبو الدراسة اخيراً، النزاع بين العالم الغربي الصناعي الغني والعالم الثالث الفقير النامي. وهم لا يعتقدون بوجود الصحافة الحرة، لأن الحرية مرتبطة بالولاء للانتماء الى اي من المعسكرين الشرقي او الغربي(٩٧). وهي ترى حريتها (اي الصحافة) بدعم هذا النظام العالمي او ذاك، وبالتالي فإنها تخدم اهدافاً محدودة.

٣ ـ حظر الاتحاد العام للطلاب الفلسطينيين والاتحاد العام لعمال فلسطين

اتخذت السلطات الالمانية الغربية قراراً بطرد عدد من الطلاب والعمال الفلسطينيين بعد حظر الاتحاد العام للطلاب الفلسطينيين والاتحاد العام لعمال فلسطين في ٥ تشرين

(٩٢) Lewan, *Der Nahostkrieg* in *der westdeutschen Presse*, p. 157.
(٩٣) الكتابة الصحفية عن الشرق الاوسط ١٩٦٩، ص ٢٨.
(٩٤) المصدر نفسه، ص ٢٦.
(٩٥) مجلة شتيرن (Stern)، ١٥ / ١٢ / ١٩٦٩، في: المصدر نفسه، ص ٢٦.
(٩٦) المصدر نفسه، ص ٢٦.
(٩٧) المصدر نفسه، ص ٣٨.

الاول/ اكتوبر ١٩٧٢. وسوف نعالج هنا دور الصحافة الالمانية الغربية في تهيئة الاجواء لهذه الاجراءات الحادة كما يصفها احد الكتاب الفلسطينيين القاطنين في المانيا الاتحادية(٩٨)، حكم عبد الهادي، المتتبع للصحف والمجلات المهمة في المانيا الاتحادية والمعبِّدة للطرق المؤدية الى حظر الاتحادين المذكورين، والمبررة لاجراءات السلطات الالمانية الغربية(٩٩) من خلال نشر التقارير في مجلة دير شبيغل وصحيفة دي فلت وغيرها من الصحف في ايار/ مايو ١٩٧٠. تلك التقارير التي قدمت اشارات وهمية حول وجود معسكر «لتدريب العصابات» فوق جبل فينوس في احدى ضواحي بون، العاصمة الاتحادية «حيث يتدرب حوالى اربعين عربياً وفلسطينياً تدريباً عسكرياً»(١٠٠). وبالطبع فإن هذه الصحف كانت تدعو الى اتخاذ اجراءات قمعية ضد العمال والطلاب الفلسطينيين القاطنين في المانيا الاتحادية.

يرد عبد الهادي قائلاً بأنه لا يدّعي تقديم نظرية عامة حول دور الصحافة ولكنه يقدم بعض المعايير التحليلية. ويحدد وظيفة الصحافة في اطار ماركسي. ويشير الى ان الطبقة الحاكمة تسعى في كل نظام قائم بغض النظر عن المرحلة التاريخية وعن حالة الصراع الطبقي، الى محق عدوّها الطبقي، إما عن طريق العنف والتصفية الجسدية بواسطة الشرطة او الجيش، او بالوسائل الايديولوجية «المدارس، القوانين، او وسائل الاعلام» او بواسطة الاثنين معاً(١٠١). اما في المانيا الاتحادية فيسيطر الاحتمال الثاني من اجل تأكيد شرعية الطرق والاساليب في الممارسات الرأسمالية. وينظر عبد الهادي كما ينظر الكتاب في المعالجة السابقة الى التحيز لدى غالبية الصحف الالمانية الغربية، ضمن اطار النزاع بين العالم الغربي والعالم الثالث النامي(١٠٢). ومثله مثلهم ايضاً فهو ينكر وجود الصحافة الحرة. ولكن الفرق ان كتّاب الدراسة السابقة يرون حرية الصحافة في اطار الولاء والانتماء للشرق او للغرب اي للنظام الاشتراكي او النظام الرأسمالي، اما عبد الهادي فلا يعتقد بامكانية توجيه «نداء» الى الصحافة لاثبات موضوعيتها او التخلي عن حزبيتها في مجتمع طبقي(١٠٣).

وهو اذ يحدد هذه المعايير فإنه يقسم الصحافة الالمانية الغربية في ثلاث مجموعات «بالنسبة لموقفها من حركة العمال، وحلفائها الديمقراطيين في البلد الذي تنشأ فيه، وموقفها من حركات التحرير في العالم الثالث»(١٠٤).

---

(٩٨) Hakam Abdel Hadi, «Das Verbot von GUPS und GUPA und die Verfolgung der Palästinensischen Arabeiter und Studenten in der westdeutschen Presse,» in: Hakam Abdel-Hadi et al., *BRD, Israel und die Palästinenser: Fallstudie Zur Ausländerpolitik,* pp. 142-173.

(٩٩) المصدر نفسه، ص ١٤٤.

(١٠٠) المصدر نفسه، ص ٢٠.

(١٠١) المصدر نفسه، ص ١٤٥.

(١٠٢) المصدر نفسه، ص ١٤٨.

(١٠٣) المصدر نفسه، ص ١٧١.

(١٠٤) المصدر نفسه، ص ١٤٦.

والمجموعة الاولى، حسب رأيه، تلوّح بالاتجاهات الامبريالية، ويضع ضمن المجموعة الاولى صحف مؤسسة شبرنجر (تتصدر دي فلت واخواتها) فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ، هاندلسبلات (Handelsblatt) وبايرن كورير (Bayern Kurier).

ان هذه الصحف لم تكتف باضفاء الاجواء المأساوية على احداث ميونيخ، وانما حاولت توتير وضع الفلسطينيين القاطنين في المانيا الاتحادية، وساوت في كتاباتها الصحفية بين كلمة الفلسطينيين وكلمة الارهابيين. كما جاء - مثلاً - في مقال جريدة دي فلت، في ١٦ ايلول/ سبتمبر ١٩٧٢ بعنوان «الارهابيون يريدون تفجير السفن».

وأهابت صحيفة، فرانكفورتر الجماينة ستايتونغ، في مقال لها يوم ٩ ايلول/ سبتمبر ١٩٧٢ «بأسرة الدول العربية» للقيام «بخطوات مشتركة مخططة بعناية لتستطيع تخفيف خطر الارهاب القادم من الشرق»(١٠٥). وهنا، مثلاً، تتم المساواة بين الشرق و«خطر الارهاب».

اما المجموعة الثانية فتضم الصحف والمجلات التالية، فرانكفورتر روندشاو، زود دويتشه تسايتونغ، شتتغارتر تسايتونغ، دي تسايت، شتيرن، دير شبيغل، وتلتزم هذه الصحف بالنظام الاقتصادي الرأسمالي، الا انها تقدم بعض المقالات النقدية احياناً «الامر الذي يحيّر بعض الرؤوس»(١٠٦).

وحسب معلومات عبد الهادي فإن هذه الصحافة تتخذ عادة موقفاً اكثر موضوعية حول استغلال العالم الثالث وقمعه ونهبه. ولكن عندما تنتفض شعوب العالم الثالث ضد هذا الاستغلال، فإن هذه الصحافة تصِمُ هذه الانتفاضات «بالفوضى والانهيار والحرب الاهلية».. الخ(١٠٧). وفيما يتعلق بحادثة ميونيخ، فإن هذه الصحافة لم تفرق بين الشعب الفلسطيني بمجمله وبين المجموعة التي قامت بتلك العملية. وقد ربطت بين الاثنين معاً، ونعتت صحيفة شتتغارتر تسايتونغ الفلسطينيين في ٦/ ٩/ ١٩٧٢، بأنهم «برابرة، ومجانين ومعتوهون». كما نعت هنري ننن (Henri Nannen) محرر مجلة شتيرن العرب في ١٧ ايلول/ سبتمبر ١٩٧٢، بأنهم «غير حضاريين». وكذلك كان موقف هانس هيغرت (Hans Heigert) في صحيفة زود دويتشه تسايتونغ ٦/ ٩/ ١٩٧٢، الذي لم يخرج عن نطاق نعت العرب «بالخارجين على القانون» و«القادمين من شاطىء القراصنة». ودعت هذه الصحيفة نفسها في مقال لها بعنوان «اطردوا العرب»(١٠٨) الى إبعادهم من المانيا الاتحادية. واتسق موقف دي تسايت، ودير شبيغل مع الصحف الاخرى فنعتت الفلسطينيين بالحيوانات والقتلة والاشرار(١٠٩). ولم تسأل هذه الصحافة نفسها مرة واحدة حول الاسباب الكامنة وراء هذه

---

(١٠٥) المصدر نفسه، ص ١٥٥.
(١٠٦) المصدر نفسه، ص ١٤٨.
(١٠٧) المصدر نفسه، ص ١٥٨.
(١٠٨) المصدر نفسه، ص ١٥٩ و ١٦٥.
(١٠٩) المصدر نفسه.

العملية (اي عملية ميونيخ وغيرها من العمليات المشابهة) او ما هي خلفيات النزاع في فلسطين.

ولكن ما يفرق هذه المجموعة من الصحف عن الاخريات فيما يتعلق بالحظر الذي فرض على الاتحادين الفلسطينيين هو ما سمته بالاخطاء القانونية المحضة، التي ارتكبتها السلطات الالمانية الاتحادية.

اما المجموعة الثالثة فهي الصحافة التقدمية وتضم الصحف اليسارية كمجلة افريقيا اليوم (Alfrika Heute) اليسارية الليبرالية وصحيفة دويتشه فولكس تسايتونغ (Deutsche Volkszeitung) ولكن توزيع هذه الصحف يظل محدوداً وضئيلاً بالنسبة الى الصحف الاخرى، ولم تتناول هذه الصحف التقدمية حادثة ميونيخ كمشكلة بحد ذاتها، وانما تناولت الاسباب التي قادت اليها. وقد حاولت ان تضع المشكلة الفلسطينية في اطارها التاريخي من جهة، وانتقدت الاجراءات التي قامت بها السلطات الالمانية من جهة ثانية.

٤ ـ خطف الطائرات في صحافة المانيا الاتحادية

تركز بحث علي **النخال** في دراسته(١١٠) حول خطف الطائرات على صحيفتين يوميتين، دي فلت، وزود دويتشه تسايتونغ، ومجلة اسبوعية واحدة هي دير شبيغل. ويفرق النخال بين خطف الطائرات التي تقوم بها العناصر اليمينية، وتلك التي تقوم بها العناصر اليسارية. ومنذ البداية يعتبر النخال الكتابة الصحفية عن هذا الموضوع متحيزة، مثله مثل مؤلفي الدراستين السابقتين ـ عبد الهادي، والاتحاد العام لطلاب فلسطين ـ فإنه يعتبر القضايا العربية جزءاً لا يتجزأ من نضال «المقموعين ضد قامعيهم اي المستغلين ضد مستغليهم»(١١١).

ولا تقتصر الدراسة على خطف الطائرات التي قامت بها مجموعات عربية او فلسطينية لأن هذه الحالة لم تظهر قبل وقوع حرب ١٩٦٧. الا ان خطف الطائرات من المجموعات اليسارية اصبح حدث الساعة، وكتبت حولها التعليقات والافتتاحيات واخذت مساحة اكبر في الصحافة من عمليات خطف الطائرات التي قامت بها مجموعات يمينية(١١٢).

وقد قامت المجموعات اليمينية بخمس وعشرين حالة، من بين تسع واربعين من حالات خطف الطائرات التي يدرسها النخال، بينما قامت المجموعات اليسارية، بأربع وعشرين حالة. ومن بين الاربع والعشرين حالة قام العرب او الفلسطينيون بأربع عشرة

---

(١١٠) Ali el-Nakhal, *Flugzeugentführungen in der öffentlichen Meinung: Die Tatsachen und die Berichterstattung in ausgewählten deutschen Presseorganen.* (Berlin: Unveröffentlichte Magisterarbeit an dem Institut für Publizistik der Freien Universität, 1973).

(١١١) المصدر نفسه، ص ٧٢.

(١١٢) المصدر نفسه، ص ٧٤.

حالة من حالات خطف الطائرات(١١٣). وبالرغم من هذه الحقيقة فإن الفلسطينيين والعرب جُعلوا «رمزاً للخطف وللقرصنة الجوية»(١١٤) كما يقول النخال. وفي دراسته ومعالجته لصحيفة دي فلت يقول النخال: ان هذه الصحيفة لم تكتف فقط بادانة الخاطفين العرب او الفلسطينيين، باعتبارهم ارهابيين، وانما شملت في ادانتها الدولة التي حمل اليها الخاطفون الطائرة المخطوفة واتهامها «بخطف الناس» كما وصفت الجزائر في عددها الصادر في ٢٦/ ١٢/ ١٩٦٨، وسوريا عام ١٩٦٩/ ١٩٧٠. واعتبرت دي فلت، احتجاز الرهائن «مرحلة جديدة من التصعيد»(١١٥) في الشرق الاوسط. اما في حالة ممارسة اسرائيل اعمال الخطف، فإن جريدة دي فلت تتقدم للدفاع عنها مدعية بأن الخطف هو لمجرد «الدفاع عن النفس». وتهلل هذه الجريدة لممارسات الجيش الاسرائيلي وتشارك الاسرائيليين افراحهم «عندما ينفذون مهمتهم بنجاح».

وقد حاولت دي فلت في ٨/ ٥/ ١٩٧٢ تهدئة روع قرائها فكتبت تقول مهللة «لقد اقتحم الجنود الاسرائيليون البوينغ المخطوفة»(١١٦).

ودأبت الصحيفة تعرب عن ارتياحها «لمعاقبة العرب»(١١٧) ولا تأسف لاستشهاد المدنيين الفلسطينيين والعرب خلال القصف الاسرائيلي. ان ذلك في نظرها مجرد «حوادث سيئة». ولكن شخصاً او اشخاصاً يقتلون في عمليات خطف يقودها عرب او فلسطينيون، تنعته هذه الصحيفة «بالقتل المتعمد»(١١٨).

ويتهم النخال صحيفة دي فلت بانتهاج مبدأ اخلاقي مزدوج. فهي لا ترى سبباً سياسياً او اخلاقياً وراء الخطف اذا كان الخاطفون عرباً او فلسطينيين. ولكنها تجد كل الدوافع السياسية للخاطفين الهاربين من الدول الاشتراكية لأن هؤلاء الخاطفين يقومون بالخطف «لأسباب سياسية»، ولأنهم يريدون «الهرب» من حكومات الدول الاشتراكية، او من «سياسة موسكو المعادية لليهود»(١١٩).

وقد دعت الصحيفة في تعليقاتها وافتتاحياتها الى فرض المقاطعة في «الملاحة الجوية على الدول العربية والى تصفية حركة المقاومة الفلسطينية على المستوى العربي وعلى المستوى العالمي». وطالبت باتخاذ الاجراءات لتحقيق هذه المقاطعة والتصفية، ودعت دي فلت حكومة المانيا الاتحادية الى مراقبة العرب القادمين الى المانيا الاتحادية والقاطنين فيها على حد سواء وطردهم، حتى

---

(١١٣) المصدر نفسه، ص ٨٢.
(١١٤) المصدر نفسه، ص ٧٥.
(١١٥) المصدر نفسه، ص ٩١.
(١١٦) المصدر نفسه، ص ٨٧.
(١١٧) المصدر نفسه، ص ٨٩.
(١١٨) المصدر نفسه، ص ٩١.
(١١٩) المصدر نفسه، ص ٩٠.

وان لم يكن هناك «اي دليل على ارتباطهم بالمنظمات الفلسطينية»(١٢٠).

ويشير النخّال ايضاً الى ان ما كتبته صحيفة زود دويتشه تسايتونغ ضد الفلسطينيين حول خطف الطائرات، لا يختلف مطلقاً مع الخط المتحيز لصحيفة دي فلت. اما الخاطفون من الدول الاشتراكية فإن هذه الصحيفة تستقبلهم «بالرضى والتهليل»(١٢١)، ولم تتورع عن اعلان «احتجاجها وسخطها»(١٢٢) ضد الاحكام القاسية الصادرة ضد الخاطفين خلال «محاكمات لينينغراد» في ٢٧/١٢/١٩٧٠، والاعراب عن «قلقها»(١٢٣) لمصير هؤلاء الخاطفين.

كما وقفت صحيفة زود دويتشه تسايتونغ موقفاً مضاداً، وادانت بشدة خطف الطائرات من قبل الفلسطينيين، وطالبت «بمعاقبتهم». وعندما اصدرت محكمة سويسرية حكماً على اثنين من الفلسطينيين بالحبس لمدة اثنتي عشرة سنة، استقبلت هذه الصحيفة هذا الامر بمرارة، لأنها لم تجد اي مبرر لهذا «القصاص الخفيف» لولا ما سمته بـ «العدالة السويسرية»(١٢٤). ويضيف النخال معلقاً، بالرغم من ان اسرائيل قامت باعمال ارهابية عديدة ضد الشعب الفلسطيني، الا ان هذه الصحيفة لم تدِنْ هذه الاعمال، ولم تعتبرها ارهاباً ولم تندد بها. وتعتقد صحيفة زود دويتشه تسايتونغ ان الفلسطينيين يجب ان يوصموا بالارهابيين(١٢٥). ودعت كما دعت من قبلها صحيفة دي فلت، الى اتخاذ الاجراءات الدولية ضد العرب والى تصفية المقاومة الفلسطينية(١٢٦).

وقد اجرى النخال احصاءً للاقوال المنددة بالفلسطينيين، او المؤيدة للاسرائيليين في صحيفة زود دويتشه تسايتونغ، في موضوع خطف الطائرات فوجد ان الصحيفة نشرت ٧٢ قولاً مؤيداً لاسرائيل و٩٨ قولاً منددا بالعرب والفلسطينيين(١٢٧).

وبالرغم من ان النخال لم يقم بدراسة مفصلة لمجلة دير شبيغل، كالدراسة التي اجراها على صحيفتي دي فلت، وزود دويتشه تسايتونغ، الا انه احصى ١٧ قولاً منددا بالعرب والفلسطينيين في هذه المجلة(١٢٨) التي وصمت العرب والفلسطينيين «بالاهاربيين»: حوالى ١٣٢ مرة، «الخاطفين» ٢٢ مرة مقابل اربع مرات فقط وصمت بها الخاطفين اليمينيين(١٢٩).

---

(١٢٠) المصدر نفسه، ص ٩٢- ٩٣.
(١٢١) المصدر نفسه، ص ٩٧.
(١٢٢) المصدر نفسه، ص ٩٨.
(١٢٣) المصدر نفسه، ص ١٠٠.
(١٢٤) المصدر نفسه، ص ٩٩.
(١٢٥) المصدر نفسه، ص ١٠٢.
(١٢٦) المصدر نفسه.
(١٢٧) المصدر نفسه، ص ٩٦.
(١٢٨) المصدر نفسه، ص ١٠٤.
(١٢٩) المصدر نفسه.

ويتوصل النخال على ضوء هذا التحيز والانحياز في مواقف وسائل الاعلام الصحفية الالمانية الغربية، الى نتيجة «بأنّ الصحف الالمانية موضوع الدراسة تتطابق مع السياسة الاسرائيلية»[١٣٠]، وبالتالي «فإن الحقيقة محجوبة عن الرأي العام الالماني، هذا اذا كنا لا نريد ان نقول بأنه مستغل»[١٣١].

رابعاً: خلاصـــــة

في ضوء ما تقدم من بحث، وكنقطة انطلاق للبحث الذي سيليه نود ان نوجز ما يلي:

تشكلت الصورة العربية في صحافة المانيا الاتحادية حتى اندلاع حرب تشرين الاول/ اكتوبر من خلال عدد من السمات الناجمة عن التطور التاريخي للعلاقات بين الاقطار العربية في الشرق الاوسط والمانيا، وقد تحولت هذه السمات جزئياً مع مرور الزمن الى احكام مسبقة. وكما يتبين من التحليل السابق فإن وسائل الاعلام الصحفية الالمانية الاتحادية لم تحاول قط تفهّم وجهة النظر العربية.

وقد قدمت الصورة العربية الى الرأي العام الالماني على النحو التالي: ان العربي متخلف، ورجعي، ولم يكن جندياً جيداً، انه يهرب الى الصحراء امام الجيش الاسرائيلي، وهو ايضاً ليس على معرفة بالتقنية الحديثة والتنظيم الحديث، لأنها غريبة على نمط تفكيره الشرقي، وهو حالم وخيالي، شغوف بتناول القهوة، وحب النوم؛ ومقاومته للاحتلال الاسرائيلي لا يستطيع تقديرها، وهو ارهابي وجبان وغدّار. اما الاصوات القليلة التي ظهرت في الصحافة لترسم صورة افضل للعربي فقد ضاعت في اطار هذا التحيز الكامل ضد العرب.

وفي مقابل هذه الصورة السلبية، فقد كانت صورة اسرائيل ايجابية، وهي الدولة الصغيرة الشجاعة المدافعة عن وجودها امام التهديد العربي بإبادتها. وعندما تقوم بأيّ انتهاك، فهي تقوم به من منطلق الدفاع عن النفس ضد الاعمال الارهابية التي يقوم بها العرب اي الفلسطينيون، وهي تمتلك الجيش الافضل تنظيمًا، وتتمتع بمعرفة جيدة بالتقنية الحديثة بسبب امتلاكها لنمط التفكير الغربي.

لقد وقف معظم الصحفيين الى جانب اسرائيل في نزاع الشرق الاوسط ولم تقف سوى القلة القليلة منهم ـ هذا ان وجدت ـ في تناول القضايا العربية او وصفها وصفاً موضوعياً. لقد دفعت هذه الممارسات الصحفية المتحيزة بالباحثين الذين درسنا اطروحاتهم الى الاستنتاج بأن الصحافة الالمانية الغربية ـ وبصورة متعمدة ـ كانت متحيزة ومنحازة وغير موضوعية.

---

(١٣٠) المصدر نفسه، ص ١١٦.

(١٣١) المصدر نفسه، ص ٧٢.

وبما ان الكتابة الصحفية قد اهملت قضايا التطوير السياسي الداخلي في البلدان العربية، والمشاكل الانسانية على حدّ سواء - لذا لا يمكن اعتبار الصورة العربية، في الصحافة الالمانية في الفترة الزمنية مدار البحث صورة شاملة. ونعتقد بأن الصورة السلبية في الصحافة الالمانية حول العرب (كسالى، خاملين، وجبناء... الخ) هي مجرد محاولات لتفسير التخلف العسكري للعرب امام اسرائيل.

كما لا يعني ان مثل هذا التصنيف للعرب، يتطابق مع مواقف وآراء الصحفيين الالمان الغربيين، خاصة في تلك الحالات من المعالجة الصحفية التي تنتفي فيها الضرورة لقياس الحياة العربية بالمقاييس التي تتطلبها الحرب الحديثة. وبشكل عام فإن الكتابة الصحفية حول الشرق الاوسط، تأخذ حيزاً لا بأس به في الصحافة الالمانية الغربية. وان اسرائيل هي موضع الاهتمام الاول للصحفيين، وان تصويرها بصورة ايجابية هو امر يمكن تفسيره كما ورد سابقاً من خلال العلاقات التي ربطت المانيا الاتحادية مع اسرائيل بعد قيامها. وبغض النظر عن ذلك فإن المعلومات حول الاقطار العربية التي تتسم بالسلبية، لا يمكن تبريرها بالكلام عن «واجب» المانيا الغربية تجاه اسرائيل، وانما على العكس اذ ان مهمة الصحافة النقدية الواعية ان تصور الحقيقة بطريقة مجردة، وان تضع الاحداث في اطارها الصحيح، رغم انها قد تتعارض مع آراء واهواء الصحفي في هذا الحدث او ذاك، لأن هذا هو جوهر الموضوعية وفائدتها. ومع ذلك فإننا لا نعتقد بامكانية تحقيق المطالبة بتقديم المعلومات الموضوعية لأن الصحفي الذي يكتب عن حدث ما يحمل معه انطباعاته الشخصية، وتجاربه ومصادر معلوماته الخاصة به، وهو يتأثر بها جميعاً، وتطبع كتابته بطابعها بشكل عام.

وهكذا فإننا نرى ان هؤلاء الصحفيين، كتبوا ما لمسوه من الواقع المتخلف فيما يتعلق بالتدريب والاداء العسكريين لدى القوات العربية بالمقارنة مع التدريب الكفء لدى القوات الاسرائيلية. ولكنهم حملوا هذه الكتابة احكاماً تقويمية عن العرب لا صلة لها بمسيرة العمليات العسكرية او الحروب على الاطلاق. وكانت النتيجة اخيراً هي تأكيد الصورة السلبية عن العرب، والمواقف الصحفية المتحيزة.

ومن جهة اخرى فإن العناصر السلبية للصورة العربية في صحافة المانيا الاتحادية، اتخذت، جزئياً بعد حرب تشرين الاول/ اكتوبر منحى ايجابياً. وبالتالي يجب دراسة التأثير الذي لعبته مسيرة الحرب والانجازات العسكرية التي حققتها الجيوش العربية والانتكاسات الاولية التي لحقت بالجيش الاسرائيلي، وتأثيرها على تغيير الصورة العربية في صحافة المانيا الاتحادية وهذا سيكون موضوع بحثنا في الفصل القادم.

الفصل الثالث

صورة العرب في صحافة المانيا الاتحادية في ضوء حرب الشرق الاوسط الرابعة

اولاً: تقويم عام للحرب

١ ـ تحديد هوية المعتدي

نشبت الحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة نهار السبت ٦ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣، حوالى الساعة ١٤,٠٠، بين مصر وسوريا والثورة الفلسطينية من ناحية واسرائيل من الناحية الاخرى. وكما خيضت الحروب السابقة، خيضت هذه الحرب من اجل فلسطين.

وقد اعيد في السنوات الست التي تلت حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧، تقويم دور بلدان العالم الثالث في السياسة الدولية، نتيجة عدوان الولايات المتحدة على فيتنام، ودور هذه البلدان المتنامي في الامم المتحدة. كما تركت هذه الاحداث وتطورها تقويمها في الجانب العربي خلال الحرب الرابعة الشرق اوسطية، وقد اصبحت الصورة المقولبة القائمة عن العرب موضع تساؤل.

كانت نظرة الصحف الالمانية الغربية ومراسليها ومحرريها[1] الى هذه الحرب تختلف من وجهة نظر الى اخرى، وقد نقل كل منهم هذه الحرب الى الرأي العام الالماني من تلكم الزاوية، ووجهات النظر المختلفة حول تلك الحرب. ولم تكن حرب «الخمسة والعشرين

---

(١) نورد اسماء الصحف والمراسلين والمحررين باللغة الالمانية كالآتي:

Frankfurter Allgemeine Zeitung (*FAZ*) ,Süddeutiche Zeitung(*SZ*), Der Spiegel, Die Zeit, and Die Welt.

وسنكتفي بذكر اسم العائلة للمراسلين والمحررين الا اذا صادفنا وجود اكثر من اسم متشابه.

عاماً»(٢) في «المنطقة الاستراتيجية»(٣)، منطقة فلسطين، سوى «الحملة»(٤) او «الجولة الرابعة»(٥) بين العرب والاسرائيليين، وقد اتهم الجانبان العربي والاسرائيلي احدهما الآخر، بأنه هو الذي بدأ الحرب.

لم تجد الصحافة الالمانية الغربية اية صعوبة في الاجابة عن هذا السؤال. كما واجهته في حرب ١٩٦٧، وهذا ما اضطرها ازجاء التبريرات ضد العرب ولصالح اسرائيل، وتحميل المسؤولية للعرب ببدء الحرب الرابعة، الا انها لم تندد بهم وتدينهم، كما فعلت في الحرب الثالثة، لأنهم ـ حسب تعبير هذه الصحافة ـ قاموا بشن هجومهم ضد الاسرائيليين «في يوم الغفران، يوم كيبور» «اهم الاعياد الاسرائيلية»(٦) وعلى جبهتين، الجبهة الشمالية، اي من سوريا، والجبهة الجنوبية، اي من مصر(٧).

وتقدم الصحافة الالمانية اربعة اسباب تحليلية لهذه الحرب وترى:

أ ـ ان من غير المعقول ان يقوم هذا العدد الكبير من الجنود بعبور القناة لمجرد «رد فعل مرتجل ضد هجوم حضّر له تحضيراً جيداً كان المفروض ان تقوم به اسرائيل».

ب ـ من غير المعقول ايضاً ان تقوم مصر وسوريا بالبدء في الاشتباكات العسكرية مع اسرائيل «دون ان تكون فيه الدولتان قد نسقتا في هذا الامر مسبقاً»(٨).

ج ـ لم تكن اسرائيل عند اندلاع الحرب قد تهيأت لها، واعلنت التعبئة الجزئية او الكاملة، وقد فوجىء الجنود على الجبهة بشن هذه الحرب(٩).

د ـ يدّعي المراقبون في الامم المتحدة، كما جاء في تقرير لكارل بوخالا، وفي صحيفة زود دويتشه تسايتونغ يوم ٢٨ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣، بأنهم شاهدوا القوات المصرية والسورية تعبر خطوط الحدود(١٠).

---

(٢) Hans Heigert, *SZ*, 8/ 10/1973., and Vocke, *FAZ*, 23/10/1973.

(٣) Wein stein, *FAZ*, 10/10/1973.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) Sommer, *Die Zeit*, (12 October 1973).

وقد اعرب Dieter Schröder, *SZ*, 15/ 10/ 1973, عن رأي مخالف من « ان المعركة القادمة لا يمكن حسمها الا من خلال القنبلة الذرية (التي تملكها اسرائيل)، لذلك لن تكون هناك جولة خامسة في النزاع العربي ـ الاسرائيلي.

(٦) *Der Spiegel*, no. 42 (15 October 1973); Kohlschütter, *Die Zeit*, (12 October 1973), and *Welt am Sonntag*, 7 / 10 / 1973.

(٧) *FAZ*, 8/ 10/ 1973; *SZ*, 8/ 10/ 1973; *Die Welt*, 8/ 10/ 1973, and *Die Zeit*, (12 October 1973).

(٨) Heigert, *SZ*, 8/ 10/ 1973; Der Spiegel, no. 42 (15 October 1973), and Raven, *Die Welt*, 8/10/1973.

(٩) Raven, *Die Welt*, 8/ 10/1973. اكد صحفيون آخرون ان الجنود الاسرائيليين على الجبهة السورية كانوا في قيلولة الظهر، اما الجنود الاسرائيليين على الجبهة المصرية كانوا عند اندلاع الحرب يغسلون ثيابهم. انظر: Kohlschütter, *Die Zeit*, (16 November 1973).

(١٠) انظر ايضاً: *Die Welt*, 8/ 10/ 1973.

وهكذا تقدم الصحف الالمانية الاتحادية اجوبة مختلفة حول الاسباب الكامنة وراء اندلاع الحرب. وتجد هذه الاسباب في العوامل السياسية الداخلية والخارجية على الصعد الثلاثة العربية والاسرائيلية والدولية. الا ان جميع هذه الصحف تعترف بأن جذور هذه الحرب تعود الى الانتصار الساحق الذي حققته اسرائيل ضد العرب في حرب ١٩٦٧، التي استطاعت اسرائيل بعدها ان تثبت كيانها «كقوة لحفظ النظام» في المنطقة. اذ انها كانت «متفوقة جداً، عسكرياً وتنظيمياً وديناميكياً».

وقد «برز داود كالمنتصر اللامع، ومقلاعه كان مليئاً دائماً»(١١). في خريف ١٩٧٣ «وصلت اسرائيل الى حدودها الخارجية» التي استطاعت ان تصل اليها، وان تثبتها اثر «وقف اطلاق النار الباهظ الثمن» على جبهة سيناء والجولان وفي «حروب صغيرة مرهقة ومثيرة لاهتمام العالم» ضد الفلسطينيين(١٢).

واحتلت اسرائيل في حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧ اراضي من ثلاثة بلدان عربية مارست فيها سياسة توسعية. كما استهدفت السياسة الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة خلق ظروف «الامر الواقع Fait Accomplie» ومواجهة البلدان العربية بها، وتصرفت على انها «قوة متوسطة من الطراز القديم تهدف قبل كل شيء الى توسيع رقعتها الوطنية وضمانها»(١٣).

وقد اعتبرت اسرائيل خطوط وقف اطلاق النار التي توصلت اليها بعد حرب ١٩٦٧، حدوداً لها، «لفترة طويلة وان لم تكن دائمة»(١٤). حتى اولئك «الحمائم» في السياسة الاسرائيلية تأقلموا مع هذا الطرح، واعتبروا المناطق المحتلة هي حدود اسرائيل.

وفي هذا الصدد كتب تيو سومر يقول: «ان الاراضي المحتلة التي كان من المفروض ان تكون رهناً لدى اسرائيل، من اجل الحصول على حدود آمنة اصبحت مع مرور الزمن هدفاً من اهدافها، كما ارادت ان تضمن حدودها بزرع المستوطنات في الاراضي المحتلة، وتحويل «الضم الى حقيقة»»(١٥).

واعتبر فوكه السياسة الاستيطانية الاسرائيلية سبباً مهماً من اسباب اندلاع الحرب، وكتب يقول: «اما بخصوص الاتهام، بأن مصر قامت بارتجال بدء القتال او انها بدأت به، دون تحميل اسرائيل والدول العظمى مسؤولية فذلك اتهام لا يوجهه اي مراقب موضوعي ضد الحكومة في القاهرة»(١٦). وقد قامت هذه السياسة الاسرائيلية «بقطع الطريق امام حكومة السادات المعتدلة والبرجوازية، وتوجيهه في المنحى السلمي الجديد»(١٧). وقد عرض السادات على اسرائيل بعد ان ثبّت نفسه

---

(١١) «Streiflicht,» *SZ*, 8/10/1973.

(١٢) المصدر نفسه.

(١٣) Held, *FAZ*, 8/10/1973.

(١٤) Bader, *FAZ*, 8/10/1973; Heigert, *SZ*, 8 / 10 /and 13 / 10 / 1973.

(١٥) *Die Zeit*, (12 October 1973).

(١٦) Vocke, *FAZ*, 10/10/1973.

(١٧) Held, *FAZ*, 8/ 10/1973.

في السلطة الاعتراف «بوجودها كدولة»، كما عرض الملك حسين عليها «السلام الشامل بكل نتائجه»(١٨).

وعلق بادر احد مراسلي فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ على هذه السياسة الاسرائيلية قائلاً: «انها لا تبني مستوطنات في الاراضي المحتلة فقط، وانها هي تطالب بالابقاء عليها تحت سيطرتها في حالة انسحابها من هذه الاراضي. وقد رفض العرب هذه المطالب، ولم يبق نتيجة لهذه السياسة الاسرائيلية اي تأثير او استعداد لتقديم التنازلات التي تهدد اي سياسي عربي بفقدان السلطة ان لم يعارض تقديم التنازلات». وبهذا عبّر احد الصحفيين قائلاً بأن السياسيين العرب «لن تُقصّ اجنحتهم وانما سيقتلون»(١٩)، فيما لو قبلوا بهذه التنازلات.

وقد أعلن الرئيس السادات والرئيس الاسد اكثر من مرة ان بلادهما لن تقبل بهذه السياسة الاستيطانية. الا ان اسرائيل والعالم سمعوا مراراً هذه التهديدات العربية وكثيراً جداً حتى انهم باتوا لا يرون فيها سوى المادة المفجرة للاحباط السياسي والعسكري المحيط بهم امداً طويلاً وللاهانات التي تعرضوا لها. وكان بالاحرى على اسرائيل والعالم ان يأخذوا هذه التهديدات على «محمل الجد ويستوعبوها»(٢٠).

بعد ذلك فقط بدأ العرب الحرب ليثبتوا لاسرائيل «من خلال قواهم العسكرية وتصميم ارادتهم على القتال» بأنّ عليها «تقديم تنازلات اكبر» حتى ولو «انتظر الجانب العربي هزيمة جديدة»(٢١) في هذه الحرب. وان اندلاع «هذه الحرب من اجل السلام» امر يمكن «تفسيره» ولكن لا يمكن «غفرانه»(٢٢).

ويتهم روبرت هيلد اسرائيل في مقال له بتاريخ ١٩ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣، في صحيفة فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ بأن اسرائيل لم تكن على استعداد لتقديم التنازلات حتى عندما اعلن ابا ايبان وزير خارجيتها السابق بأن بلاده على استعداد لتقديم «تنازلات مهمة». وقد تلاشت امكانية تقديم مثل هذه التنازلات «يوماً فيوماً» في الشهور التي سبقت اندلاع

---

(١٨) Sommer, *Die Zeit,* (12 October 1973).

(١٩) Held, *FAZ,* 8/10/1973.

(٢٠) Bader, *FAZ,* 8/10/1973.

(٢١) المصدر نفسه.

(٢٢) Strottmann, *Die Zeit,* (14 December 1973), and Sommer, *Die Zeit,* (12 October 1973).
انتقد احد المؤيدين لاسرائيل د. Walfried Linden في رسالة بعث بها الى بريد القراء في صحيفة دي تسايت، مقالات تيوسومر التي حملت عنوان «حرب من اجل السلام» بأن هذا العنوان «يضع الامور رأساً على عقب. وهذا الامر لا يمكن تفسيره بكتابة صحفية موضوعية، وانما من وجهة نظر ايديولوجية. ويبدو ان الصحيفة الليبرالية اليسارية تريد ان تظل مؤيدة للعرب دون ان تأخذ الحقائق بعين الاعتبار، فهل هناك ضرورة لذلك فعلاً؟» انظر:
Die Zeit, (2 November 1973).

الحرب بسبب البرنامج الاستيطاني للقادة الحزبيين الاسرائيليين»(٢٣). ان اسرائيل كما يقول بادر، «لم تخطُ سوى خطوات قليلة جداً لتقابل العرب عند الحدود الممكنة»(٢٤).

وكما انتقد بعض الصحفيين في صحافة المانيا الاتحادية سياسة اسرائيل الاستيطانية واعتبروها سبباً اساسياً من الاسباب التي قادت لاندلاع الحرب، فقد تبرع صحفيون آخرون للدفاع عن هذه السياسة الاستيطانية الضرورية للدفاع عن النفس. وهكذا يجد القارىء بعض المقالات تتضمن التنديد بهذه السياسة والدفاع عنها جنباً الى جنب.

ويرى يانسن، في مقاله في صحيفة دي تسايت يوم ١٢تشرين الاول/اكتوبر١٩٧٣، بأن السياسة الاستيطانية الاسرائيلية كانت سبباً اساسياً لاندلاع الحرب، ولكنه يبرر هذه السياسة نظراً «للتجارب المؤلمة خلال سنوات الخمسينات والستينات حيث اجبرت اسرائيل تحت ضغوط اميركا والاتحاد السوفياتي على الانسحاب من شبه جزيرة سيناء، بعد ستة اشهر من احتلالها خلال حرب الستة ايام ١٩٥٦، مقابل ضمانات مسجلة». وادعى يانسن، بأن اسرائيل بدأت حرب حزيران/ يونيو بعد ان رفض ناصر ان يمنح اسرائيل مدخلاً حراً في قناة السويس. ويتهم يانسن العرب بتهديد اسرائيل، الامر الذي قادها الى عدم الشعور اطلاقاً بأن حدودها آمنة. وهي بحاجة الى ما احتلته من الاراضي كمنطقة واقية لأمنها، بعد ان فشلت جميع محاولات التسوية حسب رأيه، لانه طلب من اسرائيل الانسحاب الى حدود حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧.

وبهذا الاتجاه قدم زميله كولشوتر، تحليلاً مشابهاً في الصحيفة نفسها «دي تسايت» في ٩ تشرين الثاني/ نوفمبر١٩٧٣، قائلاً «ان تصورات اسرائيل الامنية» نابعة ومتطورة من «تجاربها المرة الناجمة عن التهديدات العربية المزمنة»(٢٥).

وكذلك حمّل تيو سومر العرب ايضاً جزءاً من المسؤولية من اندلاع الحرب في مقالته في صحيفة دي تسايت، في ١٢ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣. وكان يرى ان العرب كانوا يصرون دوماً على مخاطبة اسرائيل بحضور طرف ثالث فقط، ويطالبون دائماً بانسحابها من جميع الاراضي المحتلة. وهذا امر يتنافى ومتطلبات اسرائيل الامنية، وبالرغم من ان سومر كان يأخذ بعين الاعتبار استعداد مصر والاردن للاعتراف بوجود اسرائيل، الا ان الزمن الطويل يمر قبل ان يعترف العرب بالامر الواقع. اي انهم يرفضون دائماً الاعتراف بقيام اسرائيل ووجودها. ويرى جيلليسن في صحيفة فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ، انها، اي اسرائيل، لا يمكنها التخلي عن الاراضي المحتلة سوى مقابل السلام وضمان وجودها(٢٦) ويعارض ديتر شرودر، هذا الرأي قائلاً: «حتى تحصل اسرائيل على السلام، يجب عليها اولاً التخلي

---

(٢٣) Held, *FAZ*, 19/10/1973.

(٢٤) Bader, *FAZ*, 8 / 10 / 1973.

(٢٥) Kohlschütter, *Die Zeit*, (9 November 1973).

(٢٦) Gillessen, *FAZ*, 20/10/1973.

عن سياستها الاستيطانية وسياسة ضم الاراضي العربية»(٢٧).

تعتبر صحيفة دي فلت(٢٨) العرب مسؤولين عن اندلاع الحرب لسببين: فيشير جورج شرودر في مقاله في صحيفة دي فلت المؤرخة ٨ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣، الى السبب الاول، المتعلق «بالخلافات العربية بين القوميين - والقوميين المتطرفين في الدول العربية من جهة، وبين هذه الدول من جهة ثانية». ولهذا السبب يرى شرودر بأن اندلاع الحرب كان هروباً الى الامام(٢٩).

اما السبب الثاني كما جاء في مقاله في جريدة دي فلت، يوم ١٠ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣، فهو ما يتعلق بمحاولة السادات للحدّ من التوترات السياسية الاجتماعية الحادة داخل بلاده مما الجأه الى «مغامرة» في السياسة الخارجية اي بشن الحرب، اذ ان الحرب مع اسرائيل بالنسبة له لم تكن تشكل وضعاً خطيراً «فيما لو ثبت في مكانه، حتى اذا انتهت المعارك العسكرية بهزيمة جديدة»(٣٠).

تجدر الاشارة هنا الى ان هارالد فوكه احد محرري صحيفة فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ، ومسؤول قسم الشرق الاوسط فيها خالف هذين الرأيين لصحيفة دي فلت. وفيما يتعلق بالسبب الاول يقول فوكه، ان اندلاع الحرب لم يكن هروباً الى الامام من الوضع السياسي الداخلي الخطر الذي كان يواجهه السادات(٣١). اما ما يتعلق بالسبب الثاني، فإنه يخالف «سيكون»، ويقول بعدم وجود مؤشرات تدل على وجود اخطار سياسية داخلية، فيما لو استمر وقف اطلاق النار - ساري المفعول - والذي كان قائماً قبل اندلاع الحرب(٣٢).

وهكذا نرى ان بعض الصحفيين الالمان قاموا بتحديد السياسات الداخلية والخارجية للعرب ولاسرائيل كعوامل مهمة لاندلاع الحرب. كما حدد آخرون من الصحفيين النظام الدولي كسبب مباشر لاندلاع الحرب، حيث استفاد العرب من هذا الوضع الدولي.

لقد كان حساب العرب جيداً من الناحية «السياسية والعسكرية» حول موعد اندلاع

---

(٢٧) *SZ*, 15/10/1973.

(٢٨) حددت صحيفة *Bild - Zeitung* وهي الصحيفة الشقيقة لصحيفة دي فلت التي تصدر عن مؤسسة شبرنجر، اسباب الحرب في مقال افتتاحي لها بعنوان: «لماذا تريد القاهرة الحرب؟» وما قالته «لماذا يجب ان يموت ألوف من الشباب؟ لأن رئيساً اسمه السادات والديكتاتور العسكري في سوريا الاسد، امرا بهذا ولأنهما يريدان ان يلعبا دور البطل بدلاً من ان يتباحثا حول السلام. لهذا يجب على العرب والاسرائيليين ان ينزفوا دماً، ولهذا على الآباء والابناء ان يحزنوا. إن الهجوم العربي هو مجرد جنون محض، وان اولئك الذين امروا ببدء الحرب ليسوا رجال دولة، انما هم مغامرون مستهترون.» انظر. *Bild - Zeitung*, 9 / 10 / 1973.

(٢٩) Georg Schröder, *Die Welt*, 8/10/1973.

(٣٠) Cycon, *Die Welt*, 10/10/1973.

(٣١) Vocke, *FAZ*, 10/10/1973.

(٣٢) المصدر نفسه.

الحرب. وكان الوضع قبل نشوب الحرب متسماً بزيادة عزلة اسرائيل على الساحة الدولية. وكان الكثير من الدول الآسيوية والافريقية قد قطعت علاقاتها الديبلوماسية باسرائيل، ولم يكن هذا، حسب رأيهم ليحدث لولا «المال الليبي» او «النفط العربي»(٣٣). حتى النمسا ومستشارها «يهودي»(٣٤) أمرت باغلاق معسكر العبور لليهود في شوناو، في ضواحي فيينا، بعد ان هدد الفدائيون الفلسطينيون بتدميره.

كان الوقت مناسباً من الناحية العسكرية، لأن العرب كانوا قد انهوا تسليحهم من الاتحاد السوفياتي(٣٥). وكان الشرق الاوسط بعد توقيع اتفاقية باريس الخاصة بالحرب الفيتنامية في عام ١٩٧٣، قد اصبح بؤرة التوتر الاولى في العالم(٣٦)، فتحولت اليه الانظار، وكانت الدولتان العظميان، الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية، تتبعان سياسة الوفاق المحددة في بيانهما المشترك في ايار/ مايو ١٩٧٢.

ويعتقد شرودر، بأن الانظمة العربية كانت مهددة «بالثورات» ولكي تقطع الطريق على الثوريين، هربت الى الامام بشن الحرب ضد اسرائيل، وقد علق السادات آماله على الغرب في حل نزاعه مع اسرائيل. لذلك قام بإبعاد المستشارين السوفيات من مصر، ليظهر حسن نواياه تجاه الغرب. الا ان هذه الآمال لم يتم تحقيقها. ويعتقد شرودر، بأن حل النزاع يجب ان يبدأ من حق اسرائيل في الحياة، وضمان امنها، وحيث يجب على مصر وسوريا ان تعترف بوجود هذه الدولة.

وتعتقد مجلة دير شبيغل، بأن العرب قد توصلوا الى اقتناع بأن الاتحاد السوفياتي لن يساعدهم «بشكل فعّال» لاسترجاع اراضيهم المحتلة، كما توصلوا الى ان الدولتين الكبيرتين مهتمتان بتقسيم العالم بينهما، وشعروا بأن السوفيات قد تخلوا عنهم، لذلك بدأ العرب هذه الحرب للخروج من حالة اللاسلم واللاحرب(٣٧)، ومن اجل ان يحركوا قضية الشرق الاوسط، تنافس المتحاربون للحصول على رهائن لتحسين مواقعهم في المحادثات السياسية القادمة، قبل ان تستطيع الدولتان الكبيرتان فرض سلامهما.

وترى دير شبيغل ايضاً بأن المعارك العسكرية كانت «تهديداً لسياسة الوفاق»(٣٨) التي «اندلعت الحرب بسببها اصلاً»(٣٩). الا ان ديتر شرودر في صحيفة زود دويتشه تسايتونغ لا

---

(٣٣) *Die Zeit*, (2 November 1973).

(٣٤) *Der Spiegel*, no. 42 (15 October 1973).

(٣٥) المصدر نفسه.

(٣٦) *SZ*, 8/10/1973.

(٣٧) Heigert, *SZ*, 13/10/1973, and Buchalla, *SZ*, 8/10/1973.

(٣٨) *Der Spiegel*, no. 42 (15 October 1973), p.110.

(٣٩) المصدر نفسه.

يرى هذا الرأي[٤٠]. وقد تغيرت هذه المواقف بعد اعلان الولايات المتحدة التعبئة العامة في ٢٤ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣.

يقول الخبير العسكري لصحيفة فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ، ادلبرت فاينشتاين، ان السادات لم يبدأ الحرب، الا لأنه اراد إعادة انتباه الرأي العام العالمي الى منطقة الشرق الاوسط، بعد ان تحول عن قناة السويس كنقطة استراتيجية مهمة باتجاه الخليج العربي الذي اخذت تزداد اهميته[٤١].

هكذا نكون قد استعرضنا بصورة شمولية جميع الآراء التي تناولتها الصحف الالمانية الغربية ـ مدار البحث ـ باعتبارها مسببات لاندلاع الحرب الرابعة العربية ـ الاسرائيلية وحاولنا ان نرسم الصورة كما رآها صحفيو تلك الصحافة، وما جاء على لسانهم. ونود الآن ان نرى كيف فهمت الصحافة الالمانية الغربية الاهداف التي دفعت بالعرب الى شن هذه الحرب.

٢ ـ تقويم اهداف الحرب

اكدت صحافة المانيا الاتحادية فيما تناولته عن حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧، بأن الغاية المعلنة للعرب في تلك الحرب كان تهدف الى «رمي اليهود في البحر»، ولكن هذا التأكيد الباطل لم نرَ له اثراً بعد هذا فيما تناولته الصحافة الالمانية الغربية عن حرب تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣، وانما اجمعت تلكم الصحف على ان هدف العرب هدف محدود، هو شن هذه الحرب لاسترجاع الاراضي التي احتلتها اسرائيل منذ حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧ وهي هضبة الجولان، وشبه جزيرة سيناء[٤٢]. وقد اراد العرب تحريك الوضع الراكد، والحصول على «حل سياسي» لمشكلة الشرق الاوسط كما اشرنا الى ذلك في الفقرة السابقة.

ان حلبة المعارك كما يقول شرودر في احد التقارير، كانت تستهدف واشنطن وما يتوجب عليها ان تمارسه من ضغط على اسرائيل لتنسحب من الاراضي التي احتلتها[٤٣]. وكذلك اراد العرب تحقيق انجازات محدودة في استرجاع الارض لتكون الورقة الرابحة في ايديهم خلال المحادثات السياسية القادمة[٤٤].

وقد وضعت اسرائيل مقابل هذا الهدف المحدد للجانب العربي في هذه الحرب، خطة من ثلاث مراحل كانت تصبو الى تحقيقها.

---

(٤٠) D. Schröder, *SZ*, 8/10/1973.

(٤١) Weinstein, *FAZ*, 13/10/1973.

(٤٢) Vocke, *FAZ*, 8 / 10 / 1973; Schröder, *SZ*, 8 / 10 / 1973; Borch, *SZ*, 8 / 10 / 1973; Cycon, *Die Welt*, 10 / 10 / 1973, and Ruehl, *Die Zeit*, (19 October 1973).

(٤٣) G. Schröder, *Die Welt*, 8/10/1973.

(٤٤) Borch, *SZ*, 8/10/1973, and Hardt, *Die Welt*, 11/10/1973.

ـ ايقاف التقدم المصري والسوري ليتسنى لها آنذاك استدعاء جميع قواتها الاحتياطية.

ـ شن هجوم مضادّ يهدف الى حصر القوات العربية خلف خطوط وقف اطلاق النار، حيث يتم إبادتها.

ـ الانتقال بعمليات القوات الاسرائيلية على الجبهة الجنوبية عبر قناة السويس الى الضفة الغربية من القناة وشن هجوم على الجبهة الشمالية على مواقع السوريين تحت مرتفعات الجولان(٤٥).

وكما يعتقد كيمبسكي مراسل زود دويتشه تسايتونغ(٤٦) بأن الخبراء العسكريين كانوا على يقين بأن هدف العرب في هذه الحرب كان هدفاً محدداً وقد ثبت ذلك والحرب ما زالت دائرة، اذ ان العرب ـ حسب رأي هؤلاء الخبراء ـ حققوا اهدافهم المحددة.

ويمكن التأكد من محدودية هدف الحرب لدى العرب من الوقائع التالية، حسب رأي الصحافة الالمانية الغربية:

ـ لم ترافق النجاحات الاولية للسوريين والمصريين صخب «نشوة الانتصار ولا الحماس»(٤٧) الذي شوهد في الحروب السابقة فقد كانت الدعاوى «رزينة»(٤٨) اكثر مما كانت عليه عام ١٩٦٧. ولم تتحدث الدول العربية المشاركة في الحرب عن الحلول السياسية، كما انها لم تنتظر وجهة الاتحاد السوفياتي لتصل الى الحل السياسي. لقد كانت شديدة الاهتمام ايضاً «بردة الفعل لدى واشنطن والعواصم الغربية الاخرى»(٤٩).

ـ لم يقم العرب بدعاوى صاخبة هوجاء حول ابادة اسرائيل(٥٠) فقد اقتنع السادات والاسد بأن هذه الحرب يجب ان تشن ضمن اهداف محددة(٥١). وهذا ما ادهش الاسرائيليين والمراقبين الآخرين بعد ان كانت اسرائيل متأكدة من ان العرب كانوا يستهدفون ابادتها(٥٢).

ـ لم يقم العرب بالهجوم المفاجىء من الجو ضد اسرائيل(٥٣).

ـ الخلاف الذي نشب بين السادات والقذافي حول اهداف الحرب.

---

(٤٥) *Die Welt*, 9/10/1973; *FAZ* and *SZ*, 9/10/1973.

(٤٦) *SZ*, 15/10/1973.

(٤٧) Vocke, *FAZ*, 8/10/1973.

(٤٨) انظر الفقرة الخاصة المتعلقة بالدعاية في هذا البحث.

(٤٩) Vocke, *FAZ*, 8/10/1973.

(٥٠) Manfred Schröder, *SZ*, 17/10/1973.

(٥١) *Der Spiegel*, no. 43 (22 October 1973).

(٥٢) M. Schröder, *SZ*, 17/10/1973.

(٥٣) Cycon, *Die Welt*, 10/10/1973.

ـ لم يقم المصريون بعد عبور القناة بالتقدم اكثر داخل سيناء، واكتفوا «بزرع علمهم» على الضفة الشرقية للقناة فقط، وهذا يظهر اولاً، ان هدف المصريين كان محدوداً، وثانياً، لم يكن الجيش المصري يريد التقـدم اكثـر في سيناء لأنه يخرج عندئذٍ من حماية بطاريات صواريخ سام. ولو ان الجيش المصري تقدم اكثر في سيناء، «لأصبح بالتأكيد» هدفاً لغارات الطيران الاسرائيلي(٥٤).

ـ اعلن السـادات في خطابـه يوم ١٦ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣، بأن القيادة المصرية قررت منذ بدء الحرب ان لا تطلق «الصواريخ المصرية بعيدة المدى من نوع الظافر» ضد اسرائيل(٥٥). وقال السادات «كان بإمكاننا في اللحظات الاولى للحرب ان نصدر امرنا لإطلاق هذه الصواريخ. إلا اننا لا نريد الابادة، مثلما يدّعون هم (اي الاسرائيليون) لأننا نتردد حتى باستخدام سلاح محدد».

وبالرغم من ان السادات اشار الى خطورة استعماله لهذه الصواريخ، الا ان الصحافة شككت في مدى فعاليتها ومصداقيتها على ضوء نظام الردع الجوي الاسرائيلي، قالت هذه الصحف: «يمكن لهذه الصواريخ من ناحية نظرية، ان تضرب تل ابيب، وشمال اسرائيل الا ان استعمالها يظل في موضـع الشـك». بسبب عدم مصـداقيته، ان مستوى دقة الانواع الثلاثة من هذه الصواريخ (الظافر والقاهر والرائد) يظل موضع شك الخبراء الغربيين، ومن غير المؤكد عند انطلاق هذه الصواريخ، ان ينطلق الظافر(٥٦) لأن فعالية هذه الصواريخ موضع للشك ولأنه يمكن التقاطها على شبكة الرادار الاسرائيلية، لذلك يمكن للطائرات الحربية الاسرائيلية ولصواريخ جو من نوع «هوك» ان تدمرها(٥٧).

وتسوق الصحافة الالمانية الغربية برهاناً على محدودية هدف العرب من هذه الحرب، وهـو استعـداد السـادات لوضع الاراضي التي تنسحب منها اسرائيل تحت اشراف الامم المتحدة(٥٨). وتؤكد الصحافة بأن السادات والاسد كررا هذا الموقف في مؤتمر القمة لرؤساء البلدان العربية المنعقد في الجزائر في نهاية ١٩٧٣. ويقول كونتسلمان، «ان السادات والاسد سلما (للملك) فيصل خطة تضع الضفة الغربية تحت اشراف الامم المتحدة، وتضمن لاسرائيل ان لا تقوم على حدودها الشرقية بؤرة للتوتر»(٥٩).

ويقول كونتسلمان ان السوريين ابدوا استعداداً آنذاك ان يكون لقوات الامم المتحدة

---

(٥٤) Kohlschütter, *Die Zeit*, (16 November 1973); konzelmann and Ruehl, *Die Zeit*, (19 October 1973), and *FAZ* , 10/10/1973.

(٥٥) نقتبس هنا خطاب السادات كما اورده: Buchalla, *SZ*, 17 / 10 / 1973.

(٥٦) *SZ*, 17/10/1973.

(٥٧) *FAZ*, 22 / 10 / 1973; Korber, *Die Welt*, 17 / 10 / 1973, and M. Schröder, *SZ*,18 / 10 / 1973.

(٥٨) D. Schröder, *SZ*, 17/10/1973.

(٥٩) Konzelmann, *Die Zeit*, (30 November 1973), p. 2.

«حزام امن على مرتفعات الجولان، اذا ما انسحبت اسرائيل من تلك المرتفعات»(٦٠).

امـا دير شبيغـل، ودي فلت، فقد شككتا في محدودية هدف العرب على المستوى الاسـتراتيجي. الا انهما لم تشككـا بذلك على المستوى التكتيكي. يقول «سيكون»: ان الجانب العربي قد «ينظر الى النجاحات الاولية التي حققها العرب كنتيجة جيدة في التقنية الحربية العربية. وهذا ما سيشجع العرب بعد ان جربوا الآن موضع اصابة اسرائيل على محاولة حل المشكلة الفلسطينية حلاً يرضيهم هم في حال نشوب حرب قادمة»(٦١). وعبرت ديرشبيغل بطريقة مشابهة عن هذه الاوضاع مشـيرة الى ان النجـاح المحدد للعرب يمنعهم من ان يكونوا اكثر استعداداً الى التفاوض اذ ان وعيهم الذاتي لا يدفعهم ـ دون ان يكونوا من موقع اقوى ـ الى التفاوض، فهم يأملون بتحول هذا النجاح وبمحالفة الحظ في المعركة القادمة ضد اسرائيل. الا ان ذلك يعني حالة (اللاحرب واللاسلام)(٦٢). وهذا ايضاً كان رأي ديتر فيلد، وقد كتب يقول ان من يفهم عقلية العربي سيتأكد من ان تلك العقلية العربية ستحاور ذاتها قائلة «من المؤكد اننا سننجح في المرة القادمة او المرة بعد القادمة»(٦٣).

الا ان كل هذا التشكيك لم يكن شاملاً جميع ما تناولته الصحف الالمانية الغربية مدار البحث، فقد استمر الصحفيون والمراسلون في محاولاتهم لاثبات محدودية الاهداف العربية من هذه الحرب. وقد اعلن السادات بمناسبة وقف اطلاق النار:

(١) بأنه سيعمل ما في وسعه ليحرّك القادة العرب المشتركين معه في هذه الحرب، بالاضافة للقادة الفلسطينيين لقبول المشاركة في مؤتمر السلام. ووضع «التوجهات والضوابط من اجل السلام في المنطقة على اساس احترام جميع الشعوب الموجودة فيها والاعتراف بها».

(٢) ستتم المـوافقـة على وقف اطلاق النار فقط اذا ما اعلنت اسرائيل استعدادها للانسحاب من الاراضي المحتلة. ولكن السادات وافق في اليوم نفسه اي يوم ٢٢ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣، على وقف اطلاق النار على اساس قرار مجلس الامن ٣٣٨ دون ان تعلن اسرائيل استعدادها لقبول المطالب التي وضعها السادات نفسه.

(٣) وعد السادات بفتح قناة السويس فوراً امام الملاحة الدولية(٦٤).

لقد امتدح بوخالا السادات لجرأته وعقلانيته في موافقته على وقف اطلاق النار. الا انه (سيكون) عمد الى اتهام السادات، لأنه لم يكن في إمكانه ان يقدم اكثر من التشكيك

---

(٦٠) المصدر نفسه.

(٦١) Cycon, *Die Welt*, 30/10/1973.

(٦٢) *Der Spiegel*, no. 42 (15 October 1973).

(٦٣) Wild, *Der Spiegel*, no. 48 (26 November 1973).

(٦٤) نص خطاب السادات كما ورد في: *SZ*, 23 / 10 / 1973.

في امن اسرائيل. وكان اكبر تنازل قدمه في «قمة شهرته التي حققهـا مؤخراً هو الاعتراف غير المباشر باسرائيل مقابل ثمن وضع وحدة اراضي الدولة (اي اسرائيل) موضع نقاش»[٦٥].

ثانياً: تغيـر الصورة المقولبـة في ضـوء الجوانب العسكرية الاستراتيجية

١ ـ الشك في الصورة المقولبة الموجودة

أ ـ اسبـاب «المفاجـأة»

لم يفاجىء اندلاع حرب الشرق الاوسط الرابعة الاسرائيليين فحسب، وانما الرأي العام العالمي بمجمله ايضاً. وقد شكلت ظروف اندلاع الحرب وتطور الاحداث التي تبعت ذلك تناقضاً تاماً وواضحاً للصورة العربية المعروفة حتى تلك اللحظة، تلك الصورة التي يمكن ان تُعزى في تكوينها للانتصارات الاسرائيلية العسكرية ضد العرب منذ ١٩٤٨. وقد وضعت هذه الحرب صورة العرب المعروفة موضع تساؤل. ما هي الاسباب التي قادت الى هذا التغيير، ومـا هو التغيير الذي طرأ على الصورة العربية نتيجة هذه الحرب؟ واين هو مكمن الخطأ في القيادة الاسرائيلية للحرب؟ بالطبع فإننا نجيب عن هذه التساؤلات عبر الصحافة الالمانية الغربية الخاضعة لهذا البحث.

تتلخص تلك التغييرات المفاجئة بالحقائق التالية:

(١) الحسابات العربية: اي الاسلوب والطريقة التي تم بهما اختيار توقيْت بدء الحرب.

(٢) النجاح بالحفاظ على السر.

(٣) فعالية التنسيق.

(٤) عقلانية الدعاية العربية، وروح القتال والمثابرة لدى القوات العربية.

وسنعالج كل واحدة من هذه الخصال بشكل مفصّل:

(١) الحسابات العربية[٦٦]

كان التوقيت لاندلاع الحرب الذي اختاره العرب توقيتاً موفقاً ومحسوباً بدقة، حيث الساحة الدولية التي كانت تسودها روح الوفاق بين الدولتين الكبيرتين ـ الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، وكانت تلك الروح تميل الى المحافظة على الوفاق وإلى اخماد اي بؤرة في الجو العالمي ـ بما في ذلك منطقة التوتر الشرق اوسطية. وبالتالي وضع الشرق الاوسط في

---

(٦٥) Cycon, *Die Welt*, 15/10/1973.

(٦٦) Buchalla, *SZ*, 8/10/1973.

حالة اطلق عليها حالة «اللاحرب واللاسلم». وقد حاول القادة العرب تحريك الجبهات المتجمدة، فوافقوا على محاولات التوسط السلمية التي قامت بها الامم المتحدة. وكان بعضهم على استعداد للاعتراف بوجود اسرائيل كما ورد في قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ المؤرخ ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٧. وقامت مصر بتحسين علاقاتها الديبلوماسية مع الغرب. وكانت تأمل من وراء ذلك ان يقوم الغرب (بما في ذلك الولايات المتحدة الامريكية) بالضغط على اسرائيل واجبارها على الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة. وكان موقف مصر وسوريا والبلدان العربية الاخرى وقتئذٍ يستند الى قناعة مؤداها عدم امكانية نجاح حلول السلام في الشرق الاوسط ما دامت اسرائيل تحتل الاراضي العربية. وكان هذا يعني ان مصر كانت على استعداد لتحسين علاقاتها مع الغرب على حساب علاقاتها مع الشرق، اي الاتحاد السوفياتي.

حدث ذلك في نهاية ١٩٧٢. وبالرغم من اتفاقية الصداقة بين مصر والاتحاد السوفياتي الموقعة في تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٢ فقد امر السادات بطرد(٦٧) المستشارين السوفيات من مصر، الا ان السياسة المصرية لم تلق التجاوب المرجو لدى الغرب ولم يحقق السادات النجاح الذي كان يأمله من ذلك. وللخروج من حالة المراوحة الديبلوماسية التي لم تستطع تحريك الجبهات، لم يبق طريق آخر سوى الحرب.. كاستمرار للنهج السياسي بطرق اخرى.

وكان التوقيت للبدء بالمعارك العسكرية في تلك الحرب، مناسباً، لعزلة اسرائيل على الساحة الدولية ، الآخذة بالازدياد، ورفض اسرائيل المستمر والثابت للقبول بقرارات الامم المتحدة المتعلقة بقضية فلسطين او الشرق الاوسط الذي ادى الى الانتقاد المتزايد لها، وادانتها في المنظمة الدولية. وقد قطع عدد كبير من الدول الافريقية والآسيوية علاقاته باسرائيل ما بين الفترة ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣، بعد محاولات اسرائيل منذ قيامها رعاية تلك العلاقات وتنميتها. وكان هذا التطور في الاحداث، المأزق الذي بدأت تجد اسرائيل نفسها فيه على الساحة الدولية. وقد اندلعت الحرب في الوقت الذي كانت فيه الجمعية العامة للامم المتحدة مجتمعة في دورتها العادية. لذلك يقول الصحفيون الالمان الغربيون الذين ندرس كتاباتهم في هذا البحث، بأن توقيت شن الحرب المتزامن مع انعقاد الدورة العادية للجمعية العامة للامم المتحدة، كان محسوباً حساباً جيداً من السادات والاسد، وقد تدخلت الامم المتحدة مباشرة لمناقشة المشكلة في جميع اجهزتها.

وهكذا عادت قضية الشرق الاوسط الى موقعها الطبيعي اي «حدث الساعة»(٦٨) بعد ان اندلعت الحرب.

---

(٦٧) وصف الاتحاد السوفياتي من جانبه عملية طرد مستشاريه بـ «الاستدعاء» انظر:
Buchalla, *SZ*, 8/10/1973.

(٦٨) المصدر نفسه.

(٢) النجاح بالحفاظ على السر

مما دعا الى الاستغراب او الى «الحيرة»[٦٩] - كما جاء على لسان كوربر من صحفيي دي فلت - لدى المراقبين السياسيين المختصين بشؤون الشرق الاوسط، مقدرة العرب على كتمان ساعة اندلاع الحرب وبشكل صارم[٧٠]. فقد اخطأت المخابرات الاسرائيلية والامريكية على حد سواء في تقدير النيات العربية للحرب[٧١].

وقد خدع «الدهاء الحربي» لدى العرب[٧٢] الاستخبارات الاسرائيلية وهي «احدى افضل الاستخبارات في العالم». اما هنري كيسنجر، وزير الخارجية الامريكية السابق وكان قد التقى قبيل اندلاع الحرب مع المسؤولين العرب، فلم يستطع ان يجد اي مؤشر لنشوب الحرب[٧٣]. وكان قد سأل الاستخبارات الاسرائيلية ثلاث مرات حول امكانية اندلاع الحرب، وثلاث مرات كان الجواب بالنفي، وعدم توفر امكانيتها[٧٤].

وقد سئل وزير الحربية المصرية السابق احمد اسماعيل، في مقابلة صحفية في جريدة الاهرام القاهرية حول كيفية الحفاظ على سر الساعة التي تشن فيها الحرب. فأجاب بأنه هو والسادات فقط كانا على علم بالموعد المحدد لشن الحرب. وقد بدأ العد التنازلي قبل شهر من الموعد. ونشرت في الاهرام انباء كاذبة - لاخفاء النوايا - يستنتج منها بأن أهبة الاستعدادات في القوات المصرية قد خفضت، وبدأت التحركات العسكرية التكتيكية - فمثلاً - ترسل في الليل فرقة الى الجبهة ولم يسحب اثناء النهار منها سوى كتيبة فقط، وتزامنت تحركات القوات هذه مع المناورات التي يجريها الجيش المصري، كل سنة في شهر ايلول/ سبتمبر على القناة، الامر الذي قاد المراقبين العسكريين الى الاعتقاد بأن التحركات العسكرية المصرية جزء من مناورات الخريف للجيش المصري[٧٥].

ويبدو بأن الأهم من الاسباب العسكرية التقنية البحتة التي تطرق اليها وزير الحربية المصرية اسماعيل، كان تلك الوعود التي اعلنها السادات باستمرار انه سوف يبدأ الحرب ولم يصدقها احد. وتقول دير شبيغل بأن السادات اخبر، قبيل اندلاع الحرب، ثلاثة قادة فلسطينيين بأنه سيشن حرباً في القريب العاجل[٧٦] ولكن احداً لم يصدقه بسبب سياسته

---

(٦٩) Körber, *Die Welt*, 17/10/1973.

(٧٠) Borch, *SZ*, 8/10/1973.

(٧١) H. Barth, *Die Welt*, 13/10/1973.

(٧٢) *Der Spiegel*, no. 42 (15 October 1973).

(٧٣) Borch, *SZ*, 8/10/1973.

(٧٤) Barth, *Die Welt*, 13/10/1973 and *Die Welt*, 26/10/1973.

(٧٥) انظر نص المقابلة مع احمد اسماعيل، الاهرام (القاهرة)، ١٨ / ١١ / ١٩٧٣، اوردت اجزاء من المقابلة الصحفية: *SZ*, 19 / 11 / 1973.

(٧٦) *Der Spiegel*, no. 42 (15 October 1973).

«المتأرجحة»[٧٧]، او «المخادعة»[٧٨]. ويمكن للقارىء ان يستنتج ذلك ايضاً من خطاب للسادات، القاه في نهاية ايلول/ سبتمبر ١٩٧٣. فقد اعلن في هذا الخطاب عن عفو عام يشمل جميع الطلاب المتظاهرين والمفكرين، وهو امر فسّره بعض المراقبين بأنه اشارات ضعف في نظامه. وقال ايضاً، انه لن يتحدث ابداً عن حرب في هذه المرحلة. ونُظر الى هذا الامر على انه نهاية لجميع الاستعدادات العسكرية. واتهم في هذا الخطاب ايضاً السوفيات بعدم الموافقة على تزويده بأسلحة كافية. وادعى بأنه لهذه الاسباب لن يستطيع شن حرب جديدة.

وفي ايلول/ سبتمبر زار السادات الجزيرة العربية، اي السعودية والكويت والامارات العربية الاخرى، وشرح لهم سياسته السلمية. كما انه لم يخبر العقيد القذافي الذي زار القاهرة في الذكرى الثالثة لوفاة الرئيس الراحل عبدالناصر، بنواياه حول شن حرب جديدة[٧٩]. وقد قادت هذه العوامل مجتمعة الى عدم تسرّب موعد بدء الحرب الى الخارج.

(٣) فعالية التنسيق

ان ما «يصعب تصديقه» عن هذه الحرب، «ولا يتلاءم مع الصورة»[٨٠] هو فعالية التنسيق بين القوات المصرية والسورية. ففي الوقت نفسه فتحت القوات المصرية والسورية نيرانها عبر قناة السويس من جهة، وعلى مرتفعات الجولان من جهة ثانية، وقامت هذه القوات بالعبور والتقدم في الوقت نفسه، بينما كان الاسرائيليون في حالة عدم الاستعداد. وهكذا تحطمت اسطورة «السوبرمان»[٨١] الاسرائيلي الذي «لا يمكن ان تقهره»[٨٢] الاقطار العربية «المحيطة به والمتفوقة عليه عدداً»، حتى ولو اصاب الاسرائيليون النجاح في استعادة مواقعهم[٨٣]. ولم تتكلم دير شبيغل اكثر عن اسرائيل - داود الحامل لمقلاعه المسيطر على الوضع - داود الذي جعلته الصحافة بالمقارنة مع العرب «سوبرمان» لا يخاف القوة المادية العربية «ما دامت روسية الصنع، والفريق الذي يضعها موضع التنفيذ عربي. فالآن ظهرت صورة (شمشون) العربي المسيطر سيطرة تامة على قوة شعره»[٨٤].

وتغلّب العرب على العار الذي لحق بهم بعد هزيمة حرب الايام الستة في ١٩٦٧[٨٥]، واصبح من غير الممكن العودة الى الوضع الذي كان قائماً قبل اندلاع الحرب

---

(٧٧) المصدر نفسه.

(٧٨) Körber, *Die Welt,* 17/10/1973.

(٧٩) المصدر نفسه.

(٨٠) Helgert, *SZ,* 16/10/1973.

(٨١) *Der Spiegel,* no. 43 (22 October 1973).

(٨٢) *Der Spiegel,* no. 44 (29 October 1973).

(٨٣) D. Schröder, *SZ,* 15/10/1973.

(٨٤) *Der Spiegel,* no. 43 (22 October 1973).

(٨٥) *Der Spiegel,* no. 44 (29 October 1973).

وقد استطاع السادات ان يحقق ذلك(٨٦) مهما كانت الطريقة التي ستنتهي بها هذه الحرب(٨٧).

اما التنسيق السوري المصري فقد ظل ساري المفعول ايضاً خلال الحرب. وقد شدد بوخالا وغيره من الصحفيين في تقاريرهم على هذا التنسيق خاصة في معركة الدبابات في ١٥ تشرين الاول/ اكتوبر. واذا ما تعرضت الجبهة السورية الى الضغوط، هبت الجبهة المصرية لمساعدتها، والعكس بالعكس ايضاً(٨٨).

لقد كشف اندلاع الحرب بصورة واضحة، الكثير من العيوب و الضعف داخل النظام الاسرائيلي، وكانت الانتصارات الاسرائيلية قد اخفتها منذ عام ١٩٤٨. ومنذ حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧ والتقديرات الايجابية تنهال على الجيش الاسرائيلي وعلى الاستخبارات الاسرائيلية وعلى المقدرة الاسرائيلية «الكفوءة» خاصة خلال استدعاء الاحتياط واعلان التعبئة العامة. كما وجدت الاستراتيجية الاسرائيلية الحربية صدى ايجابياً لها في الغرب، تلك الاستراتيجية التي تشير الى ان افضل وسائل الدفاع هو ان تشن الهجوم على العدو في عقر داره.

وبالرغم من اعلان اسرائيل للتعبئة العامة في اليوم الاول من الحرب اي في ٦ اكتوبر/ تشرين الاول ١٩٧٣، الا ان الطريقة والاسلوب اللذين نفذت ضمنهما التعبئة العامة لم يتطابقا مع الصورة التي لدى الخبراء حول المقدرة العسكرية الاسرائيلية في هذا المجال. ولم يستطع الجنود الاسرائيليون الوصول الى الجبهة الا بعد مضي فترة ليست بالقصيرة وقد استطاع خلالها السوريون والمصريون الوصول الى وقف اطلاق النار خلال عام ١٩٦٧. وقد حاولت اسرائيل تبرير تخليها عن المبادرة مدعية بأنها تحضر لضربة وقائية ضد العرب.

(٤) عقلانية الدعاية العربية

بالرغم من ادعاءات كوربر الحاقدة، التي ارسلها الى صحيفته من دمشق في ١٣ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣ متذرعاً بسيطرة «التعصب العربي المستوحى من شهر الصيام، شهر رمضان، ومن النداءات التي لا تتوقف عن الجهاد المقدس في المساجد الملأى بالمصلين»(٨٩)، فإن باقي الصحفيين لم ينساقوا في هذا التيار، وقد كتبوا عن عقلانية الدعاية العربية خلال هذه الحرب اكثر مما كانت عليه في حرب ١٩٦٧.

استقبل جزء كبير من العالم الغربي بفرح ملحوظ الضربة الاسرائيلية العسكرية القوية عام ١٩٦٧ التي وجهت الى التهديدات المتبجحة للحكومات العربية(٩٠).

---

(٨٦) المصدر نفسه، و D. Schröder, *SZ*, 15 / 10 / 1973.

(٨٧) Münchhausen, *FAZ*, 15/10/1973.

(٨٨) Buchalla, *SZ*, 16/10/1973 , and *SZ*, 20 / 10 / 1973.

(٨٩) Körber, *Die Welt*, 13/10/1973.

(٩٠) Held, *FAZ*, 8/10/1973.

ويقول مونشهوزن في هذا الصدد يبدو ان المسؤولين «فيما يتعلق بالمعلومات والدعاية قد تعلموا من اخطاء الماضي»[٩١]. ويعتبر هذا امراً مهماً يدعو الى الدهشة خلال حرب ١٩٧٣. اي بعكس حرب ١٩٦٧ حيث «كانت الدعاية الهستيرية تحرض العرب فيتجاوبون معها بشكل هستيري» اما في ١٩٧٣ فقد بدوا «متزنين ومستعدين للتضحية»[٩٢]. وكانت دعايتهم في هذه الحرب «رزينة»[٩٣]، ولم تلجأ الى بث «الادعاءات الكاذبة»[٩٤]. وسبب ذلك كما يرى مونشهوزن هو ان «اصحاب الجمل الطنانة»[٩٥] امثال رئيس منظمة التحرير الفلسطينية السابق احمد الشقيري، او رئيس اذاعة صوت العرب السابق، احمد سعيد، او الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، لم يكونوا في موقع السلطة.

يقول كونتسلمان «لقد اصبح من الممكن الاستمرار في الحرب دون الشعور بالنقص»[٩٦] لأن العرب اثبتوا بأنهم على المستوى نفسه مع الاسرائيليين في التعامل مع السلاح[٩٧]. والنجاحات او الانتصارات غير الحقيقية، لم يدّع وقوعها العرب، ولم يحتفلوا بها. اما بيتر ريسن، فيقول ان الدعاية السورية «واسعة الخيال والتصور» قد اصبحت محافظة اكثر من عام ١٩٦٧. وكانوا قد ادعوا بأن الجيش السوري يتقدم نحو تل ابيب بالرغم من هزيمتهم[٩٨]. ويتجنب العرب في هذه الحرب «الكذب على النفس وبما ان الشعارات الطنانة «غير موجودة»، فإن المشاعر لم تلتهب». ولم يدعُ احد الى القيام بمظاهرات «هائجة او داعية الى سفك الدماء». ولم تشتعل النار في السفارات الامريكية في اي من العواصم العربية ـ حتى بعد ان اعلن في الراديو بأن الطيارين الامريكيين هم الذين قادوا طائرات الفانتوم الى اسرائيل، لقد ترك العرب قيادة الحرب الى العسكر، واثبتوا بذلك حسن تصرفهم وذكائهم[٩٩].

وقد كتبت دير شبيغل من القاهرة تقول بأن المصريين «أعربوا عن بواعث فرحتهم بالنجاح الذي يحققه جيشهم، إلّا انهم لم يلجأوا الى الشوفينية الغارقة بادعاءاتها، ولم يواجهوا اصدقاءهم الغربيين بالكراهية الا ما ندر»[١٠٠].

---

(٩١) Münchhausen, *FAZ*, 15/10/1973.

(٩٢) *Der Spiegel*, no. 43 (22 October 1973).

(٩٣) Konzelmann, *Die Zeit*, (19 October 1973).

(٩٤) Münchhausen, *FAZ*, 15/10/1973.

(٩٥) المصدر نفسه.

(٩٦) جاء في النص الالماني «دون الشعور بالكراهية» (Ohne hassgefühl)

(٩٧) *Die Zeit*, (19 October 1973).

(٩٨) Rissen, *Die Welt*, 16/10/1973.

(٩٩) Konzelmann, *Die Zeit*, (19 October 1973).

(١٠٠) *Der Spiegel*, no. 43 (22 October 1973). الا انها عادت وأكدت غير ذلك عندما كتبت بمناسبة موت ديفيد بن غوريون تقول: «ان الكراهية لدى جيران اسرائيل اجبرتها على ان تلعب دور بروسيا اليهودية، فتصبح دولة الحراسة، فوجدت نفسها مقابل دفاعها عن حياة مواطنيها، قد اصبحت مادة للحقد لدى اليسار في العالم كله، تقف بجانب البرتغال (قبل الثورة) وجنوب افريقيا وفوق كل ذلك الى جانب الولايات المتحدة الامريكية». انظر: *Der Spiegel*, no. 50 (10 December 1973).

وفي هذا المنحى كتب، بوخـالا بعد رحلته الى المواقع المصرية في سيناء حول لقاء للصحفيين الاجانب مع عقيد في الجيش المصري، فيقول ان العقيد تجنب، وهو يتكلم، «الكلمات الطنانة الكبيرة المعروفة بها المبالغة الشرقية، فهو متزن ودقيق دقة كُتّاب الحسابات». ويستشهد بوخالا بقول للعقيد جاء فيه، «لقد تكلمنا سابقاً كثيراً وغالباً ما صدّقنا ما نقول، اما الآن فإننا نتكلم اقل ونفعل اكثر»(١٠١).

ان ما يثبت بأن دعاية البلدان العربية اصبحت اكثر اتزاناً عن ١٩٦٧، وانها لا تحتفل بنجـاحات ليس لها ظل من الواقع، هو إقران بياناتها العسكرية المنتصرة في هذه الحرب بالـبراهـين. وعمدت شبكات التلفزيون المصرية والسورية واللبنانية والاردنية الى عرض السجناء الاسرائيليين في نشراتها «كبرهان على انتصارها في الحرب»(١٠٢)، مما ادى الى محو التصوّر من ان «الاسرائيليين العسكريين لا يمكن قهرهم وانهم سادة الموقف وعلى اهبة الاستعداد لمواجهة اي حالة كانت»(١٠٣).

وهـذا ما مكّن العـرب من التغلب على «كـابـوس» الهـزيمـة الـذي رافقهم منـذ ١٩٦٧(١٠٤). وكدليل على انتصارهم تلك النداءات الموجهة للمواطنين بعدم اساءة معاملة الطيارين الاسرائيليين الذين يتم اسقاطهم، وتسليمهم فوراً الى الجيش(١٠٥).

وقد اضطرت اسرائيل كنتيجة للمقاومة العنيفة التي ابدتها القوات العربية في هذه الحـرب الى تصحيح «بيانـات الانتصـار» التي تذيعها(١٠٦). ويبدو ان المقدرة على صيغة «البيانات الطنانة والجميلة، والفارغة»، في الوقت نفسه، انتقلت عبر القناة الى اسرائيل هذه المرة، كما جاء ذلك في مجلة دير شبيغل القائلة: «اذا ما كان العرب قد هدّدوا مرة بأنهم سوف يرمون اسرائيل في البحر، فها هوذا رئيس الاركان الاسرائيلي (اليعازر) يصرح «بأننا سنهاجم العدو حتى نحطم عظامه»(١٠٧). ومن الملاحظ ان مثل هذه الاقوال والادعاءات بدأت تتردد كثيراً على لسان المسؤولين الاسرائيليين(١٠٨).

(٥) روح القتال والمثابرة لدى القوات العربية

يعتقـد هيغـرت بأن من اكبر المفاجآت في هذه الحرب، «صلابة القوة القتالية والمقدرة العسكرية التقنية والمعرفة التقنية لدى المصريين والسوريين، اذ ان هذه المميزات تحتاج في نهاية المطاف الى

---

(١٠١) Buchalla, *SZ*, 5/11/1973.

(١٠٢) Münchhausen, *FAZ*, 10/10/1973.

(١٠٣) Konzelmann, *Die Zeit*, (19 October 1973).

(١٠٤) Münchhausen, *FAZ*, 15/10/1973.

(١٠٥) Münchhausen, *FAZ*, 19/10/1973.

(١٠٦) *Der Spiegel*, no. 42 (15 October 1973).

(١٠٧) المصدر نفسه.

(١٠٨) Kempski, *SZ*, 12/10/1973 and 15/10/1973, and *Der Spiegel*, no. 43 (22 October 1973).

دراسة محكمة وتدريب مستمر للقيام باتباع التعليمات المعقدة الموجودة ـ مثلاً ـ في الطائرات الحربية، وخلال الردع الجوي باستعمال الصواريخ او ما يتعلق بتجهيز البناء التحتي للقوات المدرعة الكبيرة»(١٠٩). وفي هذا المجال بالتحديد يقول هيغرت، لقد اخطأت التقديرات الاسرائيلية والخبراء الاجانب والسوفيات لأنهم اعتقدوا بعدم امكانات المصريين والسوريين تحقيق هذه الانجازات(١١٠).

ان اسرائيل لم تواجه هذه المرة عدواً يتشبث باذيال الهرب كما نقل الجنرال حاييم هرتسوغ الى الاسرائيليين(١١١) وانما هي تواجه عدواً «يقاتل كالرجال بالاضافة الى انه منظم تنظيماً جيداً»(١١٢).

وقد كان لهذه التغييرات اثرها في تحرير العرب من عقدة النقص في مواجهة اسرائيل(١١٣). ويقول فوكه بالتحديد حول هذا النزاع، لا يمكن للمرء ان يتعاطى مع «الكيليشهات القديمة» البائدة القائلة بأن هناك «صوراً سيئة عن جوليات العربي وصوراً جيدة عن داود الاسرائيلي»(١١٤). ويقول ديتر فيلد في دير شبيغل «لم يصدق احد في اسرائيل بأن العرب، الذين كان من المفروض ان يخشوا من القتال الليلي سيشنون هجومهم يوماً ما بعد الظهر»(١١٥).

ب ـ الاعجاب بالانجازات العسكرية

(١) عبور قناة السويس واحتلال خط بارليف

عبور قناة السويس واحتلال خط بارليف من الانجازات العربية في هذه الحرب(١١٦). وقد قامت القوات المصرية بعبور قناة السويس في ثلاثة عشر موقعاً مستخدمة الجسور العائمة، كما اقتحم السوريون المواقع الاسرائيلية في ثلاث جهات(١١٧)، الا ان المصريين لم يتقدموا داخل سيناء بعد عبورهم القناة، الامر الذي لا يفسر فقط، وانما يثبت بأن هدف المصريين من هذه الحرب كان محدوداً، وقد ادت هذه الاحداث الى تخوف الصحف الالمانية الغربية من ان هذه الحرب لا تسير وفق ما تشتهي اسرائيل. لقد تحولت هذه الحرب من حرب تحريك الى حرب استنزاف، وهو تطور فُسّر بأنه لم يكن في صالح اسرائيل، لأن العرب وليس الاسرائيليين يستطيعون تحمل حرب الاستنزاف. وفي ضوء هذا الواقع سوف تتم

---

(١٠٩) Helgert, *SZ*, 16/10/1973.
(١١٠) المصدر نفسه.
(١١١) *FAZ*, 11/10/1973.
(١١٢) M. Schröder, *SZ*, 20/10/1973.
(١١٣) Sorge, *Der Spiegel*, no. 50 (10 December 1973).
(١١٤) Vocke, *FAZ*, 9/10/1973.
(١١٥) Wild, *Der Spiegel*, no. 48 (26 November 1973).
(١١٦) شرح الفريق سعد الدين الشاذلي الرواية المصرية عن العبور في مقابلة صحفية، انظر: الاخبار (القاهرة)، ٢٠/ ١١/ ١٩٧٣.
(١١٧) *Der Spiegel*, no. 42 (15 October 1973).

دراستنا لنظرة الصحف الالمانية الغربية الى هاتين العمليتين: العبور واجتياح خط بارليف.

يعتقد فاينشتاين بأن المصريين قد اتقنوا دروس حرب المدرعات وبالرغم من ان القناة ضيقة فعلاً الا انها تشكل عائقاً عسكرياً كبيراً. وكانت عملية العبور تحتاج «الى الكثير من دقة التنظيم، والمهارة الكبيرة، وتفنن المرتجل يتبعه مباشرة تخطيط دقيق» بعد استرجاع الضفة الاخرى للقناة(١١٨). ويصل كيمبسكي في صحيفة زود دويتشه تسايتونغ، الى تحليل مشابه، ولكنه يعرب عن رأيه بتحفظ. فيقول بأن المصريين تمكنوا تمكناً جيداً من عملية العبور البرمائي ذات الاهمية البارزة من الناحية العسكرية. وعلى عكس فاينشتاين، فإنه يرى ان الاهمية لا تكمن في عملية العبور فحسب، وانما باجتياح حزام التحصينات ـ اي خط بارليف والذي تم احتلاله بعد العبور(١١٩).

ومن اجل ان يدعم حجته هذه يستشهد فاينشتاين في اليوم التالي، ١٢ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣ بفون كلاوسيفتس، حيث يجد المصريون انفسهم في «وضع حرج» كذلك الوضع الذي وجد فيه المارشال تورين (Turenne) نفسه عام ١٦٧٥، وكان يحارب وظهره الى نهر الراين «العائق المائي الكبير». وينجح تورين في عبور نهر الراين عبر جسر صغير وجده على جناحه الايمن. وبالرغم من ان المارشال تورين لم يكن يفضل عادة ان يتصرف مثل هذ التصرف الا ان كلاوسيفتس قوّمه تقويماً عالياً في قوله: «لن نكون مجحفين لو قلنا ان هذه العملية (التي قام بها تورين) تتضمن درجة عالية من الفن والفهم العسكريين». لذا يرى فاينشتاين بأن الهجوم العسكري المصري على سيناء «لم يكن اعتيادياً» وهو الموقف نفسه الذي وقفه تورين(١٢٠).

واذا ما استشهد فاينشتاين بالمؤرخين الكلاسيكيين حول قيادة الحرب ليثبت تقويمه الكبير لانجازات المصريين، فإن مراسلي وصحفيي صحيفة دي فلت عمدوا الى اجراء مقارنة مع التجربة الالمانية في الحرب العالمية الثانية ليثبتوا بأن ما انجزه المصريون، هو امر معروف جداً، وقد جرّبه «الروس» قبلهم وعلّموه للمصريين. وقول هاينتس شيفه ان قيادة الاركان الاسرائيلية اساءت تقدير العرب والسوفيات بشكل اساسي، وعندما بدأ الروس في ربيع عام ١٩٤٥، اجتياح نهر الاودر (Oder) اقاموا الجسور العائمة، ولم يكن سوى بعض سنتيمترات تغور منها داخل الماء، كما تم تشييد مثل هذه الجسور ايضاً فوق قناة السويس. الا ان الدبابات السوفياتية عندما كانت تعبر فوق هذه الجسور، فإنها كانت تتعامل مع سلاح الجو الالماني «بشكل سيء». يقول شيفه «ان المصريين اخذوا هذه العملية من السوفيات، وقد استطاعت القوات الاسرائيلية في بعض المواقع قصف الجسور المصرية على القناة، ولكن المصريين اعادوا بناءها بسرعة. ان هذه الجسور ـ وهي جسور جاهزة ـ كانت متوفرة من عام ١٩٤٥، وبالامكان جمعها بثوان

---

(١١٨) Weinstein, *FAZ*, 11/10/1973.

(١١٩) Kempski, *SZ*, 12/10/1973.

(١٢٠) Weinstein, *FAZ*, 12/10/1973.

معدودة» لتصبح جاهزة للاستعمال. لذلك نصح شيفه الجيش الاسرائيلي ان يتبنى في هذه «الحرب الخاسرة» الاساليب التي تبناها الروس في مناوراتهم وجربوها في شتيبه (Steppe) وتيجا (Taiga). ويقول، كان القتال في سيناء يدور كما دار القتال من قبل في سيبيريا، ودار في قناة السويس كما دار من قبل على الاودر(١٢١).

ويقدم كل من فاينشتاين وكيمبسكي اسباباً مختلفة، ولكنها تكمل بعضها البعض لتفسير نجاح عملية العبور.

ويؤكد فاينشتاين، بأن العبور دلّ على ان المصريين قد اتقنوا دروس حرب الدبابات، وقد ابقوا تحركاتهم سريّة واختاروا «الخطة السيكولوجية الصحيحة»، اي يوم الغفران في اسرائيل(١٢٢). وادعت مجلة دير شبيغل، بأن السادات كان متأثراً بالفيتكونغ عندما اختار هذا الموعد لشن الحرب، كما اختار الفيتكونغ، عيد تت لبدء هجومهم عام ١٩٦٨، وقد اعجب السادات بهذا التوقيت آنذاك(١٢٣). ويقول فاينشتاين ان المصريين عندما قاموا بنقل الرجال والمعدات الحربية اتبعوا طريقة ضللت عدوهم في معرفة مركز ثقل تحركاتهم(١٢٤). اما كيمبسكي فيورد السبب نفسه ليفسر فقط نجاح المصريين فيقول «كان المصريون يتفوقون عدداً وعدّة على نوعية الجنود الاسرائيليين وقيادة الحرب الاسرائيلية(١٢٥). وقد حصل المصريون على «كميات كافية من المواد الحربية» السوفياتية ومن احدث الاسلحة الصاروخية السوفياتية، وكان معظمها من الصواريخ المتحركة. كما استلم المصريون من السوفيات قطع الغيار للجسور(١٢٦).

---

(١٢١) Schewe, *Die Welt*, 28/11/1973.

هذه المقارنة مع التجربة الالمانية في الحربين الاولى والثانية ظهرت اكثر من مرة في الصحافة الالمانية، يقارن (سيكون) في جريدة دي فلت المؤرخة ١٦ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣ بين التجربة الحربية الالمانية، وقيادة اسرائيل للحرب في الشرق الاوسط. إن هذا «الكابوس في حرب تخاض على جبهتين او ثلاث جبهات يعرفها الالمان جيداً،» ومثلما كان لاسرائيل جبهة شمالية (من سوريا) وجبهة جنوبية «مصرية» فقد كان للألمان ايضاً جبهتان في الشرق وفي الغرب. وبينما «قوّم العالم كله قدرات الجيش الجرار الروسي اكثر مما يجب، يبدو أن العالم كله في هذه المرة قد اساء تقويم مقدرات المصريين». انظر: Cycon, *Die Welt*, 16/10/1973.

وقد قارن هيرمان رينر، بين معركة الدبابات التي احتدمت في ١٤ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣، في سيناء وقوة النيران المصرية مع قوة النيران السوفياتية في ستالينغراد اثناء الحرب العالمية الثانية. ويقول رينر انه ليس بصدد تلك المعركة بالدبابات على نمط المعارك التي قادها جودريان (Guderian) في الحملة الفرنسية، وانما هو يعني المعركة التي جرت على نمط المعارك التي قادها رايشينو (Reichenau) ومانشتراين (Manstrein) وغيرهما في عمق الاراضي الروسية او في المعارك الكلاسيكية التي ادارها رومل في حروبه في الصحراء بين سيرت وخليج ميناس، انظر:
Hermann Renner, *Die Welt*, 19 / 10 / 1973.

(١٢٢) Weinstein, *FAZ*, 11/10/1973.

(١٢٣) *Der Spiegel*, no. 42 (15 October 1973).

(١٢٤) Weinstein ,Ibid.

(١٢٥) Kempski, *SZ*, 12/10/1973.

(١٢٦) Weinstein, *FAZ*, 12/10/1973.

وبالمقارنة مع هذه النجاحات المصرية، كان يقابله فشل الاسرائيليين في قيادة المعارك، نتيجة التأخير في اعلان التعبئة العامة لدى الجيش الاسرائيلي. ولم تكن الانجازات العسكرية الاسرائيلية متميّزة، فقد تخلت الحكومة الاسرائيلية في بداية الحرب، عن المبادرة مما سبب جدلاً واسع النطاق داخل مجلس الوزراء الاسرائيلي. وقد اثبت نظام التعبئة العامة الذي امتدح بشكل كبير بعد حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧، «بأنه لم يكن مرناً»(١٢٧). يضاف الى ذلك اندهاش الجنود الاسرائيليين لصلابة المقاومة وعنفها لدى القوات العربية، وقد شكلت المميزات العسكرية لدى القوات العربية «مفاجأة كبيرة لاسرائيل وللرأي العام العالمي».

ويفتقد فاينشتاين في هذه الحملة من حرب الخمسة والعشرين عاماً، «التألق الروحي العسكري الفريد» للاسرائيليين، ووجد نفسه مضطراً بناء على التقصير الاسرائيلي ان يتساءل هل ان جيلاً عسكرياً آخر يقود اسرائيل اليوم؟(١٢٨).

ان عبور قناة السويس واجتياح خط بارليف ـ حزام التحصينات الاسرائيلي ـ الذي «شيد بعد جهود كبيرة وتكاليف باهظة»(١٢٩) تعتبر من الانجازات العربية في هذه الحرب. ان هذا الخط يبقى خطاً مجرداً ولكن المرء يدرك مدى الانجاز العسكري الذي حققه الهجوم المصري، على حد تعبير فون مونشهوزن، بعد زيارته للمواقع المصرية في سيناء(١٣٠). لقد تم احتلال هذا الخط بطريقة «انقلابية»(١٣١) حسب تعبير دير شبيغل، ومن اجل عرض مدى اهمية هذا الانجاز العسكري، فقد اوردوا وصفاً للصحفي الامريكي شارل بلاك (Charles Black) لخط بارليف جاء فيه: «انه حصن يتضمن شبكة شوارع عسكرية، وخزانات وقود، وماء ومصائد للدبابات، والغاماً ومستشفيات تحت الارض. وهو بهذه التجهيزات يعتبر أضمن الخطوط المحصنة في العالم»(١٣٢). وتصف دير شبيغل الحركة الانقلابية التي تم بها احتلال خط بارليف، بأنها «اكبر نصر معنوي حققه العرب في حربهم ضد الدولة اليهودية»(١٣٣)، وقد امدّهم بكثير من الفخر والاعتزاز(١٣٤). ولم يزل الوعي الذاتي المصري والعربي الذي استفاق وظل يتغنى به حتى اليوم(١٣٥).

---

(١٢٧) المصدر نفسه.

(١٢٨) المصدر نفسه.

(١٢٩) Schewe, *Die Welt*, 11/10/1973.

(١٣٠) *FAZ*, 5/11/1973.

(١٣١) *Der Spiegel*, no. 42 (15 October 1973).

(١٣٢) *Der Spiegel*, no. 42 (15 October 1973). للرواية الاسرائيلية، انظر: يشعياهو بن فورات وآخرون، التقصير «المحدال»، ترجمة مؤسسة الدراسات الفلسطينية (بيروت: المؤسسة، ١٩٧٤)، الفصل الخامس ـ الفصل السابع. الرواية المصرية يمكن العودة اليها في مقابلة الفريق سعد الدين الشاذلي في صحيفة الاخبار السابقة الذكر.

(١٣٣) *Der Spiegel*, no. 42 (15 October 1973), pp.115-116, and Müller-Hülsebusch, *Der Spiegel*, no. 44 (29 October 1973), p. 119.

(١٣٤) Weinstein, *FAZ*, 10/10/1973.

(١٣٥) *Der Spiegel*, no. 45(5 November 1973), p. 116.

اما صحيفة دي فلت فإنها تقوّم اجتياح خط بارليف تقويماً مغايراً، وتؤكد الرواية الاسرائيلية كما رواها الجنرال هيرتسوغ لمجلة التايمز الامريكية. ادعى هيرتسوغ بأن العرب احتلوا خطاً دفـاعياً فقط، ولم يكن فيه سوى القليل من الجنود(١٣٦). وقال «سيكون» ان احتلال الضفة الشرقية للقناة اي خط بارليف، لم يكن صعباً جداً لأن المصريين لم يجتاحوا اكثر من «الطلائع الاسرائيلية»(١٣٧). اما هاردت، فكان مع الرأي القائل بأن الدفاع في خط بارليف كان دفاعاً «قميئاً» وان القوات الاسرائيلية في بداية الحرب لم تكن كافية(١٣٨) لأنها كانت موجودة على الجبهة الشمالية مع سوريا.

وادلت مجلة دير شبيغـل بدلوهـا ايضاً وأكّدت بأن خط بارليف ليس خط ماجينو، وكـانت مهمـة الجنـود في خط بارليف مجرد اعـاقـة العـدو لبضـع ساعـات حتى تصـل التعزيزات (١٣٩). وأكد رافن يوم ٢٠ تشرين الاول/ اكتوبر ما قاله زملاؤه من ان المدافعين على خط بارليف قليلون، الا انه ابدى اعجابه بهذه العملية قائلاً: «انها تمثل ـ وبدون شك ـ عملاً محترماً للطلائع المصرية» ـ وبالرغم من ان خط بارليف هو «ليس خطاً تحصينياً»(١٤٠). يعود هاردت فيؤكد انه من ناحية اخرى سيصعب على المصريين المحافظة على الضفة الشرقية تحت ضغط الهجمات الاسرائيلية من الجو والبر. ومن ناحية اخرى قد يصعب على الاسرائيليين طرد المصريين من تحصينات خط بارليف. ولكن هاردت، ومجلة دير شبيغل وفاينشتاين، متوحدون في الرأي بأن الصعوبة تقع في ان المصريين بعد احتلالهم خط بارليف لم يتقدموا الى الامام في سيناء، حيث «الحائط الغربي» الاسرائيلي على بعد خمسة وثلاثين كيلومتراً ما بين ممر ميتلا وممر جدي وسلسلة الجبال الاولى في شبه جزيرة سيناء. لقد توقف المصريون في «خط ماجينو» اي خط بارليف، لذلك اضطر الاسرائيليون ان يتقدموا نحوهم، مما سبب ارتباكاً قوياً للخطة الاسرائيلية وهو «ما يفسر النجاحات الاولية التي حققها المصريون»(١٤١). وعندما يتقدم الجيش الاسرائيلي على «خط ماجينو» ستصبح الحرب آنذاك حرباً متحركة(١٤٢).

(٢) استرجاع هضبة الجولان المحتلة

مثلما طرأ تغيير على صورة المصريين والعرب بشكل عام، طرأ تغيير ايضاً على صورة السـوريين في صحـافـة المـانيا الاتحـادية نتيجة للحرب التي دارت على هضبة الجولان. واضطرت الصحافة ان تعترف بالتغيير الذي المّ بصورة السوريين، لأنه لم يكن سهلاً او

---

(١٣٦) نشر جزء من هذه المقابلة في: *FAZ*, 11 / 10 / 1973.

(١٣٧) Cycon, *Die Welt*, 10 / 10 / 1973.

(١٣٨) Hardt, *Die Welt*, 11 / 10 / 1973.

(١٣٩) *Der Spiegel*, no. 42 (15 October 1973).

(١٤٠) Raven, *Die Welt*, 20 / 10 / 1973.

(١٤١) المصدر نفسه.

(١٤٢) Weinstein, *FAZ*, 10 / 10 / 1973.

امراً اعتيادياً ان يرى المرء القوات الاسرائيلية «المنتصرة» تقع في المأزق، لذا اضطر الاسرائيليون الى التخلي عن كثير من مواقعهم في الجولان كما اضطروا، بسبب شدة الاشتباكات، الى اخلاء الكيبوتسات من المستوطنين. «لقد كانت تلك المعارك بالنسبة لاسرائيل، اكثر مرارة وخطورة من اي معركة خاضتها في حرب ١٩٦٧»، وقد جاء ذلك على لسان الجنرال هوفي، وهو على الجبهة السورية(١٤٣). لقد بدأت الحرب على الجولان بالتعاون والتنسيق مع الجيش المصري، وهنا نود ان نستعرض الكتابات الصحفية حول اهمية الجولان وحول الصورة المتغيرة عن السوريين نتيجة لهذه الحرب كما جاءت في الصحف الالمانية الغربية.

(أ) اهميـة الجـولان

اعرب جميع مراسلي ومحرري الصحف الالمانية الغربية، عن اعتقادهم بأن الجبهة الجنوبية هي الجبهة الاهم في الحرب بين الاسرائيليين والعرب. وقد كان هناك اتفاق في الرأي بين جميع الصحف بأن اسرائيل يجب ان تحسم موقفها من الناحية العسكرية على الجبهة الجنوبية، اي المصرية، اولاً، لأن المصريين يمتلكون عدداً وعدة اكبر من تلك التي لدى السوريين(١٤٤). الا ان للجبهة السورية اهميتها ايضاً. ويفسر كوربر ذلك بقوله: إن«سوريا هي العدو الاكثر راديكالية والاشد خصومة»(١٤٥) لاسرائيل. وقد رفضت قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ (المؤرخ ٢٢ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٦٧)(١٤٦). وسوريا ايضاً لا تهدف فقط الى تحرير او استرجاع هضبة الجولان فحسب وانما الى «تحرير كل فلسطين، الامر الذي يعني تدمير اسرائيل». وسوريا هي «حامية الفدائيين» اساساً(١٤٧).

ولأجل تركيز اهمية جبهة الجولان، يربط ممثلو الصحف الالمانية الغربية الدور الذي تلعبه سوريا في موقعها الجغرافي، حيث تقع شمال فلسطين، وحيث اقيمت دولة اسرائيل. وهذا يعني، اذا لم تنقل اسرائيل المعارك الى الارض السورية فإن الحرب ستدور رحاها على الارض الفلسطينية، اي ضمن حدود دولة اسرائيل. وكانت استراتيجية اسرائيل منذ انشائها تدور حول نقل مواقع الحرب الى اراضي العدو اي البلدان العربية المجاورة.

وقد نجح السوريون بعد بدء المعارك يوم ٦ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣ في اجتياح المواقع التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧، وكانت اسرائيل في بداية الحرب تقوم بتجميع قوتها

---

(١٤٣) *FAZ*, 11/10/1973.

(١٤٤) انظر مثلاً: Münchhausen, *FAZ*, 10/10/1973.

(١٤٥) Körber, *Die Welt*, 13/10/1973.

(١٤٦) يقول كوربر في: *Die Welt*, 13/10/1973, and *FAZ*, 25/10/1973 انه «مع قبول قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ المبني على اساس قرار مجلس الامن ٢٤٢ تكون جميع الدول المعنية في الشرق الاوسط قد قبلت بهذا القرار، ولكن بتفسيرات مختلفة. وقد رفضت سوريا قرار ٢٤٢ لأنه (١) لم يحدد بوضوح انسحاب اسرائيل، (٢) لأنه لم يأخذ بعين الاعتبار وبشكل كاف ضمان حقوق الفلسطينيين».

(١٤٧) Körber, *Die Welt*, 13/10/1973.

الضـاربة على الجبهة السورية لأن اي «امتلاك او خسارة» مرتفعات الجولان «يقرر وجود اسرائيل كأمـة تستـطيع خوض الحـرب»(١٤٨). والجـولان تقـع باتجـاه «قلب الاراضي الاسرائيلية»(١٤٩) ولكنها لم تستطع بعد ان توجه الضربة الاحترازية المنتظرة والفاصلة. وقد استطاع السوريون التمسك بمواقعهم. وعندما شنت اسرائيل هجومها المضاد يوم ٩ تشرين الاول/ اكتوبر اصطدمت بـ «المقاومة الصلبة» للقوات السورية وهو الامر الذي «لم تحسب اسرائيل له حساباً منذ البداية»(١٥٠).

ان هضبـة الجـولان لها اهميتهـا الكبرى بالنسبة للسوريين، ليس لكونها جزءاً من الاراضي السورية، وكانت قد خسرتها في حرب ١٩٦٧ فحسب، وانما ايضاً، لأنها تبعد عن دمشق العاصمة السورية «مسيرة ساعة بالدبابة من مواقع القوات اليهودية»(١٥١). وهذا يعني بالنسبة الى السوريين اعادة امتلاك صمام الامان ضد تهديد العوامل الخارجية والعسكرية.

وقـد انتقـد فاينشتـاين السـوريين لأنهم اختـاروا مرتفعات الجولان لتكون مسرحاً للعمليات مع ان المرتفعات حسب رأيه «لا تصلح لمعارك الدبابات»، الا ان السيد فاينشتاين لا يقول لنا من اين كان يجب على السوريين ان يبدأوا معاركهم؟ هل يبدأونها من سوريا نفسهـا؟ ام من بلد عربي آخر؟ او لا يدخلونها اصلاً؟ وعندما تكبدت القوات المتحاربة خسائر كبيرة في قواتها المدرعة، لم تكن تلك - حسب رأي فاينشتاين - الا الدليل على ان «الاختيار الخاطىء يؤثر على الاهداف العاملة وعلى نقاط الضعف لدى العدو على حد سواء»(١٥٢).

(٣) تغير الصورة عن السوريين

تقول صحيفة دي فلت في ١٣ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣ ان السوريين لم يهربوا امام اسرائيل، كما فعلوا عام ١٩٦٧. وقد اصبح واضحاً للاسرائيليين اخيراً بأن هؤلاء ليسوا الاعداء الذين «يسمحون لأنفسهم ان يقادوا».

ليس مستغـربـاً اذن ان نجـد الصحفيين يُظهـرون إعجـابهم عنـدمـا تدور رحى المعارك(١٥٣) بالمقاومة التي ابدتها القوات العربية اي المصرية والسورية، ولكنهم في الوقت نفسه ينددون بها، او يحتقرونها، او يعتبرونها اقل شأناً؛ - مثلاً - تقول جريدة دي فلت، معلنة اعجابها وتنديدها بالسوريين في الوقت نفسه، بأن اسرائيل تواجه «نوعاً آخر من الجنود، مقاتلين ممارسين، لهم خبرة بالتعامل مع تقنية السلاح الحديث، جنود لا ينظرون الى الاجهزة التوجيهية

---

(١٤٨) Weinstein, *FAZ*, 10/10/1973.

(١٤٩) Raven, *Die Welt*, 12/10/1973.

(١٥٠) Münchhausen, *FAZ*, 10/10/1973.

(١٥١) Weinstein, *FAZ*, 10/10/1973.

(١٥٢) المصدر نفسه.

(١٥٣) *Die Welt*, 13/10/1973.

والدبابات على انها العاب غريبة، وانها هي آلات للقتل»(١٥٤). يقول جندي اسرائيلي اجرى معه كولشوتر مقابلة صحفية، ان السوريين «هذه المرة يقاومون بعنف وبشكل جيد لا يهربون من المعركة، انهم ينسحبـون ويعيدون تجميع قواتهم، ثم يقـاتلون من جديد»(١٥٥). ولكن كيمبسكي لا يؤمن بمقاومة السوريين، فهو يتبنى وصف المعارك الذي يقدمه العسكريون الاسرائيليون على جبهـة الجولان، والمقاومة التي ابداها السوريون لا تعني بالنسبة له سوى انهم استطاعوا «تأخير الاستسلام»(١٥٦). ولكنه يضطر فيها بعد ان يصحح موقفه ويعترف في ١٥ تشرين الاول/ اكتوبر قائلاً: «ان ما هو مؤكد ان المقاومة التي يبديها السوريون كانت اشد مما كان متوقعاً. فهم لم يقوموا بانسحاب غير مخطط»(١٥٧).

ولم يفلح الاسرائيليون في استعادة المواقع التي خسروها امام السوريين بعد ان شنوا هجومهم المضاد يوم ٩ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣، الا بعد ان اقامت الولايات المتحدة جسراً جوياً لنقـل السـلاح الى اسرائيل آنذاك استطاعوا ان يحققوا الاختراق على الجبهة المصرية والسورية على حد سواء. ونقل كولشوتر ما جاء على لسان قائد فرقة اسرائيلية من وصف لمجـرى المعـارك التي استـطاعت بها القوات الاسرائيلية اعادة احتلال المواقع من السوريين على مرتفعات الجولان قائلاً: «لقد استطاع الجيش الاسرائيلي استرجاع مواقعه بعد معارك قاسية ودموية، دبابة ضد دبابة، وبدون اي لباقة او دهاء استراتيجي»(١٥٨).

ويقول رافن ان مرتفعات الجولان «ستصبح مقبرة للدبابات السورية»، وان «انتصارات الجيش الاسرائيلي ستحصل يوماً من الايام على الاعجاب الشديد اكثر مما حصلت عليه في حرب ١٩٦٧»(١٥٩). لم يكن انسحـاب السـوريين بشكل عشوائي. لقد انسحبوا «بشكل منظم ومنضبط يدعو الى الاستغراب». وعلى العكس من حرب ١٩٦٧ لم يتركوا وراءهم امواتهم او جرحاهم(١٦٠).

ج ـ تأثير الانجازات العربية على تقويم «اسرائيل»

(١) تنازل اسرائيل عن المبادرة

اعـترف قادة اسرائيل السياسيون والعسكـريون بأنهم كانوا على علم بالتحضيرات العربية للحرب، اي انهم كانوا على علم بالهجوم الا انهم لم يكونوا على علم بالتوقيت، كما

---

(١٥٤) المصدر نفسه، و Schewe, *Die Welt*, 11 / 10 / 1973.

(١٥٥) Kohlschütter, *Die Zeit*, (12 October 1973).

(١٥٦) Kempski, *SZ*, 12/10/1973.

(١٥٧) Kempski, *SZ*, 15/10/1973.

(١٥٨) Kohlschütter, *Die Zeit*, (16 November 1973).

(١٥٩) Raven, *Die Welt*, 16/10/1973.

(١٦٠) Kohlschütter, *Die Zeit*, (19 November 1973).

انهم فوجئوا بشدة القتال لدى العرب، وبأهداف العرب من هذه الحرب[١٦١].

دخلت اسرائيل الحرب وهي تحمل صورة مقولبة عن العرب (اي انها اقوى من العرب) وتقويماً اكبر من الواقع لقواها الذاتية، وبالتالي اضطرت ان تلجأ الى الارتجال في ردة فعلها لاندلاع الحرب.

وقد صرّح اريل شارون، الذي اصبح في اسرائيل وفي العالم لعبوره الى الضفة الغربية من قناة السويس، بطلاً من الابطال الذين تخلقهم الصحافة وتهلل لهم، صرح قبيل اندلاع حرب تشرين/ اكتوبر، بأن اسرائيل «دولة كبرى عسكرية... اننا نستطيع ان نحتل المنطقة من الخرطوم حتى بغداد والجزائر في اسبوع»[١٦٢]. ان هذا التصور للمقدرة الذاتية يفسر «تنازل» او «تخلي» اسرائيل عن المبادرة في هذه الحرب، على حد قول الصحافة الالمانية الاتحادية، لاعتقادها بأنها ستستطيع توجيه ضربة احترازية ضد البلدان العربية في اي لحظة ترى ضرورتها.

لقد تبرعت الصحافة الالمانية الغربية بنشر وتوزيع الاسباب والمسببات التي قادت حكومة اسرائيل، كما فسرتها وشرحتها، الى فقدان المبادرة وهو ما سمته في الواقع «تخلي او تنازل» اسرائيل عن المبادرة. وسبب ذلك، حسب رأيهم، ان اسرائيل التي اصبحت معزولة عن العالم نتيجة سياستها الاستيطانية، «لم ترغب في ان تدان مرة ثانية على انها المعتدي»[١٦٣]، وهي ارادت ان تجمع «نقاطاً ايجابية»[١٦٤]. وهذا هو سبب تخليها عن المبادرة[١٦٥].

يقول فون رافن في صحيفة دي فلت، وهو من مؤيدي السياسة الاسرائيلية، ان هذا الامر، اي تخلي اسرائيل عن المبادرة، كان ممكناً، لأن الاراضي المحتلة تشكل منطقة دفاعية لها. اما الهجوم العربي فلم يهدد قلب الاراضي الاسرائيلية لذلك استطاعت اسرائيل ان تناور، في بداية الحرب وتتبع استراتيجية «دفاعية»، بينما انطلقت بعد ايام من الحرب الى

---

(١٦١) انظر المقابلة التي اجرتها مجلة تايم الامريكية مع الناطق العسكري الاسرائيلي هيرتسوغ في:
Der Spiegel, no. 42 (October 1973); *FAZ,* 11 / 10 / 1973, and *Die Zeit,* (26 October 1973).

يتبرع جنرال متقاعد في الجيش الالماني في رسالة وجهها الى صحيفة فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ للدفاع عن اسرائيل لاظهار «التدريب الجيد والتنظيم القتالي الجيد للجيش الاسرائيلي» في هذه الحرب انظر رسالة:
Gerhard Graf von Schwerin, *FAZ,* 15 / 10 / 1973.

(١٦٢) *Der Spiegel,* no. 42 (15 October 1973).

(١٦٣) Tavor, *FAZ,* 11 and 16 / 10 / 1973, and M. Schröder, *SZ,* 12 / 10 / 1973.

(١٦٤) *Der Spiegel,* no. 42 (15 October 1973).

(١٦٥) Von Raven, *Die Welt,* 12/10/1973.

يقول شرودر في تقريره حول مناقشات الوزارة الاسرائيلية عن التخلي عن المبادرة ان دايان كان ضد ذلك، انظر: M. Schröder, *SZ,* 12/10/1973. اما زميله تافور فقال ان دايان امتنع عن التصويت، Tavor, *FAZ,* 11/10/1973 وانتقد اليعازر قرار الحكومة وانتقد دايان لأنه اساء تقدير قوة العرب، *SZ,* 12/10/1973.

«الهجوم»(١٦٦). الا انها اضطرت ان تتكبد الخسائر الكبيرة. ويتوصل زميله في دي فلت، السيد شيفه الى نتيجة مشابهة بعد ان استمع للمؤتمر الصحفي الذي عقده الجنرال ياريف في ١٠ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣، ليشرح موقف الحكومة الاسرائيلية. ويبدو ان اللقاء بالجنرال ياريف كان له تأثير كبير في نفس شيفه الذي عاد ليقول «كان ياريف منفعلاً ومهتاجاً» لأن اسرائيل قررت التخلي عن المبادرة من اجل ان «لا تقف امام العالم على انها المعتدية»(١٦٧).

وكتب كولشوتر ورول في الصحيفة الاسبوعية دي تسايت حول هذا القرار، ولكنهما يشككان في صحته. ويتساءلان «هل ان التخلي عن المبادرة هو محاولة لتحويل سوء تقدير الاستخبارات السرية الاسرائيلية الى فضيلة سياسية؟» ان «اسرائيل حتى تلك اللحظة لم تخضع ابداً احتياجاتها الامنية الى المكابرة القانونية الدولية»(١٦٨). في ضوء التفوق الكمي من ناحية عدد الرجال والاسلحة التي يمتلكها «اعداء اسرائيل» يجب عليها الا تقنع «بالفجوة النوعية» بينها وبين العرب. انها ليست متسعة كما كانت هذه الحرب، ويجب «ان يتم الاعتراف بأن المصرين والسوريين يقاتلون قتالاً مريراً وشديداً في كل متر اكثر من اي وقت مضى»(١٦٩). ويعتقد رول ان التخلي عن المبادرة قيّد الحركة لدى القوات الاسرائيلية(١٧٠). وتتوصل دير شبيغل الى نتيجة مشابهة فتقول: «لقد بات في حكم اليقين بأن المناطق العربية المحتلة قامت في الحقيقة بحماية قلب الاراضي الاسرائيلية من هجوم الجيوش العربية، الا انها لم توضح في اي حال من الاحوال للاسرائيليين مدى التحضيرات الحربية التي يقوم بها العرب والمتوقعة من دايان وعسكرييه»(١٧١).

تقوم الصحافة الالمانية الغربية بتجميع الاسئلة التي يتوجب على اسرائيل ان تجيب عليها، اي انها ترى ان تفهم كيف اخطأت اسرائيل؟(١٧٢) ولماذا تطورت الحرب بالطريقة التي تطورت بها؟ ولماذا فشلت الاستخبارات الاسرائيلية في توقع الهجوم العربي؟ ولماذا كانت القيادة العسكرية الاسرائيلية غير قادرة على خوض (المعركة) بأسلحة كافية لمجابهة الاسلحة السوفياتية الجديدة؟ ولماذا تكبد سلاح الجو الاسرائيلي بالرغم من «عناصره الممتازة» هذه الخسائر؟ ولماذا لم يكن لدى الاسرائيليين اجهزة الكترونية لمجابهة الصواريخ السوفياتية؟(١٧٣).

---

(١٦٦) Von Raven, *Die Zeit,* (12 October 1973).

(١٦٧) Schewe, *Die Welt,* 11/10/1973.

(١٦٨) *Die Zeit,* (12 October 1973), p. 3.

(١٦٩) المصدر نفسه.

(١٧٠) المصدر نفسه، ص ٥.

(١٧١) *Der Spiegel,* no. 45 (5 November 1973).

(١٧٢) Renner, *Die Welt,* 18/10/1973; Kempski, *SZ,* 12/10/1973, and Wild, *Der Spiegel,* no. 48 (26 October 1973).

(١٧٣) يقول كولشوتر ان الاسرائيليين يدّعون بأن الولايات المتحدة امتنعت عن تسليم الصواريخ المضادة لهم. بينما ينكر الامريكيون ذلك ويؤكدون ان الاسرائيليين لم يقدموا ابداً طلباً لشراء مثل هذه الاجهزة. ويستنتج كولشوتر=

(٢) دوافع اسرائيل وعقلانيتها الارقى

في بداية الحرب، اعرب بعض الصحفيين عن اعتقادهم، بأن اسرائيل سوف تحاول ان تحسم الحرب عندما تبادر الى تحويل المعارك الى معارك متحركة. الا ان القوات العربية وقفت في مواقعها بعد ان عبرت قناة السويس واجتاحت حدود ٥ حزيران/ يونيو ١٩٦٧ على الجبهة السورية(١٧٤). ولم تستطع اسرائيل ان تحول الحرب لصالحها اي ان تأخذ زمام المبادرة. وقد ازعج هذا التطور الكثير من الصحفيين لأن هذه الحرب ستتحول الى حرب استنزاف(١٧٥). ويبدو أن فاينشتاين كان يشعر بالحزن الشديد لأن الاسرائيليين لم يستطيعوا ان يظهروا قدراتهم العسكرية، ويقول «انه يفتقر في هذه الحرب الى قوة الانفجار». وينصح الاسرائيليين بتحويل الحرب الى حرب متحركة حتى وان كانت هناك «هموم تكبّد خسائر انسانية جسيمة بين الصفوف»(١٧٦) الاسرائيلية. وتضم هذه الهموم ايضاً ان اسرائيل لا تستطيع ان تتحمل حرب استنزاف، بينما يستطيع العرب احتمالها(١٧٧). ويأمل فون رافن ان يستطيع الاسرائيليون مجابهة «التفوق العددي» للمصريين والسوريين «بتفوقهم النوعي»(١٧٨). وهو يقوّم اصلاً اهداف الجنود الاسرائيليين وروحهم ومعنوياتهم تقويماً اعلى من تقويمه للجندي العربي، لأن الجندي الاسرائيلي يدرك الهدف من وراء الحرب. وهو امر يتعارض مع القوة «المادية والتعصب» لدى الجندي العربي لأن «هدفه اقل ما يقال هو هدف مشكوك فيه»(١٧٩). حتى ان جريدة دي فلت لجأت الى عرض سيناريو للحرب كما تتصورها ففي تاريخ ١٣/ ١٠/ ١٩٧٣، اظهرت مدى التفوق الاسرائيلي. والسيناريو يتلخص بأن يقوم العرب بالهجوم فيضربهم الاسرائيليون، ويفزع العرب فيلجأون الى الفرار، ويتبعهم الاسرائيليون، ويتم التوصل الى خطوط جديدة لوقف اطلاق النار(١٨٠).

ما ان بدأت معركة الدبابات في سيناء، وقد قال عنها الجنرال حاييم هيرتسوغ بأنها احمى معركة في التاريخ، حتى قوّم رنر العرب كما قوّمهم زميله رافن: ان الاسرائيليين يمتلكون التدريب الافضل، والمعنويات القتالية الاعلى، بالاضافة الى القيادة العسكرية

=من ذلك ان اسرائيل شعرت بقوتها لدرجة انها اعتقدت انها تستطيع ان تتحمل بعض الضعف في تسليحها. انظر: Kohlschütter, *Die Zeit,* (16 November 1973).

(١٧٤) وصف حاييم هيرتسوغ الموقف المصري بأنه موقف خاطىء لأن المصريين لم يتقدموا داخل سيناء. جاء ذلك في مقابلة اجرتها معه *Welt Am Sonntag* وهي صحيفة دي فلت التي تصدر نهار الاحد بهذا الاسم، بتاريخ ١٤/ ١٠/ ١٩٧٣.

(١٧٥) Weinstein, *FAZ,* 12/10/1973.

(١٧٦) Weinstein, *FAZ,* 16/10/1973.

(١٧٧) Weinstein, *FAZ,* 12 / 10 / 1973, and Kohlschütter, *Die Zeit,* (12 October 1973)

(١٧٨) Raven, *Die Welt,* 8/10/1973.

(١٧٩) المصدر نفسه.

(١٨٠) *Die Welt,* 13/10/1973.

التكتيكية الافضل. فهم يقاتلون ضد عدو متفوق عليهم عدداً وعدة[١٨١].

واعترفت دي فلت في ١٣ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣، بأن استخدام صواريخ سام قلل من اهمية سلاح الجو الاسرائيلي «فعندما يتقدم اعداء اسرائيل ببطء الى الامام ويحمون قواتهم بالصواريخ الرادعة، فإن حرية الحركة لسلاح الجو تصبح مقيدة». ولكن عندما استطاعت القوات الاسرائيلية اختراق ضفة قناة السويس الغربية، وتدمير بعض بطاريات سام فقد اصبح باستطاعة سلاح الجو الاسرائيلي ان يحصل على حرية الحركة على جزء من مسرح العمليات. وقد هلل الصحفيون لهذا التطور، ولأن الدلائل كانت تشير الى ان هذه الحرب ستصبح في النهاية «حرب حركة». ويهرع رافن ليبرر عدم استخدام سلاح الجو الاسرائيلي قائلاً: ان ذلـك ناجم عن ان الاسراب الاسرائيلية يجب ان تتعلم اولاً اين نقطة الضعف في نظام الصواريخ المعادية[١٨٢]. ويستنتج رول بأن انتقال اسرائيل من الدفاع الى الهجوم ضد مصر «اقوى عدو لاسرائيل» هو «الشرط المسبق لتحقيق نجاح استراتيجي فعّال»[١٨٣].

وقد ناقشت صحافة المانيا الاتحادية بشكل موسع الاستراتيجية العسكرية التي يجب ان تنتهج في هذه الحرب، آخذة بعين الاعتبار المصالح الاسرائيلية، وهل ان هذه الحرب ستصبح حرب استنزاف ام حرباً متحركة؟ لقد رفضت جميع الصحف ترجيح حرب الاستنزاف لعدم مقدرة اسرائيل على احتمالها. ويقول بوشه، ان حرب الاستنزاف ليست في صالح اسرائيل لأنها تهدف الى «اعلام العدو بأن الحرب التي يشنها او التي سيشنها، ستكون خاسرة دائماً، ولا امل في ان تكون رابحة»[١٨٤]. ان الاسباب في عدم ملاءمة هذه الاستراتيجية لاسرائيل هي اولا ان العرب يفتقدون الى الحجج المنطقية التي تمتلكها اسرائيل[١٨٥]. وان الوعي السياسي، «بالنسبة للبنيوية الثورية» لدى بعض البلدان العربية انه «ليس باستطاعتها ان تدرك الفكرة المنطقية من حرب الاستنزاف»[١٨٦]. ثانياً، لم يكن العرب على علم، او انهم لم يألفوا التقنية الحديثة. وان «الايام القليلة القادمة (في هذه الحرب) ستظهر كيف ان اسرائيل هي اسرائيل داود ايضاً في ١٩٧٣، وستدمر جوليات العربي دون ان تتكبد خسائر بشرية كبيرة»[١٨٧]. ومن المحتمل كما يقول هيلد: «انه سيثبت العرب مرة اخرى بأنهم، ما يزالون غرباء في القرن العشرين، وانهم لن يستطيعوا استخدام اسلحتهم الحديثة بمهارة، كما تستخدمها اسرائيل»[١٨٨]. ولذلك يأسف ميتسكه لأن المارشال غريتشكو، «سيتحمل رؤية سلاحه الباهظ الثمن الذي سلّح به العرب يتدمر في ساحات

---

(١٨١) Renner, *Die Welt*, 19/10/1973.

(١٨٢) Raven, *Die Welt*, 17/10/1973.

(١٨٣) Ruehl, *Die Zeit*, (19 October 1973).

(١٨٤) *FAZ*, 8/10/1973.

(١٨٥) Busche, *FAZ*, 8/10/1973.

(١٨٦) المصدر نفسه.

(١٨٧) Held, *FAZ*, 8/10/1973.

(١٨٨) المصدر نفسه.

المعارك في سيناء». ويحذر الاتحاد السوفياتي قائلاً: ان «العرب هم شركاء لا يمكن الاعتماد عليهم» لأنهم يستعملون هذا التسليح «ضد المصلحة السوفياتية بالعدوان على اسرائيل»(١٨٩). ثالثاً، ليس هناك من امل في انجاح هذه الاستراتيجية لأن داود الاسرائيلي يحارب جوليات العربي، موقعة بين مصر وسوريا، فجوليات العربي يتفوق على اسرائيل بالقوة السكانية والبشرية والمادية والمالية العربية، التي استطاعت هذه الحرب ان تعيد التضامن فيما بين دوله. والخسائر المادية للدول العربية المشاركة في الحرب يمكن تعويضها، حسب رأيهم، بالمساعدات المالية التي تقدمها الدول العربية المنتجة للنفط(١٩٠) لذلك لا يمكن لاسرائيل «المتفوقة حضارياً ان تبيد العرب»(١٩١). رابعاً، ان استراتيجية حرب الاستنزاف ليست ذات منفعة لاسرائيل لأن مسرح الحرب اثبت بأن «الجيش الاسرائيلي ليس سيداً في قراراته، مثلما كان في حرب الايام الستة»(١٩٢)

كما لا يمكن لحرب ١٩٦٧ الخاطفة ان تتكرر، لأن المعطيات ليست متوفرة لها(١٩٣). فإن العامل الحاسم الاول الذي ساعد اسرائيل قبل ست سنوات كان «السيطرة الجوية الاسرائيلية الكاملة» على مسرح الحرب كله فوق مصر وسوريا والاردن. حتى قبل اندلاع هذه الحرب لم تتوفر لاسرائيل السيطرة الجوية المطلقة». ففي صيف ١٩٧٠ «ارتفعت» هذه السيطرة الجوية عن مصر عندما ادخلت شبكة دفاع جوية سوفياتية ضمت حوالي مئة بطارية صواريخ من نوع سام ٢ وسام ٣ (٦٠٠ قاذف صاروخي). وبالرغم من انسحاب المستشارين السوفيات عام ١٩٧٢ من مصر الا ان هذه الشبكة ظلت فوق ارض مصر. واضيفت اليها بعد ذلك بطاريات سام ٦ المتحركة(١٩٤). اما العامل الحاسم الثاني فهو تمسك اسرائيل بزمام المبادرة، اي شن الهجوم على العرب. وقد امتازت الحروب السابقة بأنها حروب متحركة تبدأ فيها اسرائيل هجومها بالدبابات. وقد حدد احتلال اسرائيل اراضي ثلاث دول عربية مجاورة، حرية الحركة فيها(١٩٥)، اما في حرب ١٩٧٣، فقد تخلت اسرائيل عن هذه المبادرة.

٢ ـ العودة الى الصورة القديمة

أ ـ الجبهة المصرية: «الضفة الغربية الجديدة»

بدأت في سيناء في يوم ١٤ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣ معركة حامية بالدبابات وكانت اسرائيل تؤمّل ان تسترجع جزءاً من المبادرة، ان لم يكن كلها، بعد ان فقدتها في بداية الحرب. وقد شنت في الوقت نفسه هجوماً على الضفة الغربية من قناة السويس اي على

---

(١٨٩) Maetzke, *FAZ*, 9/10/1973.

(١٩٠) Held, *FAZ*, 8/10/1973, and Busche, *FAZ*, 8/10/1973.

(١٩١) المصدر نفسه.

(١٩٢) المصدر نفسه.

(١٩٣) Ruehl, *Die Zeit*, (19 October 1973).

(١٩٤) المصدر نفسه.

(١٩٥) المصدر نفسه.

الارض المصرية لتقطع خطوط امداد الجيش المصري الاول والثاني والثالث، ولتحاول ايضاً ايقاف مفعول بطاريات صواريخ سام ٦ «احد اهم العوامل في حسم القتال»(١٩٦). وقد نجح الاسرائيليون في هجومهم(١٩٧). واستطاعوا ان يوسعوا موطىء اقدامهم على الضفة الغربية للقناة باتجاه الجنوب والشمال. واستطاعوا اخيراً السيطرة على طريق السويس القاهرة. واصبح الجيش الثالث في سيناء مقطوعاً عن خطوط امداداته على الضفة الغربية للقناة. وقد اعتبر الصحفيون الاجانب، ومن بينهم الالمان الغربيون، والمراقبون السياسيون والعسكريون، هذا التطور تهديداً لبقاء الجيش المصري في سيناء كقوة ضاربة لها فعاليتها. واعربوا عن اعتقادهم حتى لو ان اسرائيل لم تستطع تحقيق النصر على هذا الجيش فإنه «سيموت جوعاً لأنه مقطوع عن خطوط امداداته»(١٩٨).

وقد شرعت الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي على المستوى الدولي، وفي الوقت نفسه، بتزويد اسرائيل ومصر وسوريا بالسلاح بشكل واسع النطاق. كما رافق ذلك نشاط ديبلوماسي حيوي من الدولتين العظميين لوقف النزاع، وبالتالي المحافظة على الوفاق. وقدرت مجلة دير شبيغل كمية السلاح الذي كانت الدولتان العظميان، الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية، تزودان به كلا من مصر وسوريا من جهة، واسرائيل من جهة ثانية، بحوالي ٨٠٠ طن من المواد الحربية يومياً(١٩٩). وبالرغم من ذلك كله فإن الصحافة اتهمت الاتحاد السوفياتي فقط ببدء عملية ارسال السلاح، وتشكت جريدة دي فلت من ان السلاح السوفياتي «لا يمكن عده من الجو»(٢٠٠).

اما تبرير ارسال الاسلحة الامريكية الى اسرائيل فقد كان - رد فعل - لارسال الاسلحة من الاتحاد السوفياتي مما اثار الولايات المتحدة الامريكية، وبالتالي فإن عليها ان تلحق به(٢٠١).

وقد اعترف من بين الصحفيين كولشوتر من جريدة (دي تسايت) وبوخالا من جريدة

---

(١٩٦) *Die Welt*, 17/10/1973.

(١٩٧) قال وزير الحربية المصرية اسماعيل، ان نجاح القوات الاسرائيلية يعود الى سوء التقدير لدى الجانب المصري، وسوء الاتصالات والمواصلات، والتقديرات الكاذبة، ويقول اسماعيل ان احد الضباط المصريين ارسل تقريراً يقول فيه ان باستطاعته لوحده انهاء الوحدات الاسرائيلية المهاجمة. انظر: *SZ*, 19/11/1973.

(١٩٨) *SZ*, 25 / 10 / 1973; Tavor, *FAZ*, 27 / 10 /1973; *FAZ*, 19 / 10 / 1973, and *Der Spiegel*, (29 October 1973).

انكر الرئيس السادات في خطاب له ألقاه يوم ٣١ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ ان يكون الاختراق الاسرائيلي قد هدد الجيش الثالث بكامله وقال ان القوة الاساسية لهذا الجيش مرابطة على الضفة الغربية للقناة. انظر: *FAZ*, 1/ 11 / 1973.

(١٩٩) *Der Spiegel*, no. 44 (29 October 1973).

(٢٠٠) *Die Welt*, 13/10/1973.

(٢٠١) المصدر نفسه.

(زود دويتشه تسايتونغ) بأن اسرائيل لم تستطع ان تفتح ثغرة على الضفة الغربية من القناة، الا بعد تسلمها كميات ضخمة من السلاح من الولايات المتحدة، وقد اصبحت اسرائيل «حسب رأي الخبراء العسكريين الغربيين آنذاك فقط في وضع سمح لها بانتزاع المبادرة في سيناء وشن هجوم كبير»(٢٠٢). اما مخزون اسرائيل من الاسلحة قبل بدء تزويدها بالسلاح الامريكي، فقد كان يكفي لأربعة عشر يوماً فقط.

اما على المستوى الديبلوماسي فقد عمل الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية للتوصل الى وقف اطلاق النار. وطلب الاتحاد السوفياتي من الولايات المتحدة الامريكية ان ترسل وزير خارجيتها هنري كيسنجر الى موسكو للتباحث. وقد حاول الاتحاد السوفياتي اقناع مصر وسوريا، كما حاولت الولايات المتحدة اقناع اسرائيل، بالقبول وبتنفيذ وقف اطلاق النار. ونجحت هذه المساعي بعد ان اتفقت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي على نص قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ (المؤرخ ٢٢ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣)(٢٠٣). والذي طالب به الاطراف المشاركة بالحرب هو ان تبقى في مواقعها ابتداءً من يوم ٢٢ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣، كما طالب السادات الولايات المتحدة بارسال وحدات عسكرية الى منطقة القتال للاشراف ولضمان الهدنة. استقبلت الدولتان الكبيرتان هذا المطلب بردود فعل مختلفة. بينما رفضت الولايات المتحدة (واسرائيل) هذا الطلب، اعلن الاتحاد السوفياتي استعداده لارسال وحدات عسكرية. ولم تودّ الولايات المتحدة قبول او احتمال ذلك(٢٠٤). وبدأ المراقبون الغربيون يتحدثون عن تهديد للوفاق. واستنفرت الولايات المتحدة قواتها في الولايات المتحدة واوروبا والبحر الابيض المتوسط. وذكّر الرئيس الامريكي السابق ريتشارد نيكسون العالم بانزال القوات الامريكية في لبنان خلال ازمة ١٩٥٨، وباستنفار القوات

---

(٢٠٢) Kohlschütter, *Die Zeit*, (19 October 1973), and Buchalla, *SZ*, 2/11/1973.

(٢٠٣) نص هذا القرار هو:

١ ـ ان مجلس الامن، يدعو جميع الاطراف المشتركة في القتال الدائر حالياً الى وقف اطلاق النار بصورة كاملة، وانهاء جميع الاعمال العسكرية فوراً في مدة لا تتجاوز ١٢ ساعة من لحظة اتخاذ هذا القرار وفي المواقع التي تحتلها الآن.

٢ ـ يدعو جميع الاطراف المعنية الى البدء فوراً بعد وقف اطلاق النار بتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ (١٩٦٧) بجميع اجزائه.

٣ ـ يقرر ان تبدأ فوراً وقف اطلاق النار وخلاله، مفاوضات بين الاطراف المعنية تحت الاشراف الملائم بهدف اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط.

تبنى المجلس هذا القرار، في جلسته رقم ١٢٤٧، بـ ١٤ صوتا مقابل لا شيء كالآتي:

مع القرار: استراليا، النمسا، غينيا، الهند، اندونيسيا، كينيا، بنما، بيرو، السودان، الاتحاد السوفياتي، المملكة المتحدة، الولايات المتحدة الامريكية، يوغسلافيا. انظر بهذا الصدد: سامي مسلّم، جامع، قرارات الامم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي ـ الاسرائيلي، ١٩٤٧ ـ ١٩٧٤ (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٥).

(٢٠٤) *FAZ*, 27/10/1973. وصف «سيكون» من صحيفة دي فلت الاستعداد السوفياتي بتلبية المطلب المصري بأنه «قمة عدم المسؤولية».

الامـريكية خلال احـداث الاردن عام ١٩٧٠ . ولكن هذه الازمة انتهت في ٢٥ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣ باتفاق الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي على ارسال قوات للامم المتحـدة الى منـطقة الشرق الاوسط، تتكون من دول ليست لها عضوية دائمة في مجلس الامن. ولكن القتـال اضـطرب على الجبهـة المصرية ثانية. وطالب المصريون بانسحاب الجيش الاسرائيلي الى المواقع يوم ٢٢ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣، نظراً لتقدمه في سيناء وتوسيعه من رقعة احتلاله. وردّت رئيسة وزراء اسرائيل آنذاك غولدا مائير في خطاب لها يوم ٢٢ / ١٠ / ١٩٧٣ قائلة: بالنسبة للجيش الاسرائيلي لا توجد خطوط او مواقع ٢٢ تشرين الاول/ اكتوبر، لأن هذه المواقع محتها رمال سيناء، وان خطوط وقف اطلاق النار بالنسبة لها هي حيث يقف الجنود الاسرائيليون. وقدرت مائير مساحة الثغرة الاسرائيلية بسبعين كلم٢ (٢٠٥). وردّ السادات في خطابه يوم ٣١ تشرين الاول/ اكتوبر بأنه على استعداد ان يعـطي «السيدة مائير عشرة كيلومترات مربعة اخرى»(٢٠٦) اذا ما انسحب الجيش الاسرائيلي الى خطوط ٢٢ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣. وفسّر المراقبون انتهاكات وقف اطلاق النار على الجبهة المصرية بأنها محاولات مصرية واسرائيلية لتحسين موقعهما قبل تنفيذ وقف اطلاق النار وهو امر سيحتاجونه لتقوية مواقعهما في المحادثات اللاحقة(٢٠٧).

استغل بعض الصحفيين الالمان الغربيين نجاح اسرائيل في تحقيق ثغرة على الجبهة المصرية للتهليل ولاعـادة التأكيد على القدرات العسكرية الاسرائيلية خاصة وان الجيش الاسرائيلي قد مُني بالانتكاسات في بداية الحرب. وقد اصبحت الثغرة «انجازاً ضخماً»(٢٠٨) و«انقـلابـاً عبقـرياً جريئاً»(٢٠٩). وينبّه موشيه تافور القراء الى نكتة تتردد في اسرائيل بعد احتلالها الضفة الغربية للقناة بأن «لدى اسرائيل ضفتين غربيتين الآن، الاولى تم احتلالها من الاردن في حرب ١٩٦٧، والثانية اخذت من مصر من خلال الثغرة عام ١٩٧٣. وعلى المرء ان يفرّق بين الضفتين»(٢١٠).

لم يستـطع صحفيو المـانيا الاتحـادية اخفـاء سرورهم ليس، لأن اسرائيل «الدولة الغربية» احتلت ارضاً عربية فقط، وانما لاحتلالها جزءاً من الارض الافريقية ايضاً. ويقول كيمبسكي وهو يعلن رضاه، «ان اسرائيل تحتل ارضاً مصرية تعتبر جزءاً من افريقيا»(٢١١). ويقتبس

---

(٢٠٥) خـطاب مائير كما اوردته الصحافة الالمانية الغربية، في: *SZ*, 23 / 10 / 1973.

(٢٠٦) خطاب السادات كما اوردته الصحافة الالمانية الغربية في: Münchhausen, *FAZ*, 2 / 11 / 1973, and Buchalla, *SZ*, 2 / 11 / 1973.

(٢٠٧) Hirschmann, *Die Welt*, 23 / 10 / 1973; Friedmiller, *SZ*, 24 / 10 / 1973; Ofner and Raven, *Die Welt*, 24 / 10 / 1973; Venzky, *Die Zeit*, (26 October 1973), and *Der Spiegel*, no. 44 (29 October 1973).

(٢٠٨) Hirschmann, *Die Welt*, 16/10/1973.

(٢٠٩) Kohlschütter, *Die Zeit*, (16 October 1973).

(٢١٠) Tavor, *FAZ*, 22/10/1973.

(٢١١) Kempski, *SZ*, 29/10/1973.

شيفه قولاً للجنرال نركيس الذي يصف جذلاً الطبيعة في الضفة الغربية في «افريقيا» هكذا «كل شيء هناك اخضر»(٢١٢). ويستشهد كولشوتر بجندي اسرائيلي اخبره «بأننا اصبحنا الآن افريقيين، انه ليس شعوراً سيئاً، وان موسى سيعود الى مصر»(٢١٣). ويصف هنري تسوللر من مجلة دير شبيغل رحلته في الضفة الافريقية بأسلوب وكأنه ذاهب في رحلة صيد برية(٢١٤). ولكنه لا ينسى ان يصف شعور السكان المصريين الذين لم يهربوا امام تقدم الجنود الاسرائيليين المحتلين، حيث ينظر هؤلاء الى «الاسياد الجدد» نظرة «ملؤها الشموخ» كما ينظر السكان الى «المحتلين تحت التجربة»(٢١٥). ويصف شرودر رحلته من تل ابيب الى افريقيا(٢١٦)، وينظر ديتر فيلد في مجلة دير شبيغل، للجانب الديني الايديولوجي المتعلق «بالغنائم من افريقيا». ويستشهد بأقوال الحاخاميين العسكريين في هذا الصدد: «ان الارض التي احتلوها الى الغرب من قناة السويس هي ارض غوش الواردة في التوراة، والتي اسكن يوسف فيها اخوته بموافقة فرعون. وعندما قاد موسى الاسرائيليين من العبودية في مصر الى وطنهم في ارض كنعان انشقت الماء تقريباً في المكان نفسه الذي عبر عليه الآن الاسرائيليون الى الضفة الغربية للقناة. وان «البحر الاحمر» الوارد ذكره في التوراة هو البحيرات المرة»(٢١٧).

لم يستغل الاسرائيليون ما اكتسبوه لتمجيد اسرائيل فقط، وانما لتأكيد الثقة بالقوة الضاربة للجيش الاسرائيلي وتصوير الجنود الاسرائيليين باحسن صورة ممكنة. اما بالنسبة لصورة المصريين وصورة السوريين فقد تمت مقارنتها في ضوء التطورات ما بعد ٢٢ تشرين الاول/ اكتوبر مع الصور المقولبة عن العرب القائمة عام ١٩٦٧، وكانت القوات الاسرائيلية تتحرك، في سيناء وعلى مرتفعات الجولان، وكأنها في «حقل للتدريب، مع ثقة بالنفس تؤكد ضمان السيطرة الجوية على المنطقة»(٢١٨). وادّعى الجنرال هيرتسوغ بأن «قوات الدبابات الاسرائيلية اجرت ضمن روح تراثها، مناورات ممتازة»(٢١٩). ويقدر شيفه ذلك عالياً: «بأن سلاح الجو الاسرائيلي على الضفة الغربية يتحرك كما كان يتحرك في الايام السالفة»(٢٢٠)، ولكنه لم يقل ان ذلك تم بعد تحييد او إبطال بعض بطاريات سام ٦. ويطمئن الجنرال كالمان المراسل شيفه «بأن الاسرائيليين ادركوا مرة اخرى اعداءهم القدامى»(٢٢١). وينصح الصحفيون الالمان الغربيون

---

(٢١٢) Schewe, *Die Welt*, 22/10/1973.

(٢١٣) Kohlschütter, *Die Zeit*, (26 October 1973), p. 4.

(٢١٤) Zoller. *Der Spiegel*, no. 44 (22 October 1973), p. 117.

(٢١٥) المصدر نفسه.

(٢١٦) M. Schröder, *SZ*, 12/11/1973.

(٢١٧) Wild, *Der Spiegel*, no. 48 (26 November 1973).

(٢١٨) Odin, *FAZ*, 20/10/1973.

(٢١٩) نقلاً عن: Tavor, *FAZ*, 20/10/1973.

(٢٢٠) Schewe, *Die Welt*, 22/10/1973, p. 3.

(٢٢١) Schewe, *Die Welt*, 15/10/1973.

المصريين، في الحالة التي لا يريدون فيها ان يمروا بتجربة ستالينغراد فعليهم ان ينسحبوا الى الضفة الغربية للقناة(٢٢٢).

واذا كانت اسرائيل على الجبهة المصرية بحاجة الى «النشاط الناجح» فإنها على الجبهة السورية «بحاجة فقط الى ان تضرب بيدها اليسرى» لأن مقاومة «اعداء اسرائيل» لا يمكن وصفها بأنها منتظمة(٢٢٣). ويقول دايان«ان الثغرة لم يكن مخططاً لها في كتب الدراسة السوفياتية التي وزعت على المصريين»(٢٢٤). وبالتالي فقد ذهل المصريون، ووقعوا في حيرة وارتباك، كما وقعوا في ١٩٦٧(٢٢٥). فهم يرسلون «جنودهم الى نار الاسرائيليين»(٢٢٦). ويدعي بعض الصحفيين ان بعض الجنود المصريين فضلوا الاسر الاسرائيلي على ان يموتوا في الصحراء، لأنهم منذ ستة ايام لم يأكلوا او يشربوا اي شيء(٢٢٧). وان الهجوم الاسرائيلي الناجح اوقع «سياسة القاهرة في وضع حرج». ويدعي هيغرت بأن المصريين يقفون على الضفة الشرقية من القناة، «وليس لديهم اي امل»(٢٢٨). واعربت مجلة دير شبيغل عن اعتقادها بأن هذا الوضع قد «يقوّي العناد العربي» في المفاوضات القادمة(٢٢٩).

يصف كارل الفرد اودين في تقرير كتبه بعد زيارته الى سيناء المزايا التي يتمتع بها الجندي الاسرائيلي: «ان صمود الوحدات الاسرائيلية الصغيرة امام الضغط الهائل للعدو، هو اليوم - كما كان في حرب الايام الستة - يصنع التاريخ. ان الحقيقة اليومية هي الانتظار. والشباب في الدبابات وسيارات النقل وعلى المدافع اكثر الناس تسامحاً في هذه الحرب. وقد رأينا خلال يومين من سفرنا فوق مرتفعات الجولان وفي سيناء سيارة اسعاف ولمرة واحدة فقط - عائدة من الجبهة. كانت السيارة تحمل جندياً اسرائيلياً ممدداً فوق الحمالة. وكان الجنود الاسرائيليون الذين التقيناهم في المواقع الدفاعية او في اهبة الاستعداد او في مواقع راحتهم او في السيارات في طريقهم الى الجبهة يضحكون ويرفعون ايديهم محيين.

ان الكثيرين من هؤلاء الشباب يشبهون الى حد كبير تلامذة المدارس الثانوية الالمانية: كانوا شقرا، ونحيلين، وطولهم فوق المعدل، وكثير منهم شعورهم طويلة. لكن الجيش هنا يقيس قيمة جنوده على ما يبدو بمقاييس اخرى لا تتعلق بقصر الشعر. وبعض هؤلاء الجنود الشبان يمكن ان تجد لهم شخصيات مشابهة في ثنايا قصص الف ليلة وليلة، انهم ذوو لحى سوداء متجعدة، واسنان لامعة وبشرة دكناء، وعيون لوزية

---

(٢٢٢) Raven, *Die Welt*, 22/10/1973. وقد اجرى شرودر مقارنة مع ستالينغراد، إلا انه لم يتبنى ذلك وكأن رأيه مثلما فعل رافن. يقول شرودر «..... يتحدث المراقبون عن ستالينغراد ستواجه القوات المصرية في سيناء.» انظر: M. Schröder, *SZ*, 23/10/1973.

(٢٢٣) Raven, *Die Welt*, 22/10/1973.

(٢٢٤) نقلاً عن: Tavor, *FAZ*, 22/10/1973.

(٢٢٥) Schewe, *Die Welt*, 22/10/1973.

(٢٢٦) Hirschmann, *Die Welt*, 16/10/1973.

(٢٢٧) M. Schröder, *SZ*, 15/10/1973.

(٢٢٨) Heigert, *SZ*, 22/10/1973.

(٢٢٩) *Der Spiegel*, no. 43(22 October 1973), p. 116.

وابتسامة تدل على الغرور، كما لو ان باستطاعتهم وضع كرتين ارضيتين في جيبهما، وبصورة عامة فإن صورة هؤلاء الشباب في بزاتهم العسكرية هي اقرب للحياة، وانظف من اترابهم الالمان»(٢٣٠).

ويمتدح كولشوتر القيادة العسكرية الاسرائيلية «الواعية للنصر» والتي استطاعت ان تنتزع المبادرة من خلال هذه الثغرة(٢٣١).

الا ان هذا التمجيد للجيش الاسرائيلي لم يشارك فيه جميع الصحفيين. حتى اولئك الذين هللوا ومجدوا واضطروا ان يأخذوا الوضع السياسي والعسكري العام بعين الاعتبار. وقد كتب شرودر حول ما يسود في اسرائيل من رأي فحواه ان «تساهل، الجيش الاسرائيلي، على الضفة الغربية للقناة، لن يستطيع تحقيق الحرب الخاطفة التي يحلم بها»(٢٣٢)، حتى بعد تحقيق الثغرة. وبالرغم من «الخسائر الكبيرة» التي تكبدها الجيش المصري الا انه ظل يمتلك دبابات تكفي لمنع وقوع حرب خاطفة اسرائيلية. وان اسرائيل ستخسر كثيراً اذا هي بقيت طويلاً على الضفة الغربية للقناة بسبب المقاومة العنيفة للجيش المصري. وكذلك على الجبهة السورية بسبب تصاعد نسبة عدد الدبابات من ١ : ٣ لصالح العرب ولن تستطيع اسرائيل تحقيق اي تقدم كبير دون تكبد خسائر جسيمة»(٢٣٣).

لذا فإن عدداً من الصحفيين يرى ان قبول وقف اطلاق النار على اساس قرار مجلس الامن الذي تم التوصل اليه باتفاق الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، هو انقاذ للطرفين، العرب واسرائيل، وقد تجنب العرب بقبولهم وقف اطلاق النار «هزيمة مهينة ومزرية»(٢٣٤). لقد جاء وقف اطلاق النار في اللحظة المناسبة بالنسبة للسادات قبل ان «يستطيع الاسرائيليون سلبه ثمار انتصاره»(٢٣٥). بالرغم من ان الاسرائيليين شعروا بأن وقف اطلاق النار سلبهم انتصارهم، الا ان قبولهم به جنّبهم تكبّد خسائر جسيمة في الارواح والمعدات. وتؤكد صحيفة الجيروسلم بوست في مقال اقتبسه كيمبسكي بأن «تأخير (قبول وقف اطلاق النار) بضعة ايام.. ما كان ليجلب لاسرائيل النصر المنشود»(٢٣٦).

ولكن المصريين ايضاً اعتبروا ان وقف اطلاق النار كان قد سلبهم انتصارهم، وكتب كوربر من القاهرة في هذا الصدد يقول ان المصريين لم يصدقوا آذانهم عندما سمعوا بوقف اطلاق النار لأنهم اعتادوا على بيانات الانتصار التي تذاع عليهم(٢٣٧). واشار السادات في

---

(٢٣٠) Odin, *FAZ*, 20/10/1973.

(٢٣١) Kohlschütter, *Die Zeit*, (26 October 1973).

(٢٣٢) M. Schröder, *SZ*, 23/10/1973, and Kempski, *SZ*, 24/10/1973.

(٢٣٣) M. Schröder, Ibid.

حول المقاومة العنيفة للجيش المصر، انظر: بن فورات، التقصير «المحدال»، ص ٢٨٣ - ٢٩٢.

(٢٣٤) Raven, *Die Welt*, 23/10/1973.

(٢٣٥) D. Schröder, *SZ*, 23/10/1973.

(٢٣٦) Kempski, *SZ*, 24/10/1973.

(٢٣٧) Körber, *Die Welt*, 24/10/1973.

خطابه يوم ٣١ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣، الى ضغوط العسكريين عليه للاستمرار في الحرب لابادة رأس جسر القوات الاسرائيلية على الضفة الغربية للقناة. الا انه لا يريد الحرب ولا يريد اراقة الدماء. وكان هناك سببان لقبوله بوقف اطلاق النار. اولهما ضمان الدولتين العظميين في المحافظة على وقف اطلاق النار وتحقيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢. وثانيهما ما تقدمه الولايات المتحدة لاسرائيل، من الدعم الكبير في لحظة لم يكن لدى القوات الاسرائيلية من الذخيرة ما يكفي لاكثر من ثلاثة ايام(٢٣٨). وقد وافق على قرار وقف اطلاق النار لأنه لا يريد ان يقاتل الولايات المتحدة الامريكية(٢٣٩). وكان رد الفعل العربي، حسبما نقله بوخالا لدى البلدان العربية خليطاً من «الرفض وخيبة الامل والغضب المكظوم». وارتفعت الاصوات المطالبة بعدم تحطيم او التفريط «بالوحدة العربية» التي تعززت اثناء الحرب. ان موافقة مصر على قبول وقف اطلاق النار ضمن بشكل اوتوماتيكي موافقة سوريا عليه حيث «اصبح من غير الممكن التفكير بجبهة احادية على مرتفعات الجولان معزولة عن مصر»(٢٤٠).

وقد دهش الاسرائيليون ايضاً لقبول وقف اطلاق النار لأنهم شعروا بأن هذا القرار ابعدهم عن تحقيق النصر. واضطرت غولدا مائير في خطابها يوم ٣٠ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣، ان تعلن عن اسفها لأن اسرائيل اضطرت ان توافق عليه. وقالت ايضاً «اننا نعرف ان ذلك كان غير عادل، لأنه جاء في الوقت الذي وصلت فيه اسرائيل الى موقع تستطيع فيه ان تفرض السلام»(٢٤١). واعربت صحيفة معاريف الاسرائيلية عن اعتقادها بأن وقف اطلاق النار اعاق الجيش الاسرائيلي عن «اتمام عملياته»(٢٤٢). وعلق كولشوتر قائلاً «كان من الاجدى على القوات الاسرائيلية ان تتوقف في اللحظة التي يقع المصريون فيها في المواقع الحرجة»(٢٤٣). وقد جاء على لسان احد الجنود الاسرائيليين لمراسل جريدة دي فلت السيد هيرشمان قوله «ان العرب لن يجبروا على المنطق الا اذا خفقت راية نجمة داود على مساجد القاهرة»(٢٤٤).

ولكن الاسرائيليين كانوا لا يخفون سرورهم لوقف القتال، فقد تجنبوا تكبد الخسائر

---

(٢٣٨) خطاب السادات كما ورد في: Münchhausen, *FAZ*, 2 / 11 / 1973, and *FAZ*, 1 / 11 / 1973.

(٢٣٩) كتب محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام آنذاك مقالاً قبل عدة ايام من خطاب السادات يهيء فيه الرأي العام المصري والعربي حول ما جاء في خطاب السادات من انه لا يقاتل ضد امريكا، وبالتالي موافقته على وقف اطلاق النار. وقد ازعج هذا المقال هارالد فوكه محرر شؤون الشرق الاوسط في صحيفة فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ بالضبط لأن هيكل اعتبر دعم الولايات المتحدة لاسرائيل سبباً لقبول وقف اطلاق النار. وذكّر مقال هيكل فوكه بحرب ١٩٦٧ عندما اتهم الرئيس عبد الناصر الولايات المتحدة بالقتال الى جانب اسرائيل ووصف فوكه هيكل بأنه «متحدث بارع ولم يكن من المقربين للسادات.» انظر: Vocke, *FAZ*, 27 / 10 / 1973.

(٢٤٠) Buchalla, *SZ*, 24/10/1973.

(٢٤١) خطاب مائير كما جاء في: M. Schröder, *SZ*, 31 / 10 / 1973.

(٢٤٢) مقال معاريف كما ورد في: *Der Spiegel*, no. 44 (29 October 1973).

(٢٤٣) Kohlschütter, *Die Zeit*, (26 October 1973).

(٢٤٤) Hirschmann, *Die Welt*, 24/10/1973.

المادية والبشرية الجسيمة «اذ ان الاسرائيليين، على العكس من العرب بحاجة الى كل جندي خاصة في ظروف السلام»(٢٤٥).

وقد اعتبر قبول اسرائيل لوقف اطلاق النار وتزويد الجيش المصري الثالث، المحاصر، بالمؤمن ضغطاً امريكياً على اسرائيل، ولكن الصحافة الالمانية الاتحادية فاتها ان تتذكر ما حملته تقاريرها السابقة من الخسائر الكبيرة التي تكبدها الاسرائيليون، وما جاء في هذه التقارير ايضاً من ان المصريين حاربوا بشدة وصلابة وما كان لاسرائيل ان تستمر في الحرب لولا تزويد الولايات المتحدة لها بامدادات كبيرة من الاسلحة. وترغب هذه الصحافة اعلام القارىء بأن تموين الجيش المصري الثالث المحاصر تم بناء على رغبة الولايات المتحدة الامريكية «الملحّة والخاصة»(٢٤٦) وان «الرأي الاسرائيلي يرى ان اسرائيل بحاجة الى الرضى الامريكي في اية علاقة كانت وهي معتمدة الآن عليه اكثر مما مضى»(٢٤٧).

واضاف كولشوتر سببين آخرين لاضطرار اسرائيل بقبول وقف اطلاق النار. اولهما «لأن اسرائيل لم تحقق نصراً ساحقاً في ساحة الحرب، ولكنها استطاعت ان تستعيد مواقع مهمة على الاراضي المصرية والسورية، وتستطيع ان تساوم بها». وثانياً، «تصاعد القلق المتنامي في اسرائيل حول موقعها لدى الرأي العام العالمي، وصورتها في الساحة الدولية»(٢٤٨).

وكانت ردة الفعل الاسرائيلية حول موافقة حكومتهم على تزويد الجيش الثالث المصري المحاصر بالمؤن يكتنفها «الغضب والتبرم والاحباط»(٢٤٩). ويضعون مسؤولية الضغط للموافقة على عاتق وزير الخارجية الامريكية هنري كيسنجر لأنه - حسب رأيهم - لم يكن يريد ان تحيق الهزيمة بالجيش المصري الثالث، ولأنه يعتقد بعدم ضرورة طرد المصريين من سيناء. كما يعتقد بأن الهدف المصري المحدد من هذه الحرب سيمحو الآثار المذلة لحرب سنة ١٩٦٧، وبالتالي فإنه يزيد من قدرتها على التفاوض مع اسرائيل(٢٥٠). الا ان مجلة دير شبيغل ترى ان الولايات المتحدة الامريكية في ممارستها الضغوط على اسرائيل لأنها لا تريد للسياسة الاسرائيلية ان تتعارض مع المساعي السلمية الامريكية. يمكن «لاسرائيل المنتصرة ان تقاوم الضغوط السلمية الامريكية تماماً مثلما قد تفعل مصر المضروبة من جديد في وعيها الذاتي للروس»(٢٥١).

وقدمت جبريله فينسكي نصحها، ورأيها، ان لا يتم اهانة الدول العربية من جديد

(٢٤٥) Schewe, *Die Welt*, 23/10/1973.

(٢٤٦) *Die Zeit*, (2 November 1973), p. 12.

(٢٤٧) Kohlschütter, *Die Zeit*, (26 October 1973).

(٢٤٨) المصدر نفسه.

(٢٤٩) D. Schröder, *SZ*, 17/10/1973, and Raven, *Die Welt*, 24/10/1973.

(٢٥٠) *FAZ*, 30/10/1973.

(٢٥١) *Der Spiegel*, no. 43 (22 October 1973).

لكي تصبح «اكثر مرونة» على بدء المفاوضات مع اسرائيل، ولأن «استعداد» القادة العرب المعتدلين للاعتراف بوجود دولة اسرائيل ليس فقط من ناحية واقعية وانما من الناحية القانونية ايضاً، لم يكن في يوم من الايام كما هو عليه اليوم(٢٥٢). وحوَّل شيفه عدم مقدرة اسرائيل على طرد المصريين من سيناء الى فضيلة من الفضائل. وقال انها تصرفت «بحكمة». .

«وبالطبع ليس هناك من يشك بإمكانية اسرائيل طرد المصريين من خط بارليف بكل قوة وتصميم، ولكن هذا الامر يتطلب الكثير من الضحايا»(٢٥٣).

لقد وصف وقف اطلاق النار «بالمؤامرة» ضد اسرائيل(٢٥٤). الا ان الصحافة الالمانية اعتبرته ايضاً هدية من الاتحاد السوفياتي الى كل من مصر وسوريا. واستطردت من هذا الموقف لتقف موقفاً متحيزاً ضد سياسة الاتحاد السوفياتي في منطقة الشرق الاوسط من وجهة نظرها. تقول بعض هذه الصحف ان الاتحاد السوفياتي كان يستهدف من وقف اطلاق النار ان تتجنب البلدان العربية الحليفة الهزيمة، ولأن خسارتها سترتب عليه عوامل كثيرة هي:

(١) اعادة تسليح هذه الدول. وهذا يعني انه ترجيح لمشاركة الاتحاد السوفياتي في الحرب، وهو قرار حرج، نظراً لسياسة الانفراج مع الولايات المتحدة(٢٥٥).

(٢) سيخسر الاتحاد السوفياتي ماء وجهه في العالم العربي، وهو امر يهمه الا يحصل منذ وجوده في المنطقة، وقد جهد على تحسينه.

(٣) نتيجة لخسارة ماء الوجه سيتنامى تأثير الدول الغربية، وسيصبح هذه التطور مزعجاً للاتحاد السوفياتي، لما تضمه هذه المنطقة من اضخم آبار النفط العالمية. ومن هنا يرى «سيكون» ان وجود الاتحاد السوفياتي في هذه المنطقة يعتبر مؤامرة سوفياتية للسيطرة على مصادر النفط، ومن اجل ان يدفع اوروبا والولايات المتحدة الى المواقع الحرجة(٢٥٦).

(٤) من مصلحة الاتحاد السوفياتي عدم إلحاق الهزيمة بالعرب. وهذا ما سيؤدي الى فتح قناة السويس «المهمة اقتصادياً» كما انها تقدم للسوفيات موقعاً على الخليج الايراني - العربي(٢٥٧).

(٥) ان المدخل الى بحر العرب من الناحية الاستراتيجية بالنسبة للاتحاد السوفياتي

---

(٢٥٢) Vensky, *Die Welt*, 26/10/1973.

(٢٥٣) Schewe, *Die Welt*, 23/10/1973.

(٢٥٤) من اقوال مائير ودايان وبيغن كما وردت في: *SZ*, 25 / 10 / 1973.

(٢٥٥) D. Schröder, *SZ*, 23 / 10 / 1973; Münchhausen, *FAZ*, 27 / 10 / 1973; P. P, *Die Zeit*, (14 December 1973), and *Der Spiegel*, no. 52 (15 December 1973).

(٢٥٦) Cycon, *Die Welt*, 1 / 11 / 1973.

(٢٥٧) المصدر نفسه، و *Der Spiegel*, no. 42 (15 November 1973)

يعني الطريق المفتوح الى الجبهة الجنوبية للصين، وهو امر استراتيجي له اهميته في حال نشوب نزاع سوفياتي - صيني(٢٥٨).

واذا كان رأي بعض الصحفيين بأن الاتحاد السوفياتي لا يريد ان تلحق الهزيمة بالعرب من اجل ان لا يخسر مواقعه بين الدول العربية، فإن الآخرين من الصحفيين يرى بأن الاتحاد السوفياتي يغمض عينه عن «الهزيمة المشرفة» للدول العربية من اجل ان لا يخسر مواقعه بينها. وهذا الموقف يعني بأن موقع الاتحاد السوفياتي في الدول العربية سوف لن يمس، لأنها - اي الدول العربية - قاتلت وقاومت بالسلاح السوفياتي وان مثل هذه الهزيمة، كما يدعي اصحاب هذا الرأي، ستجعل الدول العربية تعتمد اكثر من اي وقت مضى على الاتحاد السوفياتي. وعلى من ستقع انظار الدول العربية سوى على الاتحاد السوفياتي(٢٥٩)؟

ويردد اصحاب هذا الرأي ايضاً بأن الاتحاد السوفياتي سيتدخل في اللحظة التي يرى فيها انتكاس العرب وان الموازين تشير لصالح اسرائيل. وقد تردد هذا الرأي بعد الغارة الاسرائيلية على حي مدني في دمشق من ان السوفيات لن يقفوا مكتوفي الايدي، وهم ينظرون كيف «يموت المواطنون السوفيات»(٢٦٠). وقد اهاب السكرتير الاول للحزب الشيوعي السوفياتي ليونيد برجينيف في برقيته يوم ١٠ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣ الى الرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين، بجميع الجيوش العربية ان تقدم كل المساعدة الممكنة الى جيوش الدول العربية المشاركة في الحرب. واضاف بريجنيف قائلاً: «اننا نعتقد اكثر من اي وقت مضى، بأن التضامن العربي الاخوي يجب ان يلعب دوره الحاسم، ويجب ان لا تترك مصر وسوريا وحدهما في حربهما ضد العدو الغادر»(٢٦١). ومارست القيادة السوفياتية بعد هذا ضغطاً على كيسنجر، عندما زار موسكو، للضغط على اسرائيل وللقبول بوقف اطلاق النار.

ان «التوازن»(٢٦٢) او «توازن القوى»(٢٦٣) في الشرق الاوسط يجب ان لا يتغير لأنه يصبح عامل تهديد للوفاق بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي(٢٦٤). ويجب ان لا يسمح

---

(٢٥٨) المصدر نفسه.

(٢٥٩) Körber, *Die Welt*, 13 / 10 / 1973, and Cycon, *Die Welt*, 20 / 10 / 1973.

(٢٦٠) Janssen, *Die Zeit*, (3 November 1973).

(٢٦١) Münchhausen, *FAZ*, 11/10/1973. فسرت صحافة المانيا الغربية برقية بريجنيف تفسيراً مختلفاً، فقد اعتبرتها دي فلت تحدياً للوفاق، انظر: Barth, *Die Welt*, 12 / 10 / 1973.

بينما عارضت ذلك الرأي صحف اخرى وقال تيو سومر، ان هذه البرقية تنبه العرب بوضوح بأن الاتحاد السوفياتي لا يريد زج نفسه في هذه الحرب. Sommer, *Die Zeit*, (19 October 1973).

وقد وصف شيملي هذه البرقية بأنها «مجاملة غير ملزمة» من قبل الاتحاد السوفياتي، يقول فيها للعرب ان عليهم ان يحاربوا بأنفسهم وليس الاتحاد السوفياتي الذي يحارب عنهم. Chimelli, *SZ*, 11 / 10 / 1973.

(٢٦٢) *Der Spiegel*, no. 44 (29 October 1973), pp. 116 - 117.

(٢٦٣) *SZ*, 17/10/1973, and *Die Welt*, 12/10/1973.

(٢٦٤) Weinstein, *FAZ*, 26 / 10 / 1973, and Janssen, *Die Zeit*, (26 October 1973).

بوجود «منتصرين ومهزومين» في هذه الحرب الرابعة(٢٦٥). وان تستمر اسرائيل قوية كما كانت. اذ ان اي تغيير في ميزان القوى لغير صالح اسرائيل يحمل في ثناياه تصعيد الخلاف بين الدولتين الكبيرتين(٢٦٦). تلكم هي الرؤية الصحفية في المانيا الاتحادية فيما يتعلق بتزويد الولايات المتحدة لاسرائيل بالسلاح، خاصة وان الولايات المتحدة وجدت نفسها مضطرة الى اعادة «توازن القوى الاقليمية» بين العرب واسرائيل على ضوء النجاحات الاولية التي حققها العرب في بداية الحرب، وقد ارادت ان تضمن وجود هذا التوازن(٢٦٧)، لأنه بالنسبة الى الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية تستطيعان تحمل «انتصاراً بالنقاط» لكل من حلفائهما، اما «الضربة القاضية» فهي خطيرة(٢٦٨) جداً. لذلك يقول ريد موللر: لقد ادرك كل من الدول العربية المشاركة في الحرب، واسرائيل، بأن إبادة الخصم ليست من ضمن قواعد هذه الحرب. وأدركوا ايضاً بعد كل معركة ـ اكثر مما مضى ـ بأنهم يعتمدون على الدولة التي تحميهم وهذا ما وفر فرص الاستعداد الكبير للمفاوضات(٢٦٩).

ب ـ الجبهة السورية: «على الطريق الى دمشق»

اجاب وزير الدفاع الاسرائيلي السابق موشيه دايان عندما سئل عن موقع الجيش الاسرائيلي على الجبهة السورية، انه «على الطريق الى دمشق»(٢٧٠). فقد دأب قادة اسرائيل العسكريون في هذه الحرب يصرحون بأن جيشهم على بعد ثلاثين كيلومتراً من دمشق(٢٧١). الا ان المقاومة العنيفة التي ابداها الجيش السوري ردت الجيش الاسرائيلي ومنعته من التقدم على الطريق «الى دمشق». ولكن ذلك لم يعق الطيران الاسرائيلي من الاغارة على الاحياء السكنية في دمشق، وغيرها من المدن السورية. اننا لا نريد ان نناقش هنا فيما اذا كان باستطاعة اسرائيل ان تحتل دمشق او لا، وقد ناقش هذا الموضوع رول في كتابه من وجهة نظر غربية، اما لماذا قصفت اسرائيل احياء دمشق فستعترض له في موضع آخر.

يصف كيمبسكي بحماس كبير ذلك التقدم المزعوم للجيش الاسرائيلي نحو دمشق. قائلاً.. ان الرائد اسكا الذي كان يرافقه فتح له خارطة واشار الى موضع فيها قائلاً: «اذا لم اخطىء التقدير فهذه هي الطريق الى دمشق». ويصف كيمبسكي تقاطيع وجه الرائد المرافق وهو معجب به لأنه لا يريد ان يفصح عما يعرفه قائلاً: «انني لا امزح وهذه هي الحقيقة»(٢٧٢). الا

---

(٢٦٥) D. Schröder, *SZ*, 19/10/1973.

(٢٦٦) المصدر نفسه.

(٢٦٧) Sommer, *Die Zeit*, (19 October 1973); Janssen, *Die Zeit*, (26 October 1973), and Reifenberg, *FAZ*, 17 / 10 / 1973.

(٢٦٨) *Der Spiegel*, no. 44 (29 October 1973), pp. 116-117.

(٢٦٩) Friedmiller, *SZ*, 29/10/1973.

(٢٧٠) *FAZ*, 13/10/1973.

(٢٧١) اختلف تحديد موقع الجيش الاسرائيلي باستمرار ما بين ٢٠ و ٤٠ كلم.

(٢٧٢) Kempski, *SZ*, 12/10/1973.

ان المقاومة العنيفة للسوريين منعت الجيش الاسرائيلي من التقدم السريع في هضبة الجولان. ولم يمنع ذلك شيفه من الاعراب عن عواطفه المتحيّزة ضد السوريين وهو يصف تقدم الجيش الاسرائيلي وكأنه في «نزهة». ثم يعود فيقول ان الجيش الاسرائيلي يتقدم الى الامام بثبات، ولكنه «غير متسرّع». ويبرر شيفه عدم مقدرة الجيش الاسرائيلي على التقدم قائلاً: «عندي شعور اليوم بأن الجيش الاسرائيلي لا يريد ان يصل بالضرورة الى دمشق»(٢٧٣). واذا ما اراد شيفه اخفاء المقاومة العنيدة التي ابداها الجيش السوري فإن زميله كولشوتر في صحيفة دي تسايت قدم ما شاهده على جبهة الجولان ووصفه وصفاً واقعياً كما رآه: «تحت وابل من القصف المدفعي الشديد وهجمات طائرات الميغ المستمرة وقذائف الكاتيوشا التي تتساقط كل ثانية لتغطي سلسلة التلال كلها، اضطرت وحدات الدبابات الاسرائيلية الى التخلي عن تقدمها الى دمشق وبأي ثمن»(٢٧٤).

وقد كتب عدد من الصحفيين بعد القصف الاسرائيلي لمدينة دمشق عدة مقالات يصفون فيها المدينة، وسوف نعرض ما كتبوه لأنه يعكس فهم الصحفيين الالمان الغربيين لمدينة مهمة لها مكانة في تاريخ العرب (والمسلمين)، وكان كارل بوخالا اول مراسل لصحيفة المانية غربية استطاع ان يزور المدينة بعد اسبوع من قصفها ومن هناك ارسل تقريراً عن مشاهداته(٢٧٥).

قال بوخالا، لقد كان للقصف نتائج عكسية. فقد ازدادت ثقة الدمشقيين بأنفسهم وتوطدت تلك الثقة بما حققه الجيش السوري من نجاحات على الجبهة، بالاضافة الى انها دعمت معنويات العاصمة(٢٧٦). ووصف مونشهوزن سكان دمشق بأنهم الذين بدوا غير «متعبين من الحرب»(٢٧٧) و«متفائلين» ويقارنون وضعهم بوضع هانوي، فقد قصف الامريكان هانوي ولكنها لم تسقط في ايديهم(٢٧٨).

ان الحياة في دمشق «المدينة المقدسة في الاسلام»(٢٧٩) والتي اصبحت اليوم «مدينة على الجبهة»(٢٨٠) ما تزال تعجّ بالناس، ولا يشعر المرء فيها بوجود «اي اضطراب او ارهاق»(٢٨١)

---

(٢٧٣) Schewe, *Die Welt*, 16/10/1973.

(٢٧٤) Kohlschütter, *Die Zeit*, (19 October 1973).

(٢٧٥) يبدو ان اختلافاً في الرأي بين الصحف الالمانية حول اول مراسل وصل الى دمشق بعد قصفها وقد وقع مراسلو دي فلت كوربر وبيترسن ومراسل دي تسايت كونتسلمان، تقاريرهم التي أرسلوها في ١٣ / ١٠ و ١٩ / ١٠ على التوالي على انها مرسلة من دمشق. وتؤكد زود دويتشه تسايتونغ ان مراسلها بوخالا كان اول صحفي الماني غربي زار دمشق *SZ*, 20/10/1973, كما اكد ذلك السيد بوخالا للمؤلف، عندما قابله في منتصف نيسان ١٩٧٤.

(٢٧٦) Buchalla, *SZ*, 20/10/1973.

(٢٧٧) Münchhausen, *FAZ*, 23/10/1973.

(٢٧٨) *Der Spiegel*, no. 43 (22 October 1973), p. 116.

(٢٧٩) Cycon, *Die Welt*, 23/10/1973.

(٢٨٠) Konzelmann, *Die Zeit*, (19 October 1973).

(٢٨١) *Buchalla, SZ*, 20/10/1973.

نتيجة للحرب. فالمحلات مفتوحة والناس يساومون على الثمن في السوق(٢٨٢). وفي البازار - «وهو الميزان المعتمد لقياس التقلبات السياسية» - تنتقد الاحداث ولكن بروح متفائلة(٢٨٣). وعلى الطرقات «تبرز الصور المعهودة لمدينة شرقية، بما فيها من البائعين المتجولين ودعايات السينما الصارخة وبائعي عصير الفواكه وماسحي الاحذية، واكشاك الصحف التي تحمل اخبار الحرب، ويتدافع الناس لقراءتها». والمحلات ملأى بالمواد الغذائية والخدمات العامة(٢٨٤).

ان دمشق، «المدينة المقدسة في الاسلام»، «لؤلؤة الشرق، وقلب العروبة» وقد ذُكرت «خمسمائة مرة في الكتاب المقدس»(٢٨٥) انها «الجنة على هذه الارض»(٢٨٦) و«المدينة المقدسة لدى العرب». ولكن النبي محمد لم يزرها لأنه «لم يرغب في ان ينعم في هذه الجنة الفانية». ومن هذه المدينة حكم العرب «الامبراطورية» (يعني الخلافة) العربية الاسلامية ومدوا حدودها حتى بخارى وسمرقند والهند وجبال البرانيس(٢٨٧)، وهي مركز الثقل للعرب لأنها اصبحت مركزاً للقومية العربية المتيقظة(٢٨٨). وقد اراد الشريف حسين - وابنه فيصل - بعد انهيار الخلافة العثمانية في الحرب العالمية الاولى، ان يجعل دمشق عاصمة مملكته العربية، الا انه لم ينجح لأن القوى الاوروبية، بريطانيا وفرنسا، كانت قد قسمت البلاد العربية فيما بينها حسب معاهدة سايكس - بيكو. وفي عام ١٩١٦ وعدت الحركة الصهيونية باقتطاع فلسطين لها - حسب وعد بلفور - وبعد فترة قليلة من انتهاء الحرب العالمية الثانية قام ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار، بتأسيس حزب البعث.

لقد تفرّد مراسلو صحيفة دي فلت اليمينية بالكتابة عن احتمالات احتلال الجيش الاسرائيلي لمدينة دمشق، وكأنهم يريدون تحضير الرأي العام الالماني لهذا الاحتمال. وقد نشرت جريدة دي فلت يوم ١٦ تشرين الاول/ اكتوبر تقريراً لمراسلها بيتر رسن، تحت عنوان «دمشق هيأت نفسها للاحتلال». ويجد فرانسيس اوفنر مراسل صحيفة كريستيان سيانس الامريكية، وكان يراسل في الوقت نفسه صحيفة دي فلت، تبرير هذا الاحتلال لأسباب ايديولوجية دينية، مشيراً الى مرتفعات الجولان، حيث ان النزاع بين الاسرائيليين والسوريين منذ العصور التوراتية، وعلى مرتفعات الجولان القى يسوع المسيح موعظة الجبل. اما من الناحية الاقتصادية، فلا اهمية لها نظراً لصخورها البركانية ولتوفر بعض بساتين الفاكهة

---

(٢٨٢) Konzelmann, *Die Welt*, 19/10/1973.

(٢٨٣) Buchalla, *SZ*, 20/10/1973.

(٢٨٤) المصدر نفسه.

(٢٨٥) Körber, *Die Welt*, 13/10/1973.

(٢٨٦) Vocke, *FAZ*, 13/10/1973.

(٢٨٧) Chimelli, *SZ*, 16/10/1973.

اعرب فوكه عن رأي مشابه Vocke, *FAZ*, 13/10/1973, قال: «ترتبط هذه المدينة في ذهب العرب بالانتصارات العسكرية لجيوش الفتوحات الاولى للمسلمين وفي الوقت نفسه باعتبارها مدينة خضراء في وسط الصحراء الحارقة».

(٢٨٨) Chimelli, *SZ*, 16/10/1973.

فقط. وينفي اوفنر وجود العرب في الجولان، ويعتبرها موطناً للدروز(*)، ولم يفلح المستوطنون الصهاينة بعد الحرب العالمية الاولى من استيطان الجولان، الا انهم استطاعوا احتلال الطريق المؤدية الى دمشق، وبذلك امتلكوا مفتاح ابواب العاصمة السورية(٢٨٩). والمدينة «معتادة على الاحتلال، فلقد مرت بها جيوش احتلال كثيرة»(٢٩٠). ويشرح كل من كوربر ورسن كيف ان الدمشقيين يتوقعون الاحتلال، ويقول كوربر ان تصريح دايان قد اقلق العرب حول توجه الجيش الاسرائيلي الى دمشق لأنهم يعرفون عندما «يتكلم دايان فإنه يعني ما يقول». ويضيف كوربر بأن العرب يكنّون «احتراماً مقدساً» لدايان من خلال تجربتهم عام ١٩٥٦ و ١٩٦٧(٢٩١). الا ان كوربر لا ينسى ان يذكر في مقاله ما قاله العرب من انهم سوف ينتصرون او يستشهدون امام دمشق. ولكنه مع هذا يحذر الاسرائيليين اذا لم يحتلوا مركز التموين العسكري السوري في قطنة قرب دمشق، فإن جرب استنزاف ستنتظرهم. ويدعي بيتر رسن بأن شرطياً سورياً اخبره بأن السوريين قد اعتادوا العيش حتى لو ان اسرائيل ستحتل دمشق(٢٩٢). ويضيف رسن قائلاً على لسان هذا الشرطي بأن «السوريين عاشوا دائماً في الصحراء»، وهم على اي حال لا يشعرون بالارتياح في هذه المدينة، ويتساءل الشرطي كما يدعي رسن لماذا لا يعود العرب الى الصحراء؟(٢٩٣)ان هذه النماذج من التقارير الصحفية تدل على مدى تحيز الصحافة الالمانية الاتحادية ضد العرب والمدى الذي وصلت اليه صحيفة دي فلت، وكم هي عدائية وعنصرية؟ ليس ضد العرب فحسب ـ وانما ضد شعوب العالم الثالث حيث يقارنون البدو، اي التخلف ـ في رؤية جريدة ديت فلت ومراسلها ـ بالحضر، اي الجيش الاسرائيلي القادم من الغرب لاحتلال الشرق. وعلى اي حال فإنّ ما اورده السيد رسن مشكوك فيه حول حواره مع الشرطي السوري في مثل هذه المواضيع.

٣ ـ اسباب النجاح العربي: الفضائل غير العربية

يدين العرب بالنجاح الاولي الذي حققوه في بداية الحرب، وبالتالي تطورهم في قيادة الحرب الى «الفضائل غير العربية، كالعقل المخطط، والنظام، والروح الواقعية»(٢٩٤). ويؤكد اوغشتاين رئيس تحرير مجلة دير شبيغل وصاحب مقولة «الفضائل غير العربية» هذا الموقف المتحيز ضد العرب وهو القائل بأن «العرب غير عقلانيين»(٢٩٥). ويجاريه ديتر سيكون في تحيزه

(*) طائفة اسلامية عربية. (المحرر)

(٢٨٩) Ofner, *Die Welt*, 15/10/1973.

(٢٩٠) Körber, *Die Welt*, 13/10/1973.

(٢٩١) Ofner, *Die Welt*, 15 / 10 / 1973, and Rissen, *Die Welt*, 16 / 10 / 1973.

(٢٩٢) Rissen, *Die Welt*, 16/10/1973.

(٢٩٣) المصدر نفسه.

(٢٩٤) *Der Spiegel*, no. 42 (15 October 1973).

(٢٩٥) *Der Spiegel*, no. 45 (5 November 1973).

فيقول: بالرغم من النجاحات العربية «يبقى العنصر غير العقلاني في الروح العربية»(٢٩٦). اننا نستطيع وبالرغم من هذه الصورة المقولبة عن العرب في صحافة المانيا الاتحادية، ان نحدد عاملين اوردتهما هذه الصحافة كسببين لشرح عوامل النصر الذي حققه العرب، اولهما النجاح في ادارة الشؤون التكنولوجية السوفياتية، وثانياً، التعبئة الحديثة وبناء الجيوش العربية.

أ ـ النجاح في ادارة الشؤون التكنولوجية السوفياتية

تؤكد الصحافة الالمانية الاتحادية، مستندة في ذلك على المقابلات والتصريحات لمسؤولين اسرائيليين، من ان الاستراتيجية المصرية السورية المشتركة سوفياتية الصنع. وقد اتبع العرب، حسب رأي الصحافة الالمانية، حرفياً التكتيك والاستراتيجية السوفياتية. وفي هذا الصدد يقول حاييم هيرتسوغ في مقابلة اجرتها معه صحيفة فلت ام زونتاغ (وهي صحيفة دي فلت ولكنها تصدر تحت هذا الاسم نهار الاحد) بأن السوريين والمصريين في هجومهم اتبعوا «خطة موضوعة من قبل، وقد التزموا بتنفيذها بدقة. وكان هجومهم مثل اي هجوم مسطور في كتب التكتيك، إنهم لم يظهروا اي مقدرة فكرية او حماس او حتى القليل من خفة الروح. فقد نفّذ السوريون ما تعلموه من الروس، وكذلك كان الامر بشأن الانسحاب كما لو أننا نحن الذين قمنا بالهجوم. وكان الانسحاب كذلك الذي يوصف في الكتب. اما بالنسبة لقوادنا فقد كان الامر واضحاً»(٢٩٧). وقد اطلق دايان(٢٩٨) ايضاً الوصف نفسه على العرب في محاولة للتقليل من اهمية النجاح العربي قائلاً: «ان النجاح الاولي للعرب يعود الى التسليح الروسي الجيد والى الكمية الكبيرة من الاسلحة التي كانوا يمتلكونها»(٢٩٩). وقد تصرّف العرب في بداية الحرب، كما ادعى دايان «بعقلية مدرسية كمانصت عليه كتب التعليم»(٣٠٠).

وقد أكّد الجنرالات الاسرائيليون على الجبهة المصرية هذه النعوت ضد العرب. وفي هذا الصدد قال الجنرال كالمان: «إن المصريين مسلحون تسليحاً ممتازاً. وخاصة بالسلاح المضاد للدبابات»(٣٠١). وبالرغم من ان شيفه كان يستشف في حديث الجنرال الاسرائيلي «اعترافاً كبيراً» بدور المصريين، الا انه يشعر شخصياً «بأن الاسرائيليين لا يكنون احتراماً للطائرات المقاتلة المصرية، وانما للصواريخ المضادة السوفياتية الصنع. وهو يعتبر امراً جديداً»(٣٠٢). ويقول كيمبسكي ان

---

(٢٩٦) Cycon, *Die Welt*, 18/10/1973.

(٢٩٧) المقابلة مع حاييم هيرتسوغ اجراها كورت ليسلار في: *Welt Am Sonntag*, 14/10/1973.

(٢٩٨) M. Schröder, *SZ*, 20/10/1973.

(٢٩٩) *Die Welt*, 19/10/1973.

(٣٠٠) Tavor, *FAZ*, 22/10/1973.

(٣٠١) Schewe, *Die Welt*, 15/10/1973.

(٣٠٢) المصدر نفسه.

الجنرال كان «ينتقي افعال التفضيل» عندما يتكلم عن نوعية الاسلحة لدى المصريين(٣٠٣). ولقد تبنت الصحافة في المانيا الاتحادية هذا التحليل الاسرائيلي، واضافت عليه معلومات في هذه الاتجاه نفسه. ويقول احد الصحفيين حول القيادة المصرية في الحرب «بان آثار التخطيط السوفياتي تشتم منها»(٣٠٤). وان قيادة الحرب لدى المصريين والسوريين، مأخوذة من كتب التعليم السوفياتية، وهذا ما يفسر نجاحهم الأوّلي. وقد كان عبور القناة عملية «من الطراز الاول» و«دون اخطاء».

اما المراحل اللاحقة من الحرب، فقد كانت «مصرية بحتة» - اي غير مخطط لها. لذا نرى بدلاً عن التقدم الى الممرات، وقفت القوات المصرية في مكانها وهدرت الوقت الثمين(٣٠٥). وعندما حاولت القوات المصرية في مرحلة لاحقة الوصول الى الممرات كانت القوات الاسرائيلية قد عززت مواقعها فيها، وكان الوضع مشابهاً في شرم الشيخ الذي لم يحتله المصريون(٣٠٦).

ويعرب (سيكون) عن اقتناعه بأن هذه الحرب هي قتال بين نوعين مختلفين من الفكر العسكري، النوع الاول له سمات روسية، والثاني هل سمات غربية، مع ما يرافق هذين النوعين مثل انظمة السلاح المتعلقة بهما. انه قتال بين «نظام الدفاع الجوي الروسي ونظام الهجوم الجوي الامريكي»(٣٠٧). ان الحرب الخاطفة التي شنتها اسرائيل عام ١٩٦٧ والتي اظهرت الذكاء التقني والتجربة والحركة لدى الاسرائيليين(٣٠٨) ادت الى «شعورهم بالتفوق» و«يأس» لدى العرب. وقد حاول الروس التخفيف من عدم المقدرة التقنية العسكرية لدى العرب، فنصحوهم بتبني تكتيك يكون الدفاع فيه اقوى من الهجوم. ومن هذا الموقف يتم الانطلاق الى الهجوم. وبناء على هذه النظرية يفسر (سيكون)، تسليح الجيش السوري والمصري بأسلحة الدفاع الجوي.

تقول دير شبيغل ان العرب تعلموا «الفضائل غير العربية وهي: العقل المخطط والنظام والروح الواقعية»، من السوفيات. حتى ان المصريين والسوريين اقاموا جهازاً للدفاع المدني للدفاع داخل البلاد، حسب «النموذج السوفياتي». وكذلك تشكيل القوات الخاصة وارسالها خلف الخطوط الاسرائيلية حسب هذا النموذج ايضاً. وقد قام المصريون بالفعل بالتدرب على السيارات البرمائية السوفياتية، على النيل عند الفيوم(٣٠٩). وعلى اثر المعركة بالدبابات على

---

(٣٠٣) Kempski, *SZ*, 15/10/1973.

(٣٠٤) Lahav, *Die Welt*, 16/10/1973.

(٣٠٥) كان ذلك الهدف المحدود لمصر من هذه الحرب.

(٣٠٦) المصدر نفسه.

(٣٠٧) Cycon, *Die Welt*, 17/10/1973.

(٣٠٨) المصدر نفسه.

(٣٠٩) *Der Spiegel*, no. 42 (15 October 1973).

مرتفعات الجولان في ١٩ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٧٣استعمل السوريون تكتيكاً سوفياتياً، حسبما يقول شرودر، «بعد طرد المشاة الاسرائيليين باسلحة مضادة للدروع». أرسلت الدبابات الى المعركة، وبعد انسحاب الدبابات ارسل المشاة الى اول نقطة متقدمة على الجبهة(٣١٠). هكذا يصف شرودر التكتيك السوري المتبع، وكذلك يصل فاينشتاين الى نتيجة مشابهة، ولكنه يربط عدم نجاح الاسرائيليين في التقدم الى دمشق باستخدام السوريين للتكتيك السوفياتي(٣١١).

لقد استخدم العرب الاستراتيجية والتكتيك السوفياتيين في هذه الحرب، وحصلوا «على كميات كبيرة» من الاسلحة السوفياتية. واثبتوا بأنهم «قادرون» على استخدام هذه «الاسلحة المتطورة جداً» و«استطاعوا السيطرة عليها بشكل مدهش»(٣١٢). وبالتالي اثبتوا بأنهم «على قدم المساواة»(٣١٣) مع الاسرائيليين، كما جاء ذلك على لسان احد الفلسطينيين الذين اجرى معهم اودين مقابلة في الاراضي المحتلة وكانت تلك ايضاً احدى المفاجآت في الحرب(٣١٤).

وقد كان لشحن صواريخ ارض ـ جو من نوع سام ٦ الى القوات المصرية والسورية، اثره في التعادل الجزئي مع التفوق الجوي الاسرائيلي. واثبت السلاح السوفياتي بأنه «سلاح خطير جداً»(٣١٥)، مما اثار انتباه صحافة المانيا الاتحادية اكثر من مرة الى خطورة هذا السلاح.

يقول فاينشتاين ان الحرب اظهرت «النوعية العالية» للسلاح السوفياتي(٣١٦). وهكذا خسرت اسرائيل عدداً كبيراً من طائراتها الحربية التي اسقطت بالصواريخ السوفياتية «المخيفة»(٣١٧) من نوع سام ٦. واعتبر كثير من الضباط الاسرائيليين صواريخ سام ٦ والصواريخ الاخرى المحمولة «خطيرة جداً»(٣١٨)؛ ونعت «سيكون» هذه الصواريخ «بالصواريخ السوفياتية المضادة العجيبة»(٣١٩). كما اثبتت الاسلحة السوفياتية والتدريب السوفياتي

---

(٣١٠) M. Schröder, *SZ*, 20/10/1973.

(٣١١) Weinstein, *FAZ*, 20/10/1973.

(٣١٢) المصدر نفسه.

(٣١٣) Odin, *FAZ*, 23/10/1973.

ذكر الرئيس حافظ الاسد في خطابه في نهاية تشرين الاول / اكتوبر بأن «العرب اثبتوا للعالم كله انهم يستطيعون القتال بالتقنية الحديثة، فالعرب يشعرون اليوم بأنهم اقوى مما مضى.» من خطاب الرئيس الاسد كما نقلته:
FAZ, 20/ 10 / 1973.

(٣١٤) Münchhausen, *FAZ*, 11/10/1973.

(٣١٥) المصدر نفسه.

(٣١٦) Weinstein, *FAZ*, 12/10/1973.

(٣١٧) Kohlschütter, *Die Zeit*, (12 October 1973), and Barth, *Die Welt*, 12/10/1973.

(٣١٨) M. Schröder, *SZ*, 15 and 19/10/1973.

(٣١٩) Cycon, *Die Welt*, 15/10/1973.

«تميزها»(٣٢٠). وهكذا دخل «عامل استراتيجي جديد الى العالم» باستخدام نظام الصواريخ السوفياتية مما يجبر الغرب على التفكير ملياً. وتطور «بذلك التهديد غير المباشر لاوروبا» تطوراً كبيراً(٣٢١). أن استخدام صواريخ سام٦ «التي يصعب التشويش عليها» يسبب «الصداع» لاسرائيل ويعيقها من تحقيق نصر سريع(٣٢٢). ويؤكد د. شرودر بأن عدم مقدرة اسرائيل على هزيمة العرب بسرعة وابادتهم، وتحول الحرب الخاطفة الى حرب استنزاف، ونجاح السلاح السوفياتي في الايدي العربية، دلّ بوضوح بأن اسرائيل لن تخرج من هذه الحرب منتصرة انتصاراً بارزاً، ولكنها «قد تنجح في تحقيق النصر»(٣٢٣).

ان وقوع اسرائيل لاول مرة في اضطراب عسكري امر شدد عليه الصحفيون الالمان من اجل التعاطف معها ضد (خطر الابادة) الذي يتهددها. لأول مرة تواجه اسرائيل مشكلة «المدى الاستراتيجي» الذي قد تصله «القوى المعادية لها»(٣٢٤). وحذرت دي فلت «بأن سلاح الجو الاسرائيلي يواجه المخاطر في القتال الجوي لعدو مسلح تسليحاً جيداً ويتفوق عليه عددياً»(٣٢٥). وفي ضوء هذا الوضع دعا موشيه تافور مراسل صحيفة فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ في تل ابيب الى التضامن مع اسرائيل. لأنها، حسب رأيه، تحتاج «للدعم اصدقائها ليس بالجنود فحسب وانما بالسلاح، وهي ايضاً بحاجة الى مساعدة الشعب اليهودي»(٣٢٦). ونصح فاينشتاين اسرائيل باستخدام «القنابل الذكية» لتستطيع ان تعوض عن «تخلفها التقني امام التفوق العربي بالصواريخ السوفياتية الجديدة»(٣٢٧). ويعتبر شيملي(٣٢٨) كما اعتبر من قبله سيكون، بأن انتصار العرب هو انتصار للاسلحة السوفياتية، مما سيؤدي الى ازدياد اسهم التأثير السوفياتي وتأثيرهم في الدول العربية(٣٢٩). واستشهدت صحف المانيا الغربية بحديث للرئيس السادات مع السفير السوفياتي في القاهرة، السيد فينو غرادوف، لتؤكد اهمية الدور الذي لعبه السلاح السوفياتي لدى استقبال السادات له قائلاً «كنا نحمل سلاحكم في ايدينا عندما عبرنا قناة السويس»(٣٣٠). وفيما لو خسر العرب الحرب او لم يستطيعوا استخدام السلاح السوفياتي، فإن عليهم ان يعيدوا التفكير حول حكمة «ابقاء المستشارين العسكريين السوفيات على

---

(٣٢٠) Gillesen, *FAZ*, 15/10/1973, and Weinstein, *FAZ*, 23/10/1973.

(٣٢١) Weinstein, *FAZ*, 23/10/1973.

(٣٢٢) Anatol Johansen (British), *FAZ*, 1/11/1973.

(٣٢٣) Schröder, *SZ*, 17/10/1973.

(٣٢٤) Ruehl, *Die Zeit*, (19 October 1973).

(٣٢٥) *Die Welt*, 13/10/1973.

(٣٢٦) Tavor, *FAZ*, 16/10/1973.

(٣٢٧) Weinstein, *FAZ*, 18/10/1973.

(٣٢٨) Chimelli, *SZ*, 11/10/1973.

(٣٢٩) المصدر نفسه، و Gillessen, *FAZ*, 15 / 10 / 1973.

(٣٣٠) Buchalla, *SZ*, 13/10/1973.

الباب»[٣٣١]، او «تخفيف التحالف مع موسكو»[٣٣٢]، او «التجرؤ»[٣٣٣] على «شق طريق عسكري مستقل»[٣٣٤].

لم تنته الصحافة الالمانية من التأكيد على تزويد الاتحاد السوفاتي للعرب بالاستراتيجية والتكتيك بالاضافة الى السلاح والعتاد والتدريب العسكري، حتى خطت خطوة اخرى لتظهر بأن النجاح العربي في هذه الحرب هو نتيجة لمساعدة الدول الاشتراكية بزعامة الاتحاد السوفياتي. اي لا فضل للعرب في تحقيق ذلك النجاح. وترد هذه الصحافة اسباب ذلك النجاح الى «الفضائل غير العربية» والى المستشارين الذين ارسلتهم الدول الاشتراكية الى العرب لتدريبهم على هذه الاسلحة.

وتطرقت ايضاً الى ان المستشارين انفسهم هم الذين كانوا يقودون او يستخدمون هذه الاسلحة، لاظهار عدم قدرة العرب على تعلم طرق ووسائل استخدام تلك الاسلحة. وانطلاقاً من هذا التحريض، ادعت مجلة نيوزويك الامريكية بأن المصريين اسقطوا اربعين طائرة من طائراتهم وانهم «لم يستعملوا بطريقة صحيحة بطاريات صواريخ سام ٦ الحديثة» بسبب «التنسيق السيء بين سلاح الجو ونظام الدفاع الجوي»[٣٣٥]. ويدعي موشيه تافور معتمداً على مصادر ومعلومات اجنبية بأن الكوريين الشماليين قادوا بعض الطائرات المصرية. وان الخبراء العسكريين قدموا الى سوريا لاسداء النصح والمشورة «لقيادة الاركان السورية حول الدفاع عن الحزام الامني حول دمشق»[٣٣٦]. ان «العالم الشيوعي كله» يقف جاهزاً لمساعدة العرب. وقد حل مستشارون عسكريون يوغسلاف[٣٣٧] بعد طرد المستشارين السوفيات من مصر عام ١٩٧٢.

ويدعي السيد رول بأنّ خبراء عسكريين تشيكيين قدموا الى سوريا لتقديم المساعدة حول تعليمات استخدام «الاجهزة السوفياتية»[٣٣٨]. ويسمي احد مراسلي صحيفة دي تسايت المستشارين العسكريين هؤلاء «بالفيلق الاجنبي للدول الاشتراكية»[٣٣٩]، وكانت مهمتهم فيما لو نشبت حرب عربية ـ اسرائيلية خامسة استخدام السلاح «بأكبر فعالية ممكنة»

---

(٣٣١) اي طرد الخبراء السوفيات.

(٣٣٢) اي معاهدة الصداقة.

(٣٣٣) Chimelli, *SZ*, 11/10/1973. يدعي فاينشتاين بأن الاتحاد السوفياتي كان متردداً في تزويد سوريا ومصر بكميات كبيرة من الاسلحة السوفياتية المتطورة، لعدم وثوقه من انهما سيستطيعان استخدامه، انظر: Weinstein, *FAZ*, 18/10/1973.

(٣٣٤) يعني شن الحرب كما فعلوا في اكتوبر ١٩٧٣.

(٣٣٥) مقال نيوزويك كما ورد في: *SZ*, 20/11/1973.

(٣٣٦) Tavor, *FAZ*, 20/10/1973.

(٣٣٧) Ihlan, 12/10/1973.

(٣٣٨) Ruehl, *Die Zeit*, (2 November 1973).

(٣٣٩) P. P, *Die Zeit*, (14 December 1973).

والتأكيد «من ان مليارات الروبلات لن تذهب هدراً، كما هدرت سابقاً». لقد كان هدف هذا «الفيلق الاجنبي» تغطية التدخل العسكري المباشر او ان يكون بديلاً عنه(٣٤٠). واكد رول بموضوعية اكثر قليلاً، بأن العرب والاسرائيليين اصبحوا يعتمدون الى حد كبير على الدول الكبرى المتحالفة معهم. وكما «اصبح حلف وارسو مخزناً لتسليح الدول العربية فقد اصبحت اوروبا الغربية وحلف الناتو ـ ولو بدرجة اقل ـ مخزناً لتسليح الجيش الاسرائيلي»(٣٤١).

ان موقف العرب تجاه التقنية والاسلحة الجديدة، تصوره الصحافة الالمانية، وتكتب عنه بأسلوب ساخر.. وفكه.. وهي تردد مثلاً.. بأن المصريين على الضفة الغربية لقناة السويس كانوا يرددون «الله اكبر» كلما اطلقوا صاروخ سام ٦ الذي «يلحق كالبرق الطائرة الاسرائيلية ويحولها الى كرة من النار تصبح بعدها غيمة بيضاء كبيرة ثم تهوي الى الارض»(٣٤٢). ويقول كوبر من القاهرة ان منظر اطلاق صاروخ سام ٦ «خلاب جداً» بالنسبة للمصريين لدرجة انهم عندما يسمعون صفارات الانذار لا يهبطون الى الملاجىء. والقاهرة «تتردد في تنفيذ اوامر السلطات العليا للاختفاء من الشوارع، وللاختباء في الملاجىء»(٣٤٣). ويؤكد بيتر رسن الموضوع نفسه من سوريا، اذ ان السوريين يهللون فرحاً عندما ينطلق احد صواريخهم في الجو حتى لو لم يصب هدفه. فمن «العبث ان تشرح لهم بأن الغيوم السوداء وحدها فقط تعني بأن الصاروخ اصاب هدفه»(٣٤٤). وفي اغنية هجائية يطعن السوريون والمصريون بالعم سام وامتدحوا الصاروخ السوفياتي(٣٤٥). وقد اتخذ كونتسلمان من هذه الاغنية ـ على حد قوله ـ عنواناً لمقاله: يعيش سام السوفياتي ويسقط العم سام»(٣٤٦).

ب ـ التعبئة الحديثة.. وبناء الجيوش العربية

قوّمت صحافة المانيا الاتحادية التحولات التي طرأت على هيكلية وبناء الجيشين المصري والسوري تقويماً موضوعياً. وعزت هذا التغيير الى النجاح الذي حققه العرب في استخدام السلاح السوفياتي الحديث. ان اهم تغيير طرأ على بناء الجيش في رأي هذه الصحافة هو ان الجنود في الجيش العربي كانوا من الطلاب ولم يكونوا من «الفلاحين» على عكس ما كان سائداً في حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧. ويقول فاينشتاين ان «جيش سيناء المصري يتكون من عدة الوف من الطلاب، ويتميزون بحضور البديهة والذكاء التقني، ويعرفون كيف

---

(٣٤٠) Ruehl, *Die Zeit*, (2 November 1973).

(٣٤١) المصدر نفسه.

(٣٤٢) DPA, report, *FAZ*, 15/10/1973, and Watts, (Reuters) in: *SZ*, 15/10/1973.

(٣٤٣) Körber, *Die Welt*, 17/10/1973.

(٣٤٤) Rissen, *Die Welt*, 16/10/1973.

(٣٤٥) *Der Spiegel*, no. 43 (22 October 1973), p. 116.

(٣٤٦) Konzelmann, *Die Zeit*, (19 October 1973).

كتبت صحيفة معاريف الاسرائيلية «قد يكون لدى العرب سام ٢ و سام ٣ وسام ٦ ولكننا نحن (الاسرائيليين) لدينا العم سام رقم ١» كما ورد في: *Der Spiegel*, no. 43 (22 October 1973), p. 113.

يستخدمون اسلحة الصواريخ الحديثة العديدة واجهزة الرادار والالكترونيك والآلات»(٣٤٧). ان الجنود «الذين يأمرهم «سعد الدين الشاذلي» والذين هم على استعداد ان يرموا انفسهم في النار، ليسوا من ابناء الفلاحين فقط». وتقول دير شبيغل «ان الوف طلاب (الجامعات) والمدارس الثانوية في الجيش المصري يستطيعون التعامل مع الاسلحة الحديثة»(٣٤٨). وقد تشرب «الجنود المتعلمون» هؤلاء روح العمل الجماعي. وكان الضباط من الشباب ايضاً(٣٤٩).

ان التقنية الحديثة واستعمالها لم تطبع النجاحات العربية في ١٩٧٣ فحسب، وانما كان هناك استعداد للقتال والالتزام بالنظام(٣٥٠). وقد درس الجنود بأن «المعركة ضد اسرائيل هي ليست مجرد نزهة وقد دُربوا تدريباً عسكرياً جيداً، وثقفوا تثقيفاً سياسياً عالياً، واظهر المصريون والسوريين روحاً هجومية غير معروفة عنهم من قبل»(٣٥١). فهم يحيطون «بأدق التفاصيل» وقادرون على التكتيك(٣٥٢)، بعكس الحروب السابقة «حيث كان الضباط يجبرون جنودهم على التقدم ضد اسرائيل»، اما في هذه الحرب «فقد قادوا جنودهم بصورة مثلى»(٣٥٣)، وهم ينفذون الاوامر بشكل منظم(٣٥٤). ووصف مونشهوزن وبوخالا الجنرال المصري الذي استقبلها في سيناء بأنه «نموذج للقائد المصري الحديث. فهو شاب ولا يحمل شارات مرتبته. ويفصله جيل عن جيل الباشوات ذوي الكروش والطرابيش التي قادت الجيش المصري عام ١٩٤٨»(٣٥٥). وقد استفاد هذا القائد من سنوات الانتظار الثلاث التي قضاها في سيناء ما بين حرب الاستنزاف عام ١٩٧٠ وحرب تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣ ليقرأ الآداب العالمية ومؤلفات اعدائه العسكرية»(٣٥٦).

ويقول فاينشتاين، لقد اصر «سعد الدين الشاذلي» رئيس اركان القوات المصرية على تزويد الجيش المصري بالصواريخ، لاستخدامها السهل «وحتى الاميين يستطيعون الضغط على الازرار». لذا فقد طبقت الخدمة العسكرية على الطلاب(٣٥٧). ويقول كونتسلمان ما قاله زميله فاينشتاين، ان الشاذلي والاسد استخلصا الدروس من حرب حزيران/ يونيو: وان سلاح الجو هو الذي يحسم النصر. لذلك اعادوا بناء نظام الدفاع الجوي بصواريخ سام ٦، «السلاح الاكثر فعالية في يد العرب» خاصة ان تدريب الطيارين السوريين والمصريين

---

(٣٤٧) Weinstein, *FAZ*, 16/10/1973.
(٣٤٨) *Der Spiegel*, no. 43 (22 October 1973).
(٣٤٩) Weinstein, *FAZ*, 16/10/1973.
(٣٥٠) المصدر نفسه.
(٣٥١) *Der Spiegel*, no. 42 (15 October 1973).
(٣٥٢) Münchhausen, *FAZ*, 15/10/1973.
(٣٥٣) *Der Spiegel*, no. 42 (15 October 1973).
(٣٥٤) *Der Spiegel*, no. 43 (22 October 1973).
(٣٥٥) Münchhausen, *FAZ*, 5/11/1973.
(٣٥٦) Buchalla, *SZ*, 5/11/1973.
(٣٥٧) Weinstein, *FAZ*, 18/10/1973.

الأسرى الاسرائيليين، ويظهر ذلك جلياً فيما تناولته في صفحاتها. إلا أنها لم تبد اي اهتمام او قلق حول مصير الأسرى العرب لدى الاسرائيليين. كما انها لم تأت على ذكر احوال الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين في السجون الاسرائيلية وقد بلغ عددهم آنذاك حسب احصائيات اللجنة الدولية للصليب الاحمر خمسة عشر الف سجين. إلا ان سوريا طلبت ان تعامل اسرائيل هؤلاء الأسرى الفلسطينيين على اساس ميثاق جنيف كشرط من شروط تبادل الأسرى الاسرائيليين بالسوريين.

وسوف نستعرض هذه الحملة في ضوء الكتابات الصحفية المتعلقة بتبادل أسرى الحرب السوريين والمصريين مع الاسرائيليين. وبالتالي فإننا نشرح صورة العرب هنا في ضوء تصور الصحافة الالمانية الغربية «للانسانية» العربية، خاصة وأن هذه الصحافة تدّعي حرصاً كبيراً على حقوق الانسان والانسانية.

١ ـ الدعاية ضد مصر

أ ـ الطيـارون الاسرائيـليون

أصدرت وزارة الخارجية المصرية يوم ١١ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ من نيويورك بياناً اعتبرت فيه الطيارين الاسرائيليين الذين وقعوا في الاسر المصري من مجرمي الحرب. وفي ١٩ تشرين الاول / اكتوبر أصدرت مصر بياناً آخر قالت فيه انها لن تعامل المتطوعين الاجانب الذين يقاتلون مع الاسرائيليين كجنود نظاميين، وإنما كمرتزقة. وقال البيان اذا وقع متطوعون آخرون أسرى لدينا فلن نعاملهم حسب ميثاق جنيف[٣٦٥].

وعلقت الصحف الألمانية الغربية على هذا القرار المصري، وأعلنت وقوفها فوراً الى جانب إسرائيل واحتجاجها ضد هذا القرار، وقالت صحيفة فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ ان اسرائيل قدمت احتجاجها الشديد على هذا القرار[٣٦٦]. وقال مراسلها موشيه تافور ان ردود الفعل في اسرائيل ضد بيان ١١ اكتوبر / تشرين الاول ١٩٧٣ صيغ بلغة «الاستهجان» وأن اسرائيل «صُدمت» لذلك القرار كما عبر عن ذلك م. شرودر مراسل صحيفة زود دويتشه تسايتونغ[٣٦٧].

وادّعت الصحف الالمانية الغربية بأن اسرائيل تؤيد الالتزام بميثاق جنيف، وأنها ستفضح «هذه المحاولة المشينة» مذكرة مصر بواجب الالتزام بميثاق جنيف لعام ١٩٤٩،

---

(٣٦٥) *FAZ*, 12/10/1973, and *SZ*, 25/10/1973.

(٣٦٦) *FAZ*, 12/10/1973.

(٣٦٧) Tavor, *FAZ*, 12/10/1973, and M. Schröder, *SZ*, 12/10/1973.

وطالبتها بحقوق أسرى الحرب الاسرائيليين، كما جاء في هذا الميثاق، وحمّلت مصر مسؤولية انتهاكه[٣٦٨]. وعلق ناطق باسم وزارة الخارجية الاسرائيلية على البيان الثاني المصري قائلاً: «بعدم وجود متطوعين في القوات الاسرائيلية»[٣٦٩].

وبالرغم من هذا التأييد الكامل الذي منحته صحافة المانيا الاتحادية للموقف الاسرائيلي الذي ادّعى بأنه يلتزم بميثاق جنيف، إلّا أن اللجنة الدولية للصليب الأحمر أعلنت بأن اسرائيل لم تلتزم بشكل تام بذلك الميثاق. ورغم ان كلاً من مصر وسوريا والعراق أعلنت موافقتها على مشروع للجنة الدولية للصليب الأحمر حول معاملة أسرى الحرب، إلّا ان اسرائيل رفضت ان توافق عليه[٣٧٠]. كما رفضت قبول البروتوكول الاضافي الملحق بميثاق جنيف والمتعلق بحظر شن الهجمات الجوية على الاهداف غير العسكرية. وقد أكّد هذا الموقف ممثل اللجنة الدولية للصليب الاحمر امام صحيفة فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ[٣٧١].

ب ـ تبادل الأسرى مع مصر

بدأ المصريون والاسرائيليون مفاوضاتهم للحفاظ على وقف اطلاق النار عند الكيلومتر ١٠١ على طريق القاهرة ـ السويس، حيث أُدرج موضوع تبادل أسرى الحرب ايضاً. وكان اول شرط ينص على انسحاب القوات الاسرائيلية الى خطوط ٢٢ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣، وينص الشرط الثاني على فتح ممر للجيش الثالث المحاصر في سيناء عبر الاراضي المصرية التي احتلتها اسرائيل على الضفة الغربية للقناة، والسماح بتموين هذا الجيش. إلّا أن الصحافة اكّدت وشددت على ان اسرائيل ضغطت في هذه المفاوضات على تبادل الأسرى. وكان اول شرط وضعته رئيسة وزراء اسرائيل السابقة غولدا مائير، ينص على تبادل الأسرى، والثاني وقف عمليات الفدائيين الفلسطينيين، والشرط الثالث أصرّت فيه اسرائيل على تفسيرها لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧، ويُفهم منه مطالبتها بالانسحاب «من أراضٍ محتلة»، وليس من «الاراضي المحتلة» مثلما تفسره الدول العربية[٣٧٢]. ويعتقد تافور بأنّ حل مشكلة تزويد الجيش المصري وتبادل الأسرى كانا شرطين مسبقين للسير قُدماً في طريق السلام[٣٧٣].

---

(٣٦٨) Schröder, *SZ*, 12 / 10 / 1973. غطت الصحف الاخرى هذه الانباء بطريقة مشابهة.
(٣٦٩) *FAZ*, 25/10/1973.
(٣٧٠) *FAZ*, 26/10/1973.
(٣٧١) Vocke, *FAZ*, 20/12/1973.
(٣٧٢) M. Schröder, *SZ*, 23/10/1973, and *Die Welt*, 19 and 23/10/1973.
(٣٧٣) Tavor, *FAZ*, 1/11/1973.

وقد قوّمت الصحافة الالمانية الغربية موقف اسرائيل لأنها ـ على العكس من مصر وسوريا ـ كانت البادئة بتسليم لائحة بأسماء أسرى الحرب المصريين والسوريين الى اللجنة الدولية للصليب الاحمر في ٢٤ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣(٣٧٤). وقد اعتبرت هذه الصحافة طلب اسرائيل من مصر وسوريا تسليم لائحة بأسماء اسرى الحرب الاسرائيليين الى اللجنة الدولية للصليب الاحمر دليلاً على الموقف الانساني لاسرائيل(٣٧٥).

وأعرب ناتورب من صحيفة فرانكفورتر الجماينة تساينونغ عن غضبه لأن مصر لم تقدم لائحة شاملة بأسماء أسرى الحرب الاسرائيليين. وكتب يقول . . بأن استغلال الأسرى سياسياً من جانب مصر أمرٌ «لا يمكن تفسيره». ويتساءل فيما اذا كان لدى مصر ما تخفيه فيما يتعلق بمعاملة الاسرى الاسرائيليين؟ لذلك كان انزعاج الاسرائيليين لهذا التصرف المصري امراً مشروعاً(٣٧٦). وقال موشيه تافور أيضاً إن الاسرائيليين منزعجون ومتخوفون لمصير أسراهم(٣٧٧). ولكن عندما تلكأت اسرائيل في الافراج عن الأسرى العرب وقفت الصحافة الالمانية الغربية هذه الى جانبها، وسوغت تصرفها. حتى أن الرفض الاسرائيلي حول تسليم ثلاثين مصرياً جريحاً سوغته هذه الصحافة بتوجيه اللوم الى «أعداء اسرائيل العرب لرفضهم التعاون في حل المشكلة الانسانية للأسرى»(٣٧٨).

وقد استغلت الحكومة الاسرائيلية مسألة الأسرى في مصلحتها، واستهلكته في حملات الانتخابات القادمة للكنيست. وفي هذا الصدد يقول شرودر: لقد استطاعت مائير «ان تخلق ظرفاً سياسياً ناجحاً لها لأنها اعتبرت تبادل الاسرى المسألة الاساسية في الحرب»(٣٧٩). وأشارت الصحافة الى تحول هذه المسألة الى حدث سياسي داخلي يرتبط بتبادل الاسرى بين مصر واسرائيل. وكتب موشيه تافور في تقريره تحت عنوان «اسرائيل هائجة حول قتل الاسرى» قال فيه « أن حزب ليكود المعارض أخذ يطالب بجلسة استثنائية للكنيست الاسرائيلي لمناقشة «قتل الجنود الاسرائيليين» في الاسر المصري والسوري ولوضع المسألة امام الرأي العام الاسرائيلي لإطلاعه عليها. وأن اسرائيل تؤكد اتهاماتها وقد قدمت الى اللجنة الدولية للصليب الاحمر لائحة بأسماء جنودها الذين «قتلوا

---

(٣٧٤) حتى يوم ٢٣ / ١٠ / ١٩٧٣ كانت اسرائيل قد قدمت لائحة باسماء ١٦٤١ اسيراً مصرياً للجنة الدولية للصليب الاحمر. M. Schröder, *SZ*, 29/10/1973. وقالت فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ ان ممثل الصليب الاحمر استطاع ان يزور الاسرى الاسرائيليين. وان مصر سلمت لائحة بأسماء ٨٥ اسيراً اسرائيلياً للصليب الاحمر. انظر: *FAZ*, 1/11/1973.

(٣٧٥) *SZ*, 18/10/1973.

(٣٧٦) Natorp, *FAZ*, 30/10/1973.

(٣٧٧) Tavor, *FAZ*, 30/10/1973.

(٣٧٨) M. Schröder, *SZ*, 29/10/1973.

(٣٧٩) M. Schröder, *SZ*, 19/11/1973.

وشوهوا»(٣٨٠). اسرائيل تتخوف كما يقول تافور، من ان الدول العربية تتخذ من مسألة الأسرى سبباً «للضغط السياسي» او للقيام «بصفقة ما». وكانت ترى حسب رأي شرودر أن تتم معالجة هذه المسألة بشكل منفصل(٣٨١).

وقد لجأ صحفيون آخرون الى تحليل الاسباب الكامنة وراء طلب اسرائيل معالجة مسألة تبادل الأسرى بشكل منفصل. إذ ان هذه المسألة بالنسبة الى اسرائيل «موضوع يتميز بأهميته الرئيسية»(٣٨٢) ويحتل «الدور الاول» في المفاوضات بين اسرائيل ومصر وسوريا(٣٨٣). وهذه المسألة هي «المسألة الملحة المشحونة بالعاطفة»(٣٨٤) بالنسبة إلى الرأي العام الاسرائيلي، ولها أهميتها الخاصة المرتبطة بالسياسة الداخلية في اسرائيل نظراً لقرب انتخابات الكنيست القادمة والقريبة، والتي كان من المفروض ان تُجرى في نهاية تشرين الاول / اكتوبر إلاّ انها أُرجئت حتى نهاية كانون الاول / ديسمبر بسبب الحرب. لذلك أخذت الحكومة الاسرائيلية في حسبانها أثَر هذه المسألة في الانتخابات. وانها إذا لم تعمل بصورة جادة للتبادل الفوري للأسرى فإنها ستخسر الانتخابات لصالح المعارضة اليمينية لحزب الليكود. ويقول شرودر اراد الليكود ايضاً ان يستغل هذه المسألة للحصول على «رأسمال سياسي»(٣٨٥). وحلّل جوزف ريد ميللر السبب الثاني لهذه المسألة، التي لم تكن اسرائيل تثيرها لا (لأسباب انسانية) كما تدّعي، وانما لوجود عدد كبير بين الأسرى من الطيارين الذين تعتبرهم اسرائيل «أثمن جنودها وتريد استرجاعهم بأسرع وقت ممكن»(٣٨٦).

وقد أعرب الصحفيون عن رضاهم وانفرجت أساريرهم عندما وافقت مصر على تسليم لائحة بأسماء الأسرى الى اللجنة الدولية للصليب الاحمر بعد اتفاق اسرائيل ومصر أخيراً على تبادل الأسرى(٣٨٧).

---

(٣٨٠) Tavor, *FAZ*, 11 / 12 / 1973. ويقول تافور ايضاً ان مصر اتهمت اسرائيل بتعذيب وقتل اسراها ومدنييها.

(٣٨١) M. Schröder, *SZ*, 29/10/1973.

(٣٨٢) Tavor, *FAZ*, 1/11/1973.

(٣٨٣) Friedmiller, *SZ*, 16/11/1973.

(٣٨٤) Tavor, *FAZ*, 1/11/1973.

(٣٨٥) M. Schröder, *SZ*, 30/10/1973.

(٣٨٦) Friedmiller, *SZ*, 16/11/1973.

(٣٨٧) ذكر احمد انيس الناطق باسم الحكومة المصرية يوم ٤ / ١١ / ١٩٧٣، ان بلاده قد بدأت يوم ٣١ / ١٠ / ١٩٧٣ بمبادلة الأسرى الاسرائيليين من جانب واحد. انظر: *SZ*, 5 / 11 / 1973; Buchalla, *SZ*, 31 / 10 / 1973; *FAZ*, 31 / 10 / 1973, and *Die Welt*, 31 / 10 / 1973.

اتفقت مصر واسرائيل على أربع من ست نقاط مختلف عليها في اتفاقية وقف اطلاق النار. وقد جرى تبادل أسرى الحرب الجرحى اولاً. أما النقاط الاربع فكانت تنص على تزويد سكان مدينة السويس بالمواد التموينية، واخلاء المدنيين الجرحى من المدينة، وتموين القوات المصرية المحاصرة على الضفة الشرقية من القناة، وتسليم نقاط المراقبة الاسرائيلية القائمة على الجزء الشرقي من طريق القاهرة ـ السويس الى قوات الامم المتحدة(٣٨٨).

وبالرغم من نصوص هذه الاتفاقية فقد حاولت غولدا مائير ان تناور لتحقيق بعض المكاسب على جبهتها الداخلية. وأعلنت في الكنيست بأن خطوط ٢٢ تشرين الاول / اكتوبر مجرد خطوط وهمية على العكس مما جاء في الاتفاقية. واشترطت اجراء مبادلة فورية بين أسرى الحرب قبل تموين قوات الجيش الثالث المصري المحاصرة على الضفة الشرقية. وصف بوخالا ردود الفعل العربية بأنها «صرخة من الغضب» ضد الاشتراط الاسرائيلي وقد اعتبر انتهاكاً للاتفاقية(٣٨٩).

وقد اقامت الحكومة الاسرائيلية «مركزاً للمفقودين» في تل ابيب من اجل مساعدة العائلات الاسرائيلية في البحث عن ابنائها وأقربائها الذين وقعوا في الأسر. وقد وصف الصحفيون الألمان الغربيون في هذا المركز حزن تلك العائلات(٣٩٠). وكانوا يهدفون الى كسب العطف على الأسرى الاسرائيليين. إلاّ ان الحكومة الاسرائيلية اضطرت ان توافق أخيراً على تزويد الجيش المصري الثالث المحاصر بالمواد التموينية بالرغم من معارضة الرأي العام الاسرائيلي، الذي اراد ان يستغل هذه الورقة كعامل ضغط على الحكومة المصرية التي سبق لها أن اصدرت لائحة أخرى بأسماء ٤٨ أسيراً اسرائيلياً(٣٩١). وكان الصحفيون الالمان يرون بأن ألم الاسرائيليين وحزنهم أكبر من ألم الآخرين وحزنهم(٣٩٢). وهذا يعني تجدّد حزن العائلات الاسرائيلية(٣٩٣).

وقد أعرب انجو فون مونش في (صحيفة دي تسايت) عن غضبه على الاسرائيليين والمصريين على حد سواء لأنهم لم يقوموا بتبادل الأسرى بصورة مبكرة. وهو يجد نقصاً في موقف الطرفين «في الارادة السياسية والانسانية». اذ ان الاحتفاظ بأسرى الحرب «كرهائن سياسية يعتبر مؤشراً لا على عدم التسامح فحسب وانما يؤشر ايضاً على العودة الى اللاانسانية»(٣٩٤).

---

(٣٨٨) *FAZ*, 15/11/1973.

(٣٨٩) Buchalla, *SZ*, 15/11/1973.

(٣٩٠) Hirschmann, *Die Welt*, 30/10/1973.

(٣٩١) المصدر نفسه.

(٣٩٢) *SZ*, 23/11/1973.

(٣٩٣) Odin, *FAZ*, 16/11/1973.

(٣٩٤) Münch, *Die Zeit*, (9 November 1973).

وبكثير من الحماس هللت الصحف بعد هذا لعملية تبادل الأسرى بين مصر واسرائيل و«لأول مرة منذ قيام الدولة الاسرائيلية» يمارس الاتصال المباشر بينها وبين مصر، حيث أخذت الطائرات الخاصة باللجنة الدولية للصليب الاحمر تنقل الأسرى بين القاهرة وتل أبيب. وقد أطرت الصحافة كليهما[٣٩٥]. إلّا أن أودين كان يرى عكس ما رآه مونش من ان تبادل الأسرى جرى بأسرع مما كان يتوقع، وفسّر أودين هذا الاسراع بتبادل الأسرى كإشارة من القاهرة وتل أبيب على حد سواء بأنهما «يرغبان في تخفيف حدة التوتر بين البلدين»[٣٩٦]. وقد أبدت كل من مصر واسرائيل «موقفاً انسانياً لا يمكن لنا ن نقلل من أهميته» في قبولهما إنهاء هذه المشكلة مما أدى الى تخفيف سورة الشكوك[٣٩٧] لأول مرة بين البلدين ولو بصورة مبسطة. وبالطبع فإن هذا الموقف سيؤدي الى تغيير «صورة العدو»[٣٩٨] بين الطرفين. لقد ترك اندلاع الحرب تأثيره على الوضع السياسي الداخلي في اسرائيل وقد خفف تبادل الأسرى «لأول مرة من حدة التوتر بصورة ملموسة وكان مستقبلو الأسرى تعلو أساريرهم المسرة والبشر[٣٩٩].

٢ ـ الدعاية ضد سوريا

على الرغم من أن سوريا بادرت الى الاعلان في نهاية تشرين الاول / اكتوبر عن استعدادها لتقديم لائحة بأسماء الأسرى الاسرائيليين الى اللجنة الدولية للصليب الاحمر، إلّا أن الصحف الالمانية الاتحادية كانت تعكس ما يسود اسرائيل من خوف وخشية حول الأسرى[٤٠٠]. وقد اتهمت صحيفة فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ[٤٠١] سوريا بموقفها الرافض لتبادل الاسرى اكثر من مرة أو أنها «أخّرت» تنفيذه، حسب زعم جريدة دي فلت[٤٠٢]. ووصفت دير شبيغل موقف سوريا بالموقف العنيد[٤٠٣]. وفي نهاية المطاف عمدت هذه الصحف الى تبني الرواية الاسرائيلية لتفسر هذا «الرفض» أو «التأخير» السوري مدعية بأن سببه يرجع الى «سوء المعاملة التي لقيها الأسرى الاسرائيليون في الأسر العربي»[٤٠٤]. وأبرزت شكاوى اسرائيل حول التعذيب المزعوم. أما جريدة زود دويتشه تسايتونغ فقد تبرعت لتؤكد بأن

---

(٣٩٥) Tavor, *FAZ*, 16/11/1973.
(٣٩٦) Odin, *FAZ*, 16/11/1973.
(٣٩٧) Tavor, Ibid.
(٣٩٨) Friedmiller, *SZ*, 16/11/1973.
(٣٩٩) Tavor, Ibid.
(٤٠٠) Tavor, *FAZ*, 30/10/1973.
(٤٠١) *FAZ*, 16/10/1973.
(٤٠٢) *Die Welt*, 17/11/1973.
(٤٠٣) *Der Spiegel*, no. 46 (12 November 1973).
(٤٠٤) *FAZ*, 13/11/1973.

«اسرائيل قدمت للصليب الاحمر اثباتات حول ما قامت به سوريا من تعذيب وقتل للأسرى»(٤٠٥). كما عرضت دي فلت «الفظائع السورية»(٤٠٦) وكتبت حول هذا الموضوع في ٢٩ كانون الاول / ديسمبر ١٩٧٣ بعنوان «(إن جندياً اسرائيلياً) قتل لأنه سار ببطء نحو آسريه»(٤٠٧). انها «صورة حية من الهزال» كما يصف شيفه الأسرى الاسرائيليين في الأسر السوري. وقد أبدى حزنه وتخوفه حول مصير اولئك الأسرى الاسرائيليين لدى السوريين، وأن هذا الخوف ـ كما يقول ـ نابع من تلك الصورة في مخيلتهم عن زملائهم الذين سبقوهم الى الأسر في حرب ١٩٦٧، الذين أرسلوا بعد تسليمهم الى «عيادات نفسية لأنهم جُنّوا نتيجة تعذيبهم»(٤٠٨).

تغيبت سوريا عندما بدأت المفاوضات في جنيف الخاصة بحرب تشرين الاول / اكتوبر، بينما اشتركت مصر واسرائيل، واستُغل تغيب سوريا لإبداء القلق والخوف حول مصير الأسرى الاسرائيليين، ولم يتم التطرق الى ذكر أي أمر حول الأسرى السوريين لدى اسرائيل. إن احجام سوريا عن الجلوس الى طاولة المفاوضات في جنيف كما يقول فوكه أثار اهتماماً خاصاً بوضع الشرق الاوسط وخاصة مصير الأسرى الاسرائيليين لدى السوريين(٤٠٩). وأثارت «جورنال دي جنيف»، الصحيفة السويسرية، الوضع الصحي والجسدي للأسرى الاسرائيليين، هذا اذا كانوا لا يزالون على قيد الحياة. لأن بعضهم ـ كما تقول الجريدة ـ كان نصيبه القتل على يد القوات العراقية والمغربية في سوريا. ولكن القنصل السوري في جنيف اعلن في مقابلة أجرتها معه صحيفة فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ بأن الاتهامات الموجهة ضد سوريا هي جزء من الحملة الدعائية الاسرائيلية. وقال ان بلاده شرحت موقفها حول هذا الموضوع في مذكرة ارسلتها بتاريخ ١٤ كانون الاول / ديسمبر الى اللجنة الدولية للصليب الاحمر. وجاء في المذكرة:

«إن جميع الروايات حول ما يسمى بسوء المعاملة او قتل أسرى الحرب الاسرائيليين في سوريا تعتمد على مصادر إسرائيلية. ولم يقدم الاسرائيليون أبداً أية براهين، تثبت اتهاماتهم هذه. وأن استشهاد اسرائيل بأقوال مزعومة لأسرى الحرب يثبت بأنها انتهكت ميثاق جنيف إذ أن المادة ١٧ من الميثاق الثالث يسمح فقط بسؤال أسرى الحرب عن اسمهم، ورتبتهم، وتاريخ مولدهم ورقمهم العسكري. إلا ان اسرائيل تحاول ممارسة الضغط والتعذيب لإجبار أسرى الحرب السوريين على تقديم معلومات وهمية»(٤١٠).

ولكي يتم تبادل الأسرى بين اسرائيل وسوريا، طلبت سوريا من اسرائيل أن تلتزم

---

(٤٠٥) *SZ*, 9/11/1973.

(٤٠٦) *Die Welt*, 14/12/1973.

(٤٠٧) *Die Welt*, 29/12/1973.

(٤٠٨) Schewe, *Die Welt*, 31/10/1973.

(٤٠٩) Vocke, *FAZ*, 20/12/1973.

(٤١٠) المصدر نفسه.

التزاماً دقيقاً بميثاق جنيف. وأعلنت الشروط التي تضعها لإجراء عملية التبادل وهي:

أ ـ انسحاب القوات السورية والاسرائيلية الى خطوط وقف اطلاق النار كما كانت يوم ٢٢ / ١٠/ ١٩٧٣.

ب ـ اعادة السكان السوريين البالغ عددهم خمسة عشر ألف نسمة، الى الاراضي السورية التي احتلتها اسرائيل في حرب ١٩٧٣. وكان السكان قد هربوا خلال الاحتلال.

ج ـ على اسرائيل ان تسلم الى سوريا جثث الجنود السوريين الذين استشهدوا في الحرب.

د ـ اعتراف اسرائيل بأن الفدائيين الفلسطينيين المأسورين لديها من أسرى الحرب(٤١١). وقد تفردت سوريا بمطالبة اسرائيل بقبول البند الرابع اي معاملة الأسرى الفلسطينيين على اساس ميثاق جنيف الخاص بالحرب.

هذا وقد أعربت الصحافة اخيراً عن رضاها للاتصالات التي تمت بين اسرائيل وسوريا لمناقشة موضوع أسرى الحرب. وقد حاول كلا الطرفين ان يتجاوب مع «القوانين الانسانية» إذ أن هذه الاتصالات «تخدم المشاعر الانسانية» وتخفف من خطر نشوب قتال جديد، كما قال كارل ألفرد اودين(٤١٢).

رابعاً: تقويم دور القادة السياسيين: «الراديكاليين» و«المحافظين»

عالجنا في الفصل السابق ما طرأ من تغيير على الصورة العربية نتيجة لاندلاع الحرب الشرق اوسطية الرابعة. وبيّنا ايضاً كيف تنسب صحافة ألمانيا الاتحادية «الفضائل» للاسرائيليين خلال المقارنة بين صورة الاسرائيليين وصورة العرب. وفي هذا الفصل سنبيّن صورة العرب كما جاءت في هذه الصحافة على مثال الصور التي رسمتها للقادة العرب الرئيسين انور السادات، وحافظ الاسد، والملكين فيصل والحسين وقد وصفتهم بالقادة المعتدلين او المحافظين لأنهم يقفون في خط معارض للراديكاليين. وادّعت هذه الصحافة بأنهم يحاولون ايضاً انقاذ بلادهم من «التحالف المفروض عليهم» مع الاتحاد السوفياتي، او الاعتماد عليه. لذلك فهم بحاجة ـ كما تقول هذه الصحافة ـ الى دعم «الدول الديمقراطية

---

(٤١١) *Die Welt*, 19/11/1973, and *FAZ*, 17/11/1973. الشرط (١) كان مدار البحث في محادثات فك الارتباط، الشرط (٢) و (٣) وافقت عليهما اسرائيل اما الشرط (٤) فقد رفضته.

(٤١٢) Odin, *FAZ*, 16/11/1973.

الغربية». أما «المحافظون» بين القادة المعتدلين، فقد استحقوا مدحها وثناءها لأنهم يؤيدون بناء نظام اقتصادي رأسمالي وتخفيف حدة التأميمات التي «فرضها الساسة اليساريون.» وقالت ايضاً ان ميزان القوى في الشرق الاوسط مرتبط باستمرارية توازن القوى بين الدول العربية الراديكالية والمحافظة[٤١٣].

١ ـ السادات : الليبرالي الواقعي

لم يحصل اي من قادة الدول العربية على احترام ومديح وتقدير وثناء من الصحافة الالمانية الغربية مثلما حصل عليه السادات، فقد قارنت بين سياسته وممارساته وسياسة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، التي راحت تنتقدها بشدة. وركّزت تقويمها الايجابي على السادات «البرجوازي»[٤١٤] «وحلّال المشاكل»[٤١٥] و «المنفتح على الغرب»[٤١٦] و«السياسي المحافظ اساساً»[٤١٧] و«الليبرالي الواقعي»[٤١٨]. فقد ترك عبد الناصر المصريين والعرب في حالة من «الإذلال»[٤١٩]، وفقد الشعب المصري بملايينه الاربعة والثلاثين بعد وفاته. «وعيه الذاتي الوطني»[٤٢٠]. ولم تكتف هذه الصحافة بمقارنة سياسة السادات وممارساته بسياسة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وانما عقدت مقارنة مماثلة أيضاً بسياسة الرئيس الليبي العقيد معمر القذافي وممارساته، وقد نعتته «بالديكتاتور»، بينما وصفت السادات بالسياسي الليبرالي. والحقيقة ان هذه الصحافة كانت تضع صفة «الديكتاتور» امام اسم الرئيس القذافي في اغلب الاحايين كلما ورد ذكره على صفحاتها، وقد هاجمت دير شبيغل القذافي الذي يعلن نفسه «ولياً للتراث العربي» امام الرأي العام، وأنه «يحلم بامبراطورية عربية كبيرة» لذا فانه يتهم «منافسه السادات بالخيانة والجبن»[٤٢١] لأنه، اي القذافي، «لم يوافق على الطريقة التي اديرت بها الحرب ولا على النهاية التي وصلت اليها»[٤٢٢].

وتقوّم صحافة المانيا الاتحادية تقويماً عالياً الإنجازات التي حققها السادات وتنتقد تلك الانجازات التي تم تحقيقها في زمن سلفه الرئيس الراحل عبد الناصر. ويدّعي كوربر

---

(٤١٣) D. Shröder, *SZ*, 15/10/1973.
(٤١٤) Held, *FAZ*, 8/10/1973.
(٤١٥) Reissmüller, *FAZ*, 12/10/1973.
(٤١٦) Vocke, *FAZ*, 17/11/1973.
(٤١٧) D. Schröder, *SZ*, 15/10/1973.
(٤١٨) *Der Spiegel*, no. 43 (22 October 1973).
(٤١٩) Korber, *Die Welt*, 17/10/1973.
(٤٢٠) Held, *FAZ*, 8/10/1973.
(٤٢١) *Der Spiegel*, no. 48 (26 November 1973), p. 106.
(٤٢٢) المصدر نفسه.

مراسل دي فلت اليمينية بأنّ الجماهير قبل صعود السادات الى السلطة كانت تعبأ «بالموسيقى العسكرية وتطالب بالثأر» وكانت تسّحر «باخبار الانتصارات الوهمية»، بينما لم تكن تلك الانتصارات في الحقيقة سوى «هزائم مأساوية». ويضيف كوربر مدعياً بأن «هذه الاوهام ليس لها وجود اليوم»، فقد حل التفاؤل مكان المذلة، ونجح الرئيس السادات في انجاز «ثورة صغيرة» وهي «تثمر الآن لأول مرة»(٤٢٣). وادّعى صحفيون آخرون بأن السادت أول رئيس عربي ينفذ وعداً قطعه على نفسه امام شعبه(٤٢٤). وقد وعدهم دائماً بالعودة الى سيناء. وها هو اليوم يحقق وعده لهم. وقد اصبح البطل بين عشية وضحاها في العالم العربي كله، «لأنه اطفأ من ذاكرة العرب الهزيمة المنكرة لعام ١٩٦٧»(٤٢٥). وأصبح بعد ان اظهر مهارته السلطوية ضد «اكثر اصدقاء العرب كرهاً» ـ اي الاتحاد السوفياتي ـ اكثر «رجل له شعبية في العالم العربي»(٤٢٦). ولتؤكد ذلك استشهدت دير شبيغل بجملة نشرت في مجلة «جون افريك» لأحد الكتّاب التونسيين، بشير بن يحمد، الذي كتب يقول «اكثر ورقة رابحة لمصر وللعرب في ١٩٧٣ كانت هي اختفاء وجود عبد الناصر»(٤٢٧). فقد اعاد السادات «شرف وكرامة» العرب كما استطاع ان يحطم اسطورة عجز العرب عن هزيمة اسرائيل(٤٢٨). حتى بعد تحديد الاسرائيليين لمسار الحرب. ويقول كونتسلمان بغضّ النظر عن كيفية ابتداء الحرب وانتهائها فإن السادات قد «اصبح المنتصر في هذه الحرب حتى قبل ان يسكت السلاح»(٤٢٩).

انه «مسلم متدين» «ويبني ممارساته وقراراته على التعاليم النبوية»(٤٣٠). لقد انتخب السادات بعد موت عبد الناصر باعتباره «المرشح الوسط». وقد سخر العالم العربي من «كونه ساحراً»، وأساء الغرب تقويمه ودعاه «شخصية صورية»، ولكنه اثبت بالفعل بأنه « ديبلوماسي ورجل دولة ماهر »(٤٣١). وبالرغم من حديثه عن «اقتصاد الحرب» الا انه

---

(٤٢٣) Körber, *Die Welt*, 17/10/1973.

(٤٢٤) *Der Spiegel*, no. 43 (22 October 1973), p. 126; Konzelmann, *Die Zeit*, (19 October 1973), and Venzky, *Die Zeit*, (26 October 1973).

(٤٢٥) المصدر نفسه.

(٤٢٦) *Der Spiegel*, no. 42 (15 October 1973). هذا وتدعي دير شبيغل بأنها اخذت وصف الاتحاد السوفياتي بأنه «اكثر اصدقاء العرب كرهاً» من صحيفة الحياة اللبنانية.

(٤٢٧) *Der Spiegel*, no. 43 (22 October 1973).

(٤٢٨) Venzky, *Die Zeit*, (26 November 1973).

(٤٢٩) Konzelmann, *Die Zeit*, (19 October 1973), and *Der Spiegel*, no. 43 (22 October 1973).

(٤٣٠) *Der Spiegel*, no. 42 (15 October 1973), p.125. وادعت هذه المجلة بأن هذا التطور اقلق مجلة هوريتسونت (Horizont) القريبة من مصادر وزارة الخارجية في المانيا الديمقراطية لأنه موجه ضد الانجازات التقدمية للاشتراكية العربية، ولأن للسعودية دوراً كبيراً في هذا المجال.

(٤٣١) *Der Spiegel*, no. 43 (22 October 1973), p. 125.

«حرر التجارة من القيود»، «وسمح بسحب العملة لشراء المواد الغذائية»(٤٣٢)، و«اطلق سراح ٦٢٠ معتقلاً سياسياً، وأدان اساليب الدولة البوليسية السابقة (تحت قيادة سلفه عبد الناصر)(٤٣٣)، كما اعاد للملكية الخاصة المرافق التي تم تأميمها وسمح بادخال المطبوعات الغربية الى مصر. وقاد مصر من «القومية العربية العدائية» التي قادها عبد الناصر الى «الوطنية البنّاءة المصرية،» وغيّر اسم «الجمهورية العربية المتحدة» الى «جمهورية مصر العربية» واسم «شركة الطيران العربية المتحدة» الى «طيران مصر»(٤٣٤)، وتصالح مع الملك حسين والملك فيصل: «القادة المحافظين في العالم العربي.» وحصل من الملك فيصل ومن امراء الخليج الآخرين على «الثقة والمساعدة» وأعاد الالفة هو والرئيس الاسد مع الملك حسين، فاجتمع ثلاثتهم في القاهرة في شهر ايلول / سبتمبر. وتقول دير شبيغل في هذا الصدد بأن قادة العرب ينظرون اليه «باحترام» لأنه لم يكن يريد ان « يفرض ارادته عليهم او ان يتكلم بالنيابة عنهم. فهو لا يحلم بخلافة جديدة مثلما كان يحلم عبد الناصر او مثلما يفعل القذافي. وهو ليس ناسكاً مثل الرئيس الجزائري بومدين ولا محافظاً ثرياً مثل الملك فيصل ملك العربية السعودية. إنه ليبرالي واقعي»(٤٣٥). ومن مصلحة الدول العربية ابقاء السادات في السلطة لأنه «اساساً محافظ مثلهم» بينما «الثوريون» قد يستفيدون بتقوية معسكرهم فيما لو انهزمت مصر واتجهت يساراً(٤٣٦).

ويمتدح عدد كبير من الصحفيين موافقة السادات على قبول اتفاقية وقف اطلاق النار. ويصورون سياسته بأنها تهدف الى تحقيق السلام. على عكس العرب او الدول العربية التي «اقامت الدنيا ولم تقعدها» حول وقف النار. وقد اختط السادات ـ كما يراه هيغرت ـ الطريق العقلاني لأنه اختط الطريق السلمي. فلم يسمع عن السادات أنه رفع شعارات الحرب او شعارات السلام، ويبدو انه لا يهدف الى تثبيت وقف اطلاق النار فحسب، وإنما ايضاً، الى تثبيت السلام(٤٣٧).

ولقد اثارت سياسته «التي يبدو منها انها تشق الطريق لاتصالات سلمية بشكل جدّي مع اسرائيل»(٤٣٨) اتهام القذافي للسادات وحكومته «بالخيانة»(٤٣٩). وانتهز الصحفيون الألمان

---

(٤٣٢) Konzelmann, *Die Zeit*, (19 October 1973).
(٤٣٣) *Der Spiegel*, no. 43 (22 October 1973).
(٤٣٤) المصدر نفسه، ص ١٢٦.
(٤٣٥) المصدر نفسه.
(٤٣٦) D. Schröder, *SZ*, 15/10/1973.
(٤٣٧) Heigert, *SZ*, 25/10/1973.
(٤٣٨) Vocke, *FAZ*, 17/11/1973.
(٤٣٩) Venzky, *Die Zeit*, (26 October 1973).

الغربيون الموقف الليبي لمهاجمة الرئيس القذافي ونعته «بالدكتاتور» او «المحرض الاول في السنوات الاخيرة»(٤٤٠). ويعتبر هيغرت ان اعظم مفاجأة في هذه الحرب هو عدم اشتراك القذافي فيها بينما خاضتها مصر وسوريا «حتى آخر مخاطرة من الدمار الذاتي»(٤٤١). وقد حذر ديتر شرودر في بداية الحرب من ان السادات لو خسر الحرب «فإن العرب سيرتمون في احضان الديكتاتور القذافي»(٤٤٢). وقد برر الصحفيون للسادات اي اجراء يتخذه من اجل ألّا يستفيد القذافي. ويقول فينسكي عندما استدعى السادات الاحتياط لمواجهة وقف اطلاق النار المتأرجح «انه فعل ذلك ليحافظ على ماء وجهه»(٤٤٣). ويقدر فوكه تقديراً عالياً محاولات مد يد السادات السلمية الى الاسرائيليين ويصفها بأنها مهمة صعبة ولربما اصعب من تلك التي تواجه غولدا مائير لأن السادات «ما يزال رهينة عواطف مواطنيه» أكثر من رئيسة وزراء اسرائيل التي «يجب عليها ايضاً ان تأخذ بعين الاعتبار الاتجاهات غير العقلانية في بلادها»(٤٤٤). ويذكر فوكه العرب كم هي صعبة هذه الخطوة بالنسبة الى السادات وهذا ما لا يفكر فيه الغرب ذلك لأن «صورة النزاع حول فلسطين في الغرب كانت متأثرة بتفسير متحيّز»(٤٤٥). وأن المشقة بالنسبة الى السادات ستكون مضاعفة وهو يشرح لشعبه الفوائد التي سيجنيها من «سياسة الانفتاح على الغرب» والتي سيكون في النهاية هدفها السلام مع اسرائيل»(٤٤٦).

إن سياسة السادات ـ حسب ادعائه ـ خلقت «توازناً» في علاقاته بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية. وقد حظيت هذه السياسة بترحيب وتعاطف الصحفيين الذين اعتبروها خطوة تحررية «من الضغوطات السوفياتية»، وبالتالي فإن استبعاد العناصر السياسية اليسارية من السياسة المصرية هو تصرف «حميد» عاد على السادات بالثناء والمديح. وقد وبخ الصحفيون الغرب، لأنه لم يأخذ هذا التغيير على محمل الجد كنتيجة للسياسة الساداتية. وشددت الصحافة على الخلافات بين المصريين والسوفيات الى حد ان ليس هناك من شيء مشترك بين الشعبين.

وتقول مجلة دير شبيغل ان صورة السوفيات في مصر «كما في سوريا» غير جيدة. إنها صورة: «الروسي الكريه» إذ أن هناك بوناً بين عقلية الشعبين، «فالانسان السوفياتي ـ وهو قليل الكلام في الغالب، ذو الشعر القصير وقبة القميص المفتوحة ـ يختلف اختلافاً كبيراً عن العربي المليء بالحيوية

---

(٤٤٠) Helgart, *SZ*, 16/10/1973.

(٤٤١) المصدر نفسه.

(٤٤٢) D. Schröder, *SZ*, 9/10/1973.

(٤٤٣) Venzky, *Die Zeit*, (26 October 1973).

(٤٤٤) Vocke, *FAZ*, 1/11/1973.

(٤٤٥) Vocke, *FAZ*, 17/11/1973.

(٤٤٦) المصدر نفسه.

والسريع باقامة الاتصالات»[٤٤٧]. وتضيف دير شبيغل بأن السوفيات «يسيرون في الشارع دائماً بصورة جماعية ويظهرون تفهماً قليلاً للتفاصيل الحياتية المعهودة لدى العرب ويبدو انهم لا يعرفون البقشيش.» وتدّعي دير شبيغل بأن المستشارين السوفيات توصلوا الى النتيجة نفسها التي توصل اليها المستشارون الغربيون قبلهم عن العرب الذين كانوا يشكون من «الاهمال، وعدم الالمام بالتقنية وعدم امكانية الاعتماد على اصدقائهم. وكانوا يتصرفون غالباً بعنجهية وعدم صبر.» لذلك اخذ العرب ينظرون للروس «كمحتلين وليس كأصدقاء مستشارين»[٤٤٨]. وبالرغم من ذلك فان العرب والروس كانوا يحتاجون الى بعضهم البعض.. العرب يحتاجون الى العتاد والسلاح الروسي والسوفيات يحتاجون الى الموقع الاستراتيجي والاقتصادي في الشرق الاوسط.

إن مصر التي سارت على طريق «مغامرة عسكرية خطرة»[٤٤٩] تحتاج للاتحاد السوفياتي «كشريك لا يمكن الاستغناء عنه»، لأنها تحتاج الى السلاح. إلّا ان العرب «لم يكونوا بشكل خاص حلفاء للسوفيات، يمكن الاعتماد عليهم»[٤٥٠]. لقد وافق السادات على اتفاقية ١٩٧١ لأنه يريد ان يستعيد الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧، وهو امرٌ لا يمكن تحقيقه دون الاسلحة السوفياتية. وأشار رايسموللر الى ان موافقة السادات على السياسة السوفياتية، لم تكن إلّا لتثبيت نفسه في السلطة أولاً. وليحرر نفسه من الاتجاه اليساري القوي لمجموعة علي صبري وشعراوي جمعة[٤٥١]، ثم ليقدم على طرد المستشارين السوفيات من مصر ويرسل مستشاره الامني حافظ اسماعيل الى اوروبا الغربية والولايات المتحدة، مؤملاً ان تمارس الدول الغربية الضغط على اسرائيل لتنسحب من الاراضي المحتلة. إلّا ان هذه السياسة لم تنجح مما اجبره على تقديم التنازلات الجديدة الى السوفيات[٤٥٢]. ولأن السادات كان يعتقد بأن الولايات المتحدة وحدها فقط تستطيع ان تمارس الضغط على اسرائيل[٤٥٣] لتنسحب من الاراضي العربية المحتلة، فقد حاول السادات في اثناء حرب تشرين الاول / اكتوبر وبعدها تحسين علاقاته مع امريكا واوروبا الغربية واصفاً دور الولايات المتحدة بأنه دور بنّاء بالرغم من ارسالها الاسحلة بشكل مكثف الى اسرائيل. وقد أراد أن يدشن السلام في الشرق الاوسط بصورة مشتركة مع الولايات المتحدة. لهذا رحبت الصحافة بتعيين

---

(٤٤٧) *Der Spiegal*, no. 42 (15 October 1973).

(٤٤٨) المصدر نفسه.

(٤٤٩) Reissmüller, *FAZ*, 12/10/1973.

(٤٥٠) Münchhausen, *FAZ*, 31/10/1973.

(٤٥١) Reissmüller, Ibid.

(٤٥٢) المصدر نفسه.

(٤٥٣) *Der Spiegel*, no. 12 (November 1973).

اسماعيل فهمي وزيراً للخارجية في مصر لأنه «الرجل المعروف بمواقفه المتجهة نحو الغرب»[٤٥٤]. وقد كان وراء سياسة «التعاون والمساومات»[٤٥٥] مع الولايات المتحدة في محاولات جادة لخلق التوازن بدلاً من المواقف المحبطة على طريقتي «الخير او الشر»[٤٥٦].

إن سياسة السادات المنفتحة نحو الغرب والتخلص من الاعتماد على الاتحاد السوفياتي دفعت فوكه الى نصح دول مجموعة السوق الاوروبية المشتركة وخاصة المانيا الاتحادية بتحسين علاقاتها مع مصر. وكان فوكه يعتقد بأن موقف دول مجموعة السوق الاوروبية المشتركة المحايد خلال حرب تشرين الاول / اكتوبر سوف يكون عاملاً مساعداً للموقف السياسي المصري في حفاظ مصر على استقلالها عن موسكو بالرغم من اعتمادها على تزويدها بالسلاح[٤٥٧]. ويضيف قائلاً بأن الخلاف بين الولايات المتحدة من جهة، ودول السوق الاوروبية المشتركة من جهة ثانيةخلال حرب تشرين الاول / اكتوبر حول وقوف او عدم وقوف دول السوق على الحياد، لم يكن له أي جدوى، فقد ثبت بأن محافظة اوروبا الغربية على علاقتها مع البلدان العربية، كان ذا منفعة كبيرة للولايات المتحدة. وأهم شيء بالنسبة للولايات المتحدة ان «لا يحصل الاتحاد السوفياتي على النفوذ السياسي المؤثر على مصادر النفط العربية». وهذا هو بالضبط «الهدف المشترك القديم لسياسة الغرب نحو الشرق»[٤٥٨]. ونصح فوكه دول السوق، من ان القطر العربي الوحيد القادر على تخفيف حظر النفط هو مصر وليس ليبيا[٤٥٩]. وتضيف دير شبيغل قائلة، ان السادات «السياسي المحنك» لن يسمح ان يقودَه القذافي لأنه لا يريد ان يقود العلاقات مع الولايات المتحدة واوروبا الغربية الى نقطة اللاعودة[٤٦٠].

٢ ـ الاسد: البعثي المعتدل

كما قارنت صحافة المانيا الاتحادية سياسة السادات بسياسة الرئيس عبد الناصر واتخذت موقفاً متحيزاً الى جانب السادات في تلك المقارنة، فإنها طبقت المقارنة نفسها فيما يختص بسوريا. يقول مونشهوزن في مقاله عن الاوضاع في سوريا ان «سوريا ترغب في ايجاد

---

(٤٥٤) *Der Spiegal*, no. 45 (5 November 1973), p. 118, and Münchhausen, *FAZ*, 2 / 11 / 1973.

(٤٥٥) Cycon, *Die Welt*, 10/10/1973.

(٤٥٦) Münchhausen, Ibid.

(٤٥٧) Vocke, *FAZ*, 27/10/1973.

(٤٥٨) Vocke, *FAZ*, 1/11/1973.

(٤٥٩) Vocke, *FAZ*, 17 / 11 / 1973. كان وزير التطوير الالماني الاتحادي آنذاك ابلر في زيارة لمصر. ونصح فوكه في مقال له حكومة المانيا الاتحادية ان تعتبر ابلر مبعوثاً خاصاً للمستشار الالماني وهو في مصر بدلاً من زيارتها كوزير فقط للتدليل على اهتمام المانيا الاتحادية بمصر.

(٤٦٠) *Der Spiegel*, no. 48 (26 November 1973), p. 106.

حل سياسي للنزاع الفلسطيني»[٤٦١]. ويعتقد كونتسلمان بأن الرئيس الاسد «سياسي واقعي لم يعرف عنه العرب الكذب»[٤٦٢]، ويقارن مونشهوزن الرئيس الاسد «المعتدل» باليسار الراديكالي الذي يهتم بالقيام «بالأعمال الضارة والتخريبية» فقط، لذلك فإن مهمة الرئيس الاسد هي ليست مهمة سهلة، لأن عليه أن «يمنع وحدة القوى المعارضة التي تتحد فقط من اجل رفض اي حل سياسي». ويحذر بأن اي اتحاد لهذه القوى، «سيفجر الوضع بسبب الخلافات الطائفية في السياسة السورية»[٤٦٣] خاصة وأن الاسد «هو من العلويين» وقوى المعارضة «من السّنة»، مع العلم ـ بأنّها «المرة الاولى» في تاريخ سوريا التي يصبح فيها علويّ رئيساً للجمهورية[٤٦٤].

ويضيف مونشهوزن في تحليله ان الحل السياسي الذي يبحث عنه الرئيس الاسد مبني على أساس قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ المؤرخ ٢٢ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٦٧[٤٦٥]. ويعتقد بأن قبول هذا الحل على هذا الاساس يعود الى السياسة المعتدلة للأسد، وهذا يعني تغييراً كبيراً في السياسة السورية عن سابقتها. وقد حدث التغيير ـ على حد قوله ـ عندما استقبل الاسد في نهاية آب / اغسطس ١٩٧٣ السكرتير العام للأمم المتحدة كورت فالدهايم، وعندما وافقت سوريا على قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ المؤرخ ٢٢ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ وقامت «بخطوة اساسية على الطريق الى طاولة المفاوضات مع اسرائيل»[٤٦٦]. وقد ترك الاسد للسادات ان يبحث عن الديبلوماسية التي تقود الى السلام[٤٦٧].

ويقول مونشهوزن ان «الجناح اليساري المتعصب عقائديا في البعث» والذي اطاح به الرئيس الاسد في خريف ١٩٧٠ قاد إلى عزلة سوريا في العالم العربي منذ تسلمه السلطة في ١٩٦٦. وقد عقد الرئيس الاسد العزم منذ تسلمه الحكم على تغيير هذا الوضع. هذا وقد قامت مصر بالتمهيد لزيارة فالدهايم الى سوريا. إن قمة التعاون المشترك بين سوريا ومصر كانت بعد «لقاء المصالحة» بين ٩ و١٢ ايلول / سبتمبر ١٩٧٣ في القاهرة بين الاسد والملك حسين والسادات[٤٦٨].

وقد فسّر مونشهوزن التقارب السوري الأردني بأنه تقارب سوري مع العربية

---

(٤٦١) Münchhausen, *FAZ*, 27/10/1973.

(٤٦٢) Konzelmann, *Die Zeit*, (19 October 1973).

(٤٦٣) Münchhausen, Ibid.

(٤٦٤) المصدر نفسه.

(٤٦٥) المصدر نفسه.

(٤٦٦) المصدر نفسه.

(٤٦٧) Konzelmann, *Die Zeit*, (2 November 1973).

(٤٦٨) المصدر نفسه.

السعودية[٤٦٩]. وقد قرّبت الاطاحة بالجناح اليساري في حزب البعث وجهات النظر بين الاسد وفيصل. ولم يكن ذلك ليتم لولا مساعدة مصر. وقد دعم الفيصل الاسد سياسياً ومالياً، على حد قول مونشهوزن، مقابل تخفيف الاسد لاجراءات التأميم ودعم الاستثمارات الاجنبية. ويدّعي مونشهوزن بأن الاسد كان يهدف إلى اخراج سوريا من منطقة نفوذ الاتحاد السوفياتي[٤٧٠]. وقد رفضت سوريا حسب قول مونشهوزن توقيع اتفاقية صداقة وتعاون مشترك مع الاتحاد السوفياتي كما فعلت مصر (والهند). ورفض الاسد السماح للسوفيات باقامة قاعدة بحرية على شواطىء البحر المتوسط. وكذلك أفهمت سوريا الاتحاد السوفياتي بأنها ستبحث عن مصادر أخرى للسلاح اذا ما رفض اعطاءها اسلحة اكثر من دفاعية. وتدّعي دير شبيغل بأن سوريا كانت تفكر بالصين، وكان رئيس الاركان السوري مصطفى طلاس قد زارها عام ١٩٦٩[٤٧١]. وقد عرضت الصين آنذاك كما جاء في مجلة دير شبيغل صواريخ ذات مدى ١٢٠٠ كلم على سوريا، وقد دب سوء التفاهم السوري مع السوفيات بعد الغارة الاسرائيلية في شباط / فبراير ١٩٦٩ «حيث لم تستطع سوريا الدفاع عن نفسها جيداً»[٤٧٢]. وقد انتقد الاسد، وكان آنذاك وزيراً للدفاع، السلاح السوفياتي. لقد كان الوضع في ايلول / سبتمبر ١٩٧٣ مشابهاً حسب رأي دير شبيغل خلال المعركة الجوية بين اسرائيل وسوريا، وقد خسرت فيها سوريا بعض «طائراتها» ونتيجة لذلك فقد حدَّ الاسد من حرية حركة ثلاثة آلاف مستشار سوفياتي[٤٧٣].

لقد حاولت القيادة السورية بعد انتصار العرب في حرب تشرين الاول / اكتوبر التي خاضوها بالسلاح السوفياتي أن لا «تكبر من حجم» هذا السلاح[٤٧٤]. فهي حريصة على ان لا يتحول وجود السلاح السوفياتي الى اتكالية سياسية على السوفيات[٤٧٥].

٣ ـ فيصل: المدافع عن التراث

في مقال بعنوان «العربية السعودية ـ ذات الدور الكبير المجهول في نزاع الشرق الاوسط ـ والتي تمتلك ربع احتياطي نفط العالم» يتحدث فوكه عن دور المملكة العربية

---

(٤٦٩) Münchhausen, *FAZ*, 27/10/1973.

(٤٧٠) المصدر نفسه.

(٤٧١) *Der Spiegel*, no. 42 (15 October 1973).

(٤٧٢) المصدر نفسه.

(٤٧٣) المصدر نفسه. لم يذكر الصحفي ان الطيران السوري لم يستعمل الصواريخ سام ٦ في هذه المعركة حتى لا يكشف مواقعها والتي كانت معدة للاستعمال في حرب اكتوبر.

(٤٧٤) Buchalla, *SZ*, 20/10/1973.

(٤٧٥) المصدر نفسه، و Münchhausen, *FAZ*, 27/10/1973.

السعودية تحت قيادة الملك فيصل(٤٧٦)، مشدداً على اهمية المملكة لأنها تمتلك ربع نفط العالم، اذ ان «تحت رمال صحراء العربية السعودية يختزن حوالي ربع مخزون النفط العالمي والذي يمكن استخراجه بطريقة اقتصادية». وأن معدل المخزون من هذا النفط السعودي اكثر من معدل النفط المخزون في العالم الغربي بما في ذلك الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي.

إن هذا النفط مِلكٌ «لبلد قليل السكان هو بلد الملك فيصل». وبالرغم مما حققته السعودية من نجاح، في العقد الاخير الراهن، الا ان «البنيان الاجتماعي في هذا البلد ما يزال له سمات العصور القديمة وغير مستقر على الصعيد الداخلي»(٤٧٧). لذا فإن من مصلحة الغرب الابقاء على «علاقاته مع الملك فيصل» لأنه إذا وقع احتياط النفط، «الذي لا يمكن للغرب ان يستغني عنه، في دوامة التخبط الداخلي او حتى في حال الاطاحة بالملكية، في نطاق النفوذ السوفياتي فإن النتائج ستكون وخيمة جداً بالنسبة إلى الدول الصناعية في الغرب»(٤٧٨).

إن فيصل «أهم شريك عربي للولايات المتحدة»(٤٧٩) بين الدول العربية وأن الامريكان بوقوفهم الى جانب اسرائيل «يعرضون علاقات الغرب كله ـ دون ان يريدوا ذلك طبعاً ـ الى المحن مع العربية السعودية والامارات العربية الاخرى»(٤٨٠).

إن ضغط الرأي العام العربي على الدول المنتجة للنفط، لعب دوراً رئيسياً في اتخاذ النفط كسلاح ضد الولايات المتحدة خاصة بعد ان انفضح موقف امريكا من تزويد اسرائيل بكميات هائلة من السلاح في حرب تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣. ويقول بوخالا ان الملك فيصل «كان وراء تأخير فرض حظر النفط لأنه لم يكن يريد ان يعطي للولايات المتحدة اي مبرر كان، باغلاق منابع النفط، بصورة مبكرة ولأنها ستدعم اسرائيل بشكل اكبر»، اذ ان توقف دفق النفط يجب ان يكون «الوسيلة الاخيرة» او «آخر سلاح عربي» يستخدم في حرب ١٩٧٣»(٤٨١). لذلك دبت الخلافات في الرأي بين «ممثلي الاتجاه المعتدل والعرب المتطرفين»(٤٨٢) في مؤتمر النفط العربي في الكويت يوم ١٧ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ وقد صدرت قرارات المؤتمر بتخفيض او قطع النفط عن الدول التي تدعم اسرائيل بصورة

---

(٤٧٦) Vocke, *FAZ*, 11/10/1973.

(٤٧٧) المصدر نفسه.

(٤٧٨) المصدر نفسه.

(٤٧٩) Vocke, *FAZ*, 1/11/1973.

(٤٨٠) Vocke, *FAZ*, 19/10/1973.

(٤٨١) Buchalla, *SZ*, 13/10/1973.

(٤٨٢) Barth, *Die Welt*, 18/10/1973.

فعالة. وتنصح فوكه الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة «ألا ترد بعنف على سياسة فيصل النفطية لأن ذلك سيدفعه الى جانب اصدقاء موسكو من العرب»(٤٨٣).

ويقول فوكه ان فيصل لم يكن صديقاً لاسرائيل «إلاّ أنه يجد نفسه مجبراً ضمن اطار امكاناته على اتخاذ موقف متشدد لئلا يتهم بخيانة القضية العربية من العرب الآخرين.» وأن اعتماد الولايات المتحدة على النفط السعودي يهب الحماية لفيصل من اسرائيل. ويبرر فوكه عدم دخول العربية السعودية الحرب ضد اسرائيل بالرغم من قول فيصل للسادات عند بدء الحرب «اننا نقف الى جانبكم بكل امكاناتنا»(٤٨٤). ويقول فوكه ان العربية السعودية «مملكة صحراوية» ولا تتمكن من خلال اموالها فقط من تحويل المواد الحربية الباهظة الثمن الى قوة ضاربة عسكرية، لقلة عدد سكانها ونقص العنصر البشري، وبالرغم من دراسة الكثيرين من السعوديين في الخارج فإنها تعاني نقصاً في العناصر القيادية وخاصة في الجيش(٤٨٥). إن سلاح الجو والصواريخ السعوديين «لا يمكن وضعهما على الحدود الاردنية من اجل التحضير للحرب مع اسرائيل»(٤٨٦)، إذ ان هذه الأسلحة الجديدة، كما يقول فوكه، والتي تزودها بها الولايات المتحدة، تعطى فقط للدول العربية «البعيدة في موقعها عن اسرائيل»(٤٨٧). لذلك فإن تزويد السعودية بهذه الأسلحة لا تشكل ضرراً على إسرائيل وإنما على العكس، فإنّ هذه الأسلحة «تسهل للملك فيصل ان لا يقطع علاقاته مع الغرب»(٤٨٨). إن الأسباب التي يقدمها كل من فوكه ويونغ بلوت (مراسل دي تسايت) حول تزويد السعودية والدول العربية الأخرى بالاسلحة لا تتعارض، وإنما يُكمل بعضها بعضاً، إذ أن الهدف من ارسال الأسلحة الامريكية اليها هو: ١ ـ ضمان تزويد الغرب بالنفط، ٢ ـ للمحافظة على حصص الغرب النفطية في العربية السعودية (وغيرها من الدول) امام التقلبات الداخلية. ٣ ـ لتستطيع أن تدافع عن نفسها ضد «العراقيين العدوانيين اصدقاء السوفيات»(٤٨٩) وضد «النظام العسكري اليساري المتطرف في جمهورية اليمن الشعبية»(٤٩٠). ويدّعي فوكه ايضاً بأن موسكو تدير دفة التخريب من عدن لتطيح بالملك فيصل وتسيطر على اغنى منابع النفط في بلاد العالم، ويتهم فوكه ايضاً جمهورية اليمن الديمقراطية بتهديد العربية السعودية عسكرياً، لأن حكومة جمهورية اليمن الشعبية تقوم بمساعدة ـ ودعم من موسكو ـ «القوى

---

(٤٨٣) Vocke, *FAZ*, 1/11/1973.

(٤٨٤) Vocke, *FAZ*, 11/10/1973.

(٤٨٥) المصدر نفسه.

(٤٨٦) المصدر نفسه.

(٤٨٧) Jungblut, *Die Zeit*, (12 October 1973).

(٤٨٨) Vocke, *FAZ*, 19/10/1973.

(٤٨٩) Jungblut, Ibid., p. 33.

(٤٩٠) Vocke, *FAZ*, 11/10/1973.

الراديكالية» في صنعاء عاصمة اليمن الشمالية في وقوفها بوجه «الجمهوريين المعتدلين» و «القبائل المحاربة الصديقة للعربية السعودية». واذا ما سيطرت «القوى الراديكالية» على صنعاء فإن هذا حسب ادعائه ـ سيهدد العربية السعودية داخلياً نظراً لوجود مئات ألوف من العمال اليمنيين في السعودية(٤٩١).

إن الموقف السعودي الحاسم ضد اسرائيل، والذي يصر عليه الملك فيصل هو المطالبة بالقدس. ويرى فوكه ان موضوع القدس، خاصة بعد ضمها ادارياً الى اسرائيل بعد حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧ ما زال العائق الكبير في وجه تمهيد الطريق امام المفاوضات السياسية بين اسرائيل والدول العربية. إن اسرائيل تصرّ على ضم القدس، وقد أعلنت انها ليست على استعداد للمفاوضة، بينما تعتبر الدول العربية، يؤيدها في ذلك الاغلبية العظمى للدول الاعضاء في الامم المتحدة والمنظمة الدولية بجميع اجهزتها والمنظمات التابعة لها، بأن الاجراءات الاسرائيلية فيما يتعلق بضم القدس لاغية وباطلة وتطالبها بالانسحاب من جميع الاراضي العربية المحتلة بما فيها القدس.

وتؤكد صحافة ألمانيا الغربية بأن الملك فيصل الذي يحكم الاماكن المقدسة في مكة والمدينة يدرك العلاقة العاطفية التي تربط المسلمين ـ عرباً او غير عرب، بمدينة القدس. ولأنه يعرف ذلك فهو يريد ان يستفيد منه سياسياً، لذا فهو يصر على اعادة القدس لأنه يريد «ان يحجز له مكاناً في تاريخ العرب»(٤٩٢). الا ان ذلك لم يكن السبب الوحيد وراء اصراره هذا. ان ما يعتقده يانسن ان الملك فيصل بمطالبته بالقدس يريد تفويت الفرص على القوى الثورية(٤٩٣). وأن الملك فيصل الذي نُظر اليه في يوم من الايام باعتباره رجعياً ومعزولاً، اصبح يتمتع بتأثير ونفوذ واسعين ورأي مسموع في العالم العربي»(٤٩٤). وكان هذا التطور نتيجة حرب تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣.

٤ ـ حسين: الملك الشجاع

منذ احداث الاردن عام ١٩٧٠ وانتصار الجيش الاردني على المقاومة الفلسطينية وبالتالي اخراجها من الاردن وجد الملك حسين نفسه معزولاً في العالم العربي حتى قبيل اندلاع حرب الشرق الاوسط العربية ـ الاسرائيلية الرابعة. وقد تمت محاولة كسر هذه العزلة من خلال اللقاء الثلاثي في القاهرة بين الرئيس السادات والرئيس الاسد والملك

---

(٤٩١) المصدر نفسه.

(٤٩٢) Konzelmann, *Die Zeit*, (30 November 1973).

(٤٩٣) Janssen, *Die Zeit*, (23 November 1973), p. 9.

(٤٩٤) *Der Spiegel*, no. 42 (15 October 1973).

حسين في ايلول / سبتمبر ١٩٧٣ في محاولة لإعادة إحياء الجبهة الشرقية التي تضم سوريا والاردن والثورة الفلسطينية.

لم يكن الاردن مستعداً عندما اندفعت حرب تشرين الاول / اكتوبر في ٦ / ١٠ / ١٩٧٣، وقد اعلن الملك حسين مراراً منذ ايلول / سبتمبر ١٩٧٠، وقبل اندلاع الحرب، «بأن الاردن ليس مستعداً للمشاركة بمغامرات عسكرية»(٤٩٥)، وأعرب عن رأيه عدة مرات بأنه سيشارك في القتال فقط اذا كان هناك امل في الانتصار(٤٩٦). وتؤكد دير شبيغل بأن هذا الامل يجب ان يكون على الاقل ٥٠ بالمائة(٤٩٧). ويقول كونتسلمان أن الملك وصف الحرب الرابعة العربية - الاسرائيلية بانها «مغامرة جديدة للعرب»(٤٩٨). ولم تعلن حالة الاستعداد القصوى في الجيش الاردني المرابط على طول الحدود مع اسرائيل إلّا بعد يوم من اندلاع الحرب اي يوم ٧ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣. وقد عالجت صحافة المانيا الاتحادية هذه التطورات على الجبهة الاردنية بطرق مختلفة، وقد ذكّرت بعضُ الصحف الأردن بتجربته عام ١٩٦٧، وأشادت صحف اخرى بتدريب الجيش الأردني الجيد، أي أن دخول الجيش الأردني للمعركة له دوره الفاعل. ولجأت بعض الصحف الى ذكر الاسباب التي تجبر الاردن على عدم دخول الحرب، وعالج آخرون المهمات التي تنتظر الجيش الاردني فيما لو قرر دخول الحرب.

ولكن الصحفيين الالمان الغربيين أجمعوا على ان القوات الاردنية «قوات متفرقة»(٤٩٩) ومقاتلة ومدربة تدريباً جيداً ومسلحة تسليحاً جيداً ايضاً(٥٠٠) ومعروفة «بمقدرتها القتالية منذ حرب الستة ايام»(٥٠١). ويقول بوخالا ان الملك حسين يمتلك قوة ضاربة تطيعه طاعة عمياء، وتعتمد اساساً على وحدات البدو التي تشكل الفيلق العربي الاسطوري(٥٠٢). وكان تعداد الجيش الاردني آنذاك يبلغ سبعين الف رجل مع الاحتياطيين الذين يبلغون عشرين الفاً، ويمتلك الجيش اسلحة امريكية حديثة. وقد تدرب الطيارون وقادة الدبابات في الولايات المتحدة الامريكية(٥٠٣).

---

(٤٩٥) Vocke, *FAZ*, 13/10/1973.

(٤٩٦) Buchalla, *SZ*, 12/10/1973.

(٤٩٧) *Der Spiegel*, no. 42 (15 October 1973).

(٤٩٨) Konzelmann, *Die Zeit*, (19 October 1973).

(٤٩٩) Heigert, *SZ*, 8/10/1973; Buchalla, *SZ*, 15/10/1973, and Münchhausen, *FAZ*, 15/10/1973.

(٥٠٠) Buchalla, *SZ*, 12/10/1973.

(٥٠١) Buchalla, *SZ*, 15/10/1973.

(٥٠٢) المصدر نفسه.

(٥٠٣) المصدر نفسه.

ولقد ادرك الصحفيون ما يعانيه الملك حسين من حَرَج اذا هو لم يشارك في الحرب، حتى وجد نفسه مجبراً تحت «الضغط العربي»[٥٠٤] و «العواطف والاحاسيس»[٥٠٥] الملتهبة لدى الشعب الاردني على اصدار اوامره بالتعبئة العامة وارسال وحدات مجوقلة الى الحدود مع الجبهة السورية. وكتب رافن (دي فلت) ناصحاً الملك حسين باستنتاج العِبَر من حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧ وتجنّب جرّ بلاده الى الكارثة[٥٠٦]. إلّا ان فوكه الذي يتفهم موقف الملك، يتقدم للدفاع عنه فيقول: «هذا الملك الشجاع سوف يقاوم الدخول في الحرب ما دام يجد سبيلاً لذلك»[٥٠٧]. ولم تتورع القيادة الاسرائيلية آنذاك ان تطلق تصريحاتها على لسان رئيسة الوزراء غولدا مائير وحاييم هيرتسوغ الناطق العسكري، حول تذكير الأردن (ولبنان) بمصير الجيوش العربية عام ١٩٦٧. وقد صرحت مائير في مؤتمرها الصحفي في ١١ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ موجهة حديثها للملك حسين «القائد الفطن والعقلاني الذي يريد الخير لشعبه والذي لم تخذله بعد مقدرته على تذكر ما فات، لهذا فإنه لن يشارك في المعارك»[٥٠٨]. ولكن الصحفيين اعتبروا ارسال وحدة اردنية قوية تعدادها ما بين ستة وسبعة آلاف رجل لا يعدو كونها مجرد «تظاهرة»[٥٠٩] او «اشارة رمزية»[٥١٠] من الملك حسين بأنه يدعم «القضية العربية من اجل تهدئة الرأي العام العربي والسوري».

لماذا لن يستطيع الاردن المشاركة في القتال حتى لو اخذ بعين الاعتبار تجربة عام ١٩٦٧. إن اول الاسباب كما يقول الصحفيون هذا الوضع العسكري الاردني تجاه اسرائيل، لأن الملك حسين لن يستطيع القتال «من مواقع تكتيكية بائسة»، مشرفة على وادي الاردن، وبالتأكيد فإنه لن يستطيع القتال ضد المواقع الاسرائيلية الاقوى والواقعة اعلى من مواقعه. ثانياً، ان الاردن لا يمتلك سلاحاً جوياً ليتمكن من اختراق المواقع الاسرائيلية. لقد وعد بالدعم الجوي من سوريا ومصر والعربية السعودية[٥١١].

وقد ارسلت السعودية للأردن، كمساعدة، عشرين طائرة ليتنينغ (Lightning)

---

(٥٠٤) Buchalla, *SZ*, 12/10/1973, and Cycon, *Die Welt*, 13/10/1973.

(٥٠٥) Raven, *Die Welt*, 8 /10/1973.

(٥٠٦) Raven, *Die Welt*, 12/10/1973.

(٥٠٧) Vocke, *FAZ*, 13/10/1973.

(٥٠٨) Tavor, *FAZ*, 12/10/1973.

(٥٠٩) D. Schröder, *SZ*, 15/10/1973.

(٥١٠) Helgert, *SZ*, 8/10/1973; Buchalla, *SZ*, 12/10/1973; Cycon, *Die Welt*, 15/10/1973 and Konzelmann, *Die Zeit*, (19 October 1973).

(٥١١) Vocke, *FAZ*, 11/10/1973; Buchalla, *SZ*, 12/10/1973; D. Schröder, *SZ*, 12/10/1973, and Konzelmann, *Die Zeit*, (19 October 1973).

البريطانية. ويقول كونتسلمان، ان هذه الطائرات لا يمكن استخدامها لأن طياريها ما زالوا تحت التدريب(٥١٢). وقال الملك حسين حسب ما كتبته صحيفة زود دويتشه تسايتونغ نقلاً عن مقابلة صحفية اجرتها معه صحيفة الانوار اللبنانية بأنه لن يشترك في الحرب لأنه لم يكن على علم بأهداف سوريا او مصر(٥١٣). ثالثاً، ان السبب في عدم قدرة الاردن على دخول الحرب ـ حسب ادعاء الصحافة ـ لأن الملك حسين اذا اراد المشاركة في هذه الحرب عليه ان يفتح حدوده للوحدات العراقية التابعة «لنظام البعث الثوري» وللفدائيين الفلسطينيين الذين استطاع «طردهم من بلاده» عام ١٩٧٠ / ١٩٧١، ويدّعي ديتر شرودر ان «هذه الوحدات العسكرية تستهدفه اكثر مما تستهدفه اسرائيل»(٥١٤).

ولذا فإن مونشهوزن يحذّر من هذا الخطر ايضاً، فيقول «اذا كان هدف القوى الثورية في المنطقة زج الاردن في اشتباكات عسكرية مع اسرائيل فلأن ذلك بالتحديد سيقود الى الاطاحة بالعرش الهاشمي، لذا فإن من مصلحة الحكومات المحافظة منع وقوع هذا التطويح بالعرش الاردني»(٥١٥).

وقد حددت الصحافة الألمانية بعد دخول الاردن الحرب مهمتين من مهمات القوات الاردنية. الاولى اشغال الوحدات العسكرية الاسرائيلية على نهر الاردن(٥١٦). بالرغم من ان حاييم هيرتسوغ المتحدث العسكري الرسمي الاسرائيلي وصف احتمالات الحرب مع الاردن بأنها «ليست كبيرة جداً»(٥١٧)، وأن ارسال القوات الاردنية الى الجبهة السورية «ليس بالمشكلة الجدية»(٥١٨). إلّا ان رافن في (صحيفة دي فلت) كتب يقول ان اشتراك الاردن «حدث مهم للقضية العربية»(٥١٩). المهمة الثانية هي دعم سوريا، إذ ان ارسال القوات الاردنية الى الجبهة السورية لمساعدة القوات السورية «هو امر يجد ترحيباً لدى السوريين» لأن القوات الاردنية تمتلك «دبابات بريطانية وامريكية ممتازة»(٥٢٠). ومهمة القوات الاردنية ان تضمن الطريق بين درعا ودمشق امام الهجمات الاسرائيلية(٥٢١)، واعاقة التقدم

---

(٥١٢) Konzelmann, Ibid.

(٥١٣) *SZ*, 6/11/1973.

(٥١٤) D. Schröder, *SZ*, 15/10/1973.

(٥١٥) Münchhausen, *FAZ*, 10/10/1973.

(٥١٦) Buchalla, *SZ*, 12/10/1973; Raven, *Die Welt*, 12/10/1973, and Cycon, *Die Welt*, 15/10/1973.

(٥١٧) كما ورد في: Tavor, *FAZ*, 9/10/1973.

(٥١٨) M. Schröder, *SZ*, 12/10/1973.

(٥١٩) Raven, *Die Welt*, 12/10/1973.

(٥٢٠) Konzelmann, *Die Zeit*, (19 October 1973).

(٥٢١) Buchalla, *SZ*, 15/10/1973.

الاسرائيلي نحو دمشق بشن هجمات على الجناح الجنوبي الشرقي للقوات الاسرائيلية(٥٢٢). ويقول فوكه ان خطر سقوط دمشق نتيجة للضغط الاسرائيلي «سيلهب العواطف العربية، وبالتالي فإن الملك حسين يرى نفسه مجبراً على المشاركة في الحرب»(٥٢٣) لتخفيف العبء عن دمشق.

وبالرغم من ارسال وحدات من القوات الاردنية الى الجبهة السورية، لكن تأثيرها لم يكن كما كان متوقعاً، فلم تشتبك تلك القوات الاردنية مع القوات الاسرائيلية إلّا بعد مرور عشرة ايام على اندلاع الحرب. وبالرغم من ذلك فإن الحالة بين الاردن واسرائيل لم تصل الى درجة الانفجار، وبالرغم من ان الملك حسين خاض «ثلث حرب» ولكنه لم يفتح «جبهة ثالثة» ضد الاسرائيليين(٥٢٤). وقد ظلت حركة المواصلات على نهر الاردن بين اسرائيل والاردن ـ بالرغم من الحرب ـ كما كانت سابقاً.

٥ ـ الجبهة العربية المشتركة

كتب رول بعد اندلاع الحرب بوقتٍ قصير، يقول: ان العرب يخوضون «حربهم الائتلافية الثالثة» ضد اسرائيل(٥٢٥) وكتبت صحيفة زود دويتشه تسايتونغ في افتتاحيتها اليومية في ٨ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ تقول إن اسرائيل «يجب ان تدافع عن نفسها مرة اخرى.» وهي اشارة الى ان العرب هم الذين هاجموا اسرائيل. وأضافت ان الدول العربية اقامت «معسكراً عربياً» انتقلت عبره من «تفرقها غير المثمر الى تقسيم العمل بينها»، بعض الدول العربية تقدم الجنود وتخوض القتال، والبعض الآخر يقدم المال لشراء السلاح(٥٢٦). وسوف نعالج في هذه الفقرة صحة هذه المقولة على ضوء الخلافات العربية الداخلية وعلى ضوء الدور الذي لعبته هذه الدول خلال الحرب وبعد الموافقة على وقف اطلاق النار. ولمعرفة مدى فعالية كم هو هذا المعسكر العربي كبير وفاعل فبالامكان قراءة المعلومات التي اصدرتها كل دولة من الدول العربية المشاركة في الحرب.

قامت صحافة المانيا الاتحادية بنشر بيانات «الولاء والاخلاص»(٥٢٧) والتضامن التي وجهتها البلدان العربية غير المشاركة في الحرب، والدول الاخرى الى كل من سوريا ومصر بصورة بارزة، وكان هدفها التدليل على الخطر المحدق باسرائيل. ويقول ديتر شرودر «عندما

---

(٥٢٢) Körber, *Die Welt*, 13/10/1973, and Buchalla, *SZ*, 15/10/1973.

(٥٢٣) Vocke, *FAZ*, 13/10/1973.

(٥٢٤) Tavor, *FAZ*, 11/10/1973, and Buchalla, *SZ*, 15/10/1973.

(٥٢٥) Ruehl, *Die Zeit*, (19 October 1973).

(٥٢٦) «Streiflicht,» *SZ*, 8/10/1973.

(٥٢٧) *Der Spiegel*, no. 42 (15 October 1973).

يدرك العرب ان مصير اسرائيل سيكون على حافة السكين، فانهم سوف يهجمون عليها لئلا يُتهموا بأنهم لم يشاركوا في الحرب الوطنية الكبرى للعرب»(٥٢٨). وقد بدا ذلك في ١ ـ التضامن العربي: وحسب احصائيات بوخالا(٥٢٩)، ان تسعة اقطار عربية كانت تقاتل اسرائيل هي مصر وسوريا، الاردن والعراق، العربية السعودية والمغرب، الجزائر وتونس والسودان. وقد بعث الاردن وحدة مجوقلة الى الجبهة السورية. وكان العراق حاضراً بوجود ستة عشر الف مقاتل ولكن اغلب تلك القوة كانت ما تزال في الطريق الى الجبهة عندما «انهكها» الطيران الاسرائيلي، ولكنه لم يفقدها مقدرتها على القتال. وارسلت المغرب «كتيبة»(٥٣٠) على الجبهة السورية مكونة من «رجال القبائل المعروفين ببأسهم»(٥٣١). إلّا ان هذه القوة كانت في سوريا قبل نشوب الحرب بسنة. وقد وعد الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة بارسال وحدة من ٩٠٠ (تسعمائة) مقاتل الا ان «وجود المصاعب في المواصلات اعاقت ارسالهم»(٥٣٢). ولم تقدم الصحافة اي معلومات عن بقية قوى الدول العربية، وهو دليل على عدم اشتراكها في الحرب.

ـ تقارن الصحافة بيانات «الولاء والاخلاص» بما قامت به الدول العربية من نشاط ديبلوماسي حيوي، ولم تكن ليبيا متفقة مع الدول العربية حول اندلاع هذه الحرب، ولكنها وجهت التحذيرات الى الولايات المتحدة وبعثت بالرسائل الى دول السوق الاوروبية المشتركة منذرة بعدم دعم اسرائيل. وأوقفت المغرب حربها الدعائية ضد ليبيا. وأعادت تونس علاقاتها الديبلوماسية مع الاردن، بعد ان كانت هذه العلاقات قطعت إثر مطالبة بورقيبة للملك حسين بالتخلي عن الحكم لاقامة دولة فلسطينية اردنية بديلاً عن المملكة الاردنية الهاشمية. إن ابراز هذه النشاطات الديبلوماسية في صحافة المانيا الاتحادية كان يستهدف ابراز «الوحدة والتنسيق غير المعهودين» من الدول العربية(٥٣٣).

ـ إن اسرائيل لم تقاتل فقط ضد الدول العربية، وانما ضد الدول المتحالفة معها ايضاً. لذا فقد اعربت دول العالم الثالث عن تضامنها مع الدول العربية. وأكّدت دير شبيغل بشكل يبعث على السخرية من ان الباكستان ارسلت الى سوريا «مارشالاً طياراً حقيقياً»(٥٣٤). وأن ايران اوقفت حملتها الدعائية ضد العراق الذي ارسل ببعض قواته الى

---

(٥٢٨) D. Schröder, *SZ*, 9/10/1973.
(٥٢٩) Buchalla, *SZ*, 16/10/1973.
(٥٣٠) *FAZ*, 12/10/1973.
(٥٣١) Buchalla, *SZ*, 23/10/1973.
(٥٣٢) *Die Welt*, 8/10/1973.
(٥٣٣) Münchhausen, *FAZ*, 24/10/1973.
(٥٣٤) *Der Spiegel*, no. 45 (5 November 1973).

الجبهة السورية(٥٣٥).

وبالرغم من ابراز دور التضامن مع العرب، إلّا ان الصحفيين بسبب «العدوان والخلافات القديمة»(٥٣٦) العربية، ادركوا طبيعة هذا التضامن. ويعلق كل من هيغرت (زود دويتشه تسايتونغ) وعلقت (فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ) على هذا التضامن بأن الدول العربية كلما ابتعدت عن مسرح المعارك كلما كانت اكثر راديكالية(٥٣٧). ويعزو هيغرت هذا الوضع الى «قوة المشاعر في الشرق» حيث «تكثر الكلمات الطنانة عندما تقلّ الأفعال»(٥٣٨). ولقد انفرطت هذه «الوحدة الخفية»(٥٣٩) بعد قبول مصر بوقف اطلاق النار. وعاد العرب بذلك «الى الشر القديم، الى الفرقة ثانية»(٥٤٠). وأجّلت سوريا قبولها بوقف اطلاق النار لأنها على حد تعبير دير شبيغل «لم تكن تريد ان تتعامل معه»(٥٤١). وأعلن الرئيس الاسد بأن سوريا، ستقاتل في حال الضرورة، لوحدها لتسترجع الاراضي السورية المحتلة. أما العراق فقد سحب وحداته من سوريا للسبب نفسه، لأنه سمع بوقف اطلاق النار من الراديو، تماماً كما سمع باندلاع الحرب ايضاً. وتزامن هذا التطور مع اندلاع القتال مجدداً بين القوات العراقية والاكراد. اما ليبيا التي لم توافق لا على اندلاع الحرب، ولا على اهدافها، فقد انتقدت قبول السادات بوقف اطلاق النار. ورفضت منظمة التحرير الفلسطينية، وقف اطلاق النار ووعدت بالاستمرار في النضال حتى اقامة الدولة الديمقراطية في فلسطين(٥٤٢).

كم كان التضامن العربي اذن واهياً! ان ذلك يظهر من الدعم المالي الذي قدمته الدول العربية المصدرة للنفط. يقول كوربر في تقرير له من القاهرة «لقد كان المصريون يشكون» لأن الدول العربية المصدرة للنفط، العربية السعودية، وأبو ظبي والكويت، وقطر لم يبلغ تبرعها مجتمعة اكثر من ستمائة وخمسة وأربعين (٦٤٥) مليون دولار للموازنة الحربية المصرية(٥٤٣). وبالمقارنة مع «الاستعداد بالتضحية التي ليس لها حدود من قبل

---

(٥٣٥) المصدر نفسه.

(٥٣٦) Strothmann, *Die Zeit*, (7 December 1973).

(٥٣٧) Bader, *FAZ*, 8/10/1973.

(٥٣٨) Heigert, *SZ*, 25/10/1973.

(٥٣٩) *Der Spiegel*, no. 42 (15 October 1973).

(٥٤٠) Münchhausen, *FAZ*, 24/10/1973.

(٥٤١) *Der Spiegel*, no. 45 (5 November 1973).

(٥٤٢) Buchalla, *SZ*, 23/10/1973; Münchhausen, *FAZ*, 24/10/1973; *Der Spiegel*, no. 45 (5 November 1973), and Janssen, *Die Zeit*, (23 November 1973).

(٥٤٣) Körber, *Die Welt*, 20/10/1973. تقول صحيفة زود دويتشه تسايتونغ SZ, 16/10/1973, ان هذا المبلغ هو ٩٢٠ مليون دولار.

الطوائف اليهودية» في العالم[٥٤٤] فان هذا التضامن يبدو قليلاً وقليلاً جداً.

قال بنحاس سابير وزير المالية الاسرائيلية ان الطائفة اليهودية في الولايات المتحدة تعهدت ان تقدم حتى نهاية عام ١٩٧٤ مبلغ سبعمائة وخمسين (٧٥٠) مليون دولار، وتعهدت الطوائف اليهودية في الدول الاخرى ان تجمع في الفترة نفسها خمسمائة وخمسين (٥٥٠) مليون دولار لارسالها الى اسرائيل[٥٤٥].

وقد قدم رولف ديكهوف في تقرير له بعنوان «السلام سيكلف كثيراً»[٥٤٦] بيانات حول التبرعات لإسرائيل جاء فيه:

«إن المساعدات الخارجية والتضحيات الجديدة التي يقدمها المواطنون سوف تسد هذه المرة ايضاً الفجوات (في الموازنة). والتزود من ترسانة السلاح الامريكية دون مقابل، وقد صدرت سندات رسمية لتمويل الحرب ستدر على الخزينة ٣٠٠ مليون مارك وتعهدت المنظمات اليهودية العالمية حتى نهاية العام ان تقدم ١,٨ مليار مارك.

وقد سافر وزير المالية بنحاس سابير مباشرة في الايام الاولى من الحرب الى نيويورك - حيث تضم الطائفة اليهودية في نيويورك بعض اغنى اصحاب الاموال الامريكيين. وقد بلغت المساعدات في الايام الاولى الى صندوق المساعدة اليهودية مئة مليون دولار. تبرع بـ ٢٥ مليوناً منها اصحاب الملايين في نيويورك. وبدأت حملة التبرع في جميع كُنس اليهود السبعمائة الموجودة في امريكا لشراء السندات الحكومية.

اما انكلترا حيث يبلغ تعداد الطائفة اليهودية ٤٥٠ ألفاً فقد تبرعوا بالملايين ايضاً، يقول موريس ويك (Maurice Wick) احد منظمي حملة التبرعات، ان التبرعات وصلت الى الالوف، . وأعلنت غولدا مائير في الكنيست ان اكبر منظمة قدمت المساعدات الى اسرائيل هي المنظمة اليهودية يونايتد جويش ابيل United Jewish Appeal وسوف تتكفل بتمويل ميزانية الشؤون الاجتماعية (وتبلغ ٤٠ بالمائة من الموازنة)، وسوف يتم تغطية مصاريف برنامج التنمية عبر بيع السندات الحكومية. وقد درّت هذه السندات للحكومة الاسرائيلية في العام السابق ٢٧٠ مليون دولار في قروض طويلة الامد. وفي هذا العام ستصل الى ٦٥٠ مليون دولار».

يضاف الى ذلك السلاح الذي تحصل عليه اسرائيل من الولايات المتحدة وقد بلغت قيمته مليارين من الدولارات «معظمها يقدم دون مقابل»[٥٤٧]. إن فشل التضامن بين الدول العربية، والذي برز خلال الحرب يعود لسببين مهمين. اولهما كما يقول هيغرت

---

(٥٤٤) Tavor, *FAZ*, 22/10/1973.
(٥٤٥) *Die Welt*, 22/10/1973.
(٥٤٦) Diekhof, *Die Zeit*, (26 October 1973).
(٥٤٧) Reifenberg, *FAZ*, 12/10/1973.

وبوخالا بأن الدول العربية «تعتبر مصالحها الخاصة دائماً أهم من الولاء للقضية المشتركة» (٥٤٨). وان مصر لم تستطع ان تزيل «التناقض في المصالح» بين الدول العربية داخل الجامعة العربية، مما اعاق تنفيذ الاتفاقيات المعقودة بينها. لقد وقعت الحرب ولم يعرف بها اي من الدول العربية سوى مصر وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية(٥٤٩). وبالطبع فإن لهذه المفارقات اسبابها المتعلقة بالانظمة السياسية والاجتماعية المختلفة فيما بينها. وتجمل دير شبيغل(٥٥٠) هذه المفارقات والتناقضات بالصورة التالية عن المجتمعات العربية:

«في الوقت الذي ترجم النساء الخائنات بالحجارة في معسكرات البدو في العربية السعودية تترأس امرأة تحمل لقب الدكتوراه وزارة الشؤون الاجتماعية في مصر. وفي الوقت الذي يأمر رئيس اليمن بصلب اعداء دولته يضمن امير الكويت لجميع مواطنيه التعليم المجاني، وراتباً تقاعدياً للشيخوخة. وفي الوقت الذي لا يزال فيه المحاربون ضد سلطان عمان يدافعون عن بلادهم بصعوبة وبالسيوف المقوسة، يُسقط الجيش السوري طائرات الفانتوم الاسرائيلية من السماء بأحدث الصواريخ. وهكذا منذ ان حاول النبي محمد قبل ١٣٥٠ سنة توحيد العرب من خلال الدين، ومنذ اجتياح الجيوش الاسلامية قبل ألف سنة الأراضي الواقعة ما بين الهند واسبانيا، والعالم العربي لم يزل منغمساً في قتال مرير بعضه ضد البعض الآخر. هنا تدور الحرب ضد التراث، وهناك ضد التقدم.

إن التقنية والتخلف لم تكن بهذا التّساوق، وإلى جانب بعضهما البعض كما هما عليه بين جبال الاطلس، والخليج، وفي الوقت الذي تجد فيه التراث الى جانب التجارب الاشتراكية يعيش اناس لا يعرفون حتى ما هو الدولاب، الى جانب آخرين يعملون في مكاتب مكيفة بالحاسبات الالكترونية.

إن الفجوات بين مراحل التطور ليست محصورة فقط داخل حدود الدولة، وانما تصطدم الحداثة مع التقاليد الموروثة في البلد نفسه.

لقد حدد القذافي الرئيس الليبي الحد الادنى من الاجور، وكذلك حقق الادارة الذاتية في المؤسسات بناءً على النموذج الاشتراكي، ولكنه في الوقت نفسه أمّم الزكاة. وقد شيد الرئيس الجزائري بومدين احدث مجمع للحديد قرب القسطنطينة تبلغ قيمته ٣٠٠ مليون مارك ـ وعلى بعد كيلومترات منه، اقام اكثر مساجد الارض كلفة. أما الملك فيصل، ملك العربية السعودية، فلم يزل يأمر بقطع ايدي السارقين، وفي اغلب الاحيان يستعملون البنج (المخدر) ولكن الذي يقوم بتنفيذ قطع اليد طبيب متخرج من اوروبا او امريكا.

لقد تطور هذا التناقض الاجتماعي الى تناقض سياسي سواء لدى الشيوخ ذوي اللحى في ملابس الحج ام لدى العقداء ذوي الشعر القصير في الزي العسكري الغربي. وكما يبدو، ليس من الممكن حل هذا

---

(٥٤٨) Buchalla, *SZ*, 8/10/1973, and Heigert, *SZ*, 8/10/1973.

(٥٤٩) *FAZ*, 10/10/1973.

(٥٥٠) *Der Spiegel*, no. 47 (19 November 1973).

التناقض بين الخيال الشرقي الذي يشيد بالأعمال العربية بخطب طنانة، وبين الحقيقة العربية: حقيقة الصحراء، الجوع، والتخلف. إن هناك حوالي مئة مليون عربي في جميع الدول العربية السبع عشرة من المغرب حتى العراق، لم تبلغ في انتاجها من الدخل الاجمالي العام ما انتجه بلد صغير، مثل هولندا اي حوالي ٣٤ مليار دولار في الوقت الذي يبلغ سكان الدول العربية ثمانية امثال سكان هولندا وتفوق مساحة العالم العربي مساحة هولندا بمائتين وستين (٢٦٠) مرة - فيا للشرق الفقير! وفي الوقت نفسه انتجت اوروبا المنضوية تحت «منظمة التعاون الاقتصادي والتطوير (O. E. C. D.)» ٧٧٦ مليار دولار. ويا للغرب الثري!».

أما السبب الآخر، فهو هذا الدور الذي تلعبه الجيوش على صعيد السياسة الداخلية في كثير من الدول العربية. يقول فوكه، ان الدول العربية لا تستطيع ان ترسل كميات كبيرة من دباباتها الى مصر وسوريا لأنها تحتاجها لحماية انظمتها. يضاف الى ذلك طرق الاتصالات والمواصلات السيئة بين الدول العربية، مثلاً هناك طريق واحد يربط الاردن والعربية السعودية والعراق بسوريا، ويستعمل هذا الطريق نفسه لأغراض عسكرية، وبالتالي فإنه هدف عسكري للطائرات الاسرائيلية وقد قامت الطائرات الاسرائيلية - مثلاً - بقصف الوحدات العراقية المرسلة الى الجبهة السورية على الطريق الوحيد هذا. وقد منيت القوات العراقية بالخسائر الجسيمة قبل ان تصل الى ساحة المعركة.

إن التغيير الذي طرأ على صورة العرب بشكل عام في صحافة المانيا الاتحادية في بداية الحرب والعودة الى الصور القديمة من الاحكام المسبقة والمقولبة ضد العرب تزامن مع مجرى الاحداث العسكرية خلال الحرب. وهذا ما لاحظناه في هذا الفصل. أما في الفصل القادم فاننا سبنحث بالتفصيل التغيير او عدم التغيير الذي ألَمّ بصورة الفلسطينيين بوجه عام وبمنظمة التحرير الفلسطينية بوجه خاص في الكتابة الصحفية خلال الفترة الزمنية موضع الدراسة. وسنرى الانحياز الكامل ضد منظمة التحرير الفلسطينية في هذه الكتابات الصحفية الناجمة عن التماثل الكامل في موقف هذه الصحافة مع المواقف السياسية لحكومة بون ولحكومة تل أبيب من القضية الفلسطينية.

الفصل الرابع

تقويم صورة الفلسطينيين ودورهم في حرب تشرين الاول/اكتوبر ١٩٧٣

اولاً: التقليل من شأن اشتراك الفلسطينيين في القتال

قلّلت صحافة المانيا الاتحادية من شأن مشاركة «الفلسطينيين» في الحرب العربية - الاسرائيلية الرابعة، وادعت بأنها «مشاركة متواضعة». وقد أوجز مونشهوزن في مقال له في صحيفة فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ هذه المشاركة مشيراً الى «ان الحرب قطعت الطريق على الفدائيين»(١). وأعرب كونتسلمان في (صحيفة دي تسايت) ايضاً عن رأيه من ان منظمة التحرير الفلسطينية كانت الخاسرة في هذه الحرب، لأنها حسب رأيه، لم يُشَدْ بدورها ولم تذكر في البلاغات الحربية العربية. وقد لاحظ الفلسطينيون هذا الامر - حسب ما ارتأى - ولأجل ان يدعم مصداقية رأيه يستشهد بقول «ابو سليم» احد الفلسطينيين، من ان «العرب يتخفّون على ما يقوم به الفلسطينيون»(٢). ويعتقد كونتسلمان ايضاً ان العربية السعودية قدمت للدول العربية المشارِكة في الحرب الدعم المالي باستثناء منظمة التحرير الفلسطينية. ويضيف، بأن السيد ياسر عرفات، رئيس المنظمة، سأل السعوديين مستفسراً عن السبب الاستثنائي فقيل له ان الفلسطينيين «لم يقوموا بواجبهم في هذه الحرب»(٣).

ان اقوال مونشهوزن وكونتسلمان تقودنا الى طرح سؤالين، اولهما: كيف كانت مشاركة الفلسطينيين في الحرب؟، والثاني: كيف كانت مقاومة الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال؟

---

(١) Münchhausen, *FAZ*, 18/10/1973.

(٢) Konzelmann, *Die Zeit*, (2 November 1974), p. 4.

(٣) Konzelmann, *Die Zeit*, (7 December 1973), p. 12.

١ ـ المشاركة في الحرب

لقد ادّعى كلٌ من كونتسلمان ومونشهوزن بأن الفلسطينيين لم يشاركوا بالحرب. وأشار مونشهوزن الى ان السادات طالب الملك حسين بالسماح للمقاومة الفلسطينية بالمشاركة القتالية من الاراضي الاردنية ضد اسرائيل[٤]. ولكنه لم يشر الى احداث الاردن التي وقفت عائقاً دون تلك المشاركة الفعلية للمقاومة الفلسطينية من الاراضي الاردنية ضد اسرائيل. ولم يشر ايضاً الى عزلة الاردن حتى قبيل بداية الحرب عن السياسة العربية نتيجة لأحداث عام ١٩٧٠ والتي اضطرت المقاومة الفلسطينية إثرها الى مُغادرة الاردن، ووقف جميع نشاطاتها السياسية والتنظيمية على الساحة الاردنية. وكان ذلك هو السبب الرئيسي وراء الهدوء الذي شهدته الحدود بين فلسطين المحتلة / اسرائيل والاردن قبل الحرب الرابعة وفي اثنائها وبعدها. ولكن مونشهوزن يعود ليؤكد من جديد بأن منظمة التحرير الفلسطينية ارسلت وفداً يضم السادة، ابو داود (فتح)، وصالح رأفت (الديمقراطية)، للتباحث مع السلطات الاردنية حول امكانية العمل العسكري من الجبهة الاردنية[٥]. وبالرغم من ان هذه المباحثات لم تنجح الا ان منظمة التحرير الفلسطينية استطاعت «ان نرسل بعض وحدات من المقاتلين الى الاراضي المحتلة» عبر الاردن. ويؤكد مونشهوزن بأن السلطات الاردنية وقفت عائقاً امام هذه الوحدات عند اكتشافها وقامت بطردها من اراضيها[٦].

ويفسّر مونشهوزن مطالبة القادة العرب للملك حسين بعودة الفدائيين الفلسطينيين الى الاردن بأنها مجرد ضغوطات تفرض عليه. وكذلك كان دور منظمة التحرير الفلسطينية بممارسة الضغوطات على الاردن حسب تعبيره. ومن اجل ان يدلّل على ذلك يستشهد مونشهوزن ببيان اصدرته المنظمة تعرب فيه عن عدم رضاها بارسال وحدات رمزية اردنية الى جبهة القتال في سوريا. وجاء في البيان حسبما اورده مونشهوزن «بأن ارسال قوات الدبابات الاردنية الى الجبهة السورية لا يمكنه ان يعوض عن دخول الاردن الحرب، لأنها دولة مواجهة وليست مجرد دولة يمكنها فقط ارسال المساعدة»[٧].

ويشكك مونشهوزن في مقالته المذكورة بمدى علم الفلسطينيين بنشوب الحرب. ولا يعتقد ايضاً بأن السادات أخبر ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية بتوقيت بدء القتال لأن منظمة التحرير الفلسطينية حسب رأي مونشهوزن «مخترقة بشكل كبير من

---

(٤) Münchhausen, *FAZ*, 18/10/1973.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

الاستخبارات الاسرائيلية، وهي مخاطرة امنية لا يقدر السادات ان يتحملها». لذلك يعتقد مونشهوزن بأن تأكيد العكس من قبل الفلسطينيين هو محض ادعاء[٨]. وبعكس ما ادّعاه تؤكد مجلة دير شبيغل بأن السادات اخبر «ثلاثة قادة من الفلسطينيين في نهاية ايلول / سبتمبر ١٩٧٣، بأنه سوف يوجه ضربته»[٩]. وقد أكّد ذلك صلاح خلف (ابو اياد) عضو اللجنة المركزية لحركة فتح في مقابلة اجرتها معه مجلة «البلاغ» اللبنانية، من ان المقاومة الفلسطينية كانت على علم «قبل عدة اشهر»، اي قبل تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣، بنوايا سوريا ومصر بخوض القتال. وأضاف: لهذا السبب وضعت منظمة التحرير الفلسطينية جميع امكاناتها العسكرية تحت تصرف القيادة العسكرية المصرية. وأكّد ابو اياد قائلاً «اننا اعلمنا قبل عدة ايام من الحرب بموعد بدء الهجوم»[١٠].

كيف اذن اشتركت القوات الفلسطينية بالحرب؟ انه السؤال الذي سنجيب عنه من خلال ما اوردته الصحف الالمانية الغربية ـ مدار البحث ـ عن تلك المشاركة، مما يؤكد اصرار تلك الصحف على اخفاء هذه المشاركة للتقليل من أهمية الدور الفلسطيني في الحرب.

لقد اجبر الفدائيون الفلسطينيون قبيل اندلاع الحرب (وقد نعتهم مونشهوزن بالارهابيين العرب آنذاك) الحكومة النمساوية على اغلاق معسكر تجمع المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفياتي والمعروف باسم معسكر شوناو قرب فيينا العاصمة النمساوية. وهو معسكر للمرور الى اسرائيل. اما الفدائيون الذين قاموا بالعملية فيقول مونشهوزن بأنهم ينتمون الى منظمة الصاعقة. ان «عملية شوناو صرفت انظار العالم عن استعداد العرب للتقدم على قناة السويس ومرتفعات الجولان»[١١]. هذا ما يؤكده مونشهوزن اي انه يناقض نفسه بنفسه، لادعائه بأن الفلسطينيين ليس لهم علم باندلاع الحرب وهو يؤكد ايضاً بأن هذا كان اكبر نجاح حققه الفلسطينيون في هذه الحرب.

اما الصحفيون زملاء مونشهوزن فقد تطرقوا الى اعمال اخرى قامت بها المقاومة الفلسطينية في الحرب. حيث كان الفدائيون الفلسطينيون خلال الحرب في «شمال وغرب الجليل وعلى هضبة الجولان، وبوجود اقل في قطاع غزة وفي الضفة الغربية لنهر الاردن»[١٢]. وقد عاقوا طرق مواصلات القوات الاسرائيلية «بزرع الالغام والاعمال التخريبية والقنص». وتعرضت المواقع والكيبوتسات الاسرائيلية «ليلياً لنيران الكاتيوشا والبازوكا»

---

(٨) المصدر نفسه.

(٩) *Der Spiegel*, no. 42 (15 October 1973).

(١٠) البلاغ (بيروت)، عدد ١٣٣ (٢٩ تموز / يوليو ١٩٧٤).

(١١) Münchhausen, *FAZ*, 18/10/1973.

(١٢) المصدر نفسه، و *Der Spiegel*, no. 51 (17 December 1973).

وبالرغـم من ان « اضرار السكان كانت بسيطة الا ان اخطارها لا يمكن تقليلها»(١٣). واستطاعت القوات الفلسطينية في بداية الحرب ان تحتل مواقع المراقبة الاسرائيلية المتمركزة في منطقة الحدود اللبنانية، «وبعد ذلك استطاعت القوات الفلسطينية ان تثبت مراكزها في ارض فتح القديمة»(١٤). وكتبت صحيفة الفايننشال تايمز اللندنية في ٢٦ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ بأن الاسرائيليين «اعترفوا بحوالى مائتي عملية قام بها الفدائيون» منذ بدء الحرب. وان رئيسة وزراء اسرائيل السابقة غولدا مائير قدرت في خطاب لها ألقته امام الكنيست في ٢٣ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ بأن عمليات الفدائيين الفلسطينيين قد بلغت «مائة وست عشرة عملية فدائية» تعرضـت فيها ٤٤ مستعمرة «في الحدود الشمالية الاسرائيلية» الى نيران القوات الفلسطينية وقد قتل وجرح من جرّائها «عشرون مواطناً وستة جنود اسرائيليين»(١٥).

ولم تتطرق صحافة المانيا الاتحادية الى مشاركة جيش التحرير الفلسطيني الموجود في مصر في هذه الحرب اطلاقاً، علماً بأن مشاركتهم كانت مشاركة فعالة ومهمة. فقد حاولت هذه القوات من جيش التحرير الفلسطيني - بالاشتراك مع الوحدات المصرية - اعاقة تقدم القوات الاسرائيلية على الضفة الشرقية للقناة من الاراضي المصرية. وفي احتفال أُقيم بعد الحرب لتكريم قوات جيش التحرير الفلسطيني لمشاركتها تلك، اعلن نائب رئيس الوزراء المصري ووزير الدفاع المشير احمد اسماعيل علي: «بأن انشاء جيش التحرير الفلسطيني قد اعطى بعداً للمقاومة الشعبية الفلسطينية، وفتح الطريق امام منظمات المقاومة الفلسطينية لكي تؤديَ دورها النضالي بكل فعالية مما اسهم في جذب اهتمام العالم الى حقائق وأسباب الصراع في المنطقة»(١٦).

٢ ـ المقاومـة في فلسطيـن

أ ـ دور منظمة التحرير الفلسطينية

من اجل ان تدعم مقولتها، بأن نشوب الحرب، وان الانجازات التي حققتها القوات النظامية العربية في حرب تشرين الاول / اكتوبر سحبت البساط من تحت اقدام المقاومة الفلسطينية، ادّعت صحافة المانيا الاتحادية بأن منظمة التحرير الفلسطينية لم تقم «بدور متواضع» في مجرى هذه الحرب فحسب، وانما حتى تلك النداءات التي وجهت الى المواطنين الفلسطينيين تحت الاحتلال الاسرائيلي لمقاومة القوات الاسرائيلية، لم يكن مصدرها منظمة التحرير الفلسطينية ايضاً. وتورد تلك الصحافة امثلة على ذلك فتقول

---

(١٣) Tavor, *FAZ*, 11 / 10 / 1973, and D. Schröder, *SZ*, 16 / 10 / 1973.

(١٤) Münchhausen, *FAZ*, 18 / 10 / 1973.

(١٥) M. Schröder, *SZ*, 25 / 10 / 1973.

(١٦) خطاب المشير احمد اسماعيل علي في: مجلة فلسطين الثورة (بيروت)، العدد ٩٧ (١٩ حزيران/ يونيو ١٩٧٤)، ص ١٣.

صحيفة زود دويتشه تسايتونغ ان سيد نوفل الامين العام المساعد للجامعة العربية هو الذي وجّه النداء للفلسطينيين في الاراضي المحتلة للقيام بمقاومة مدنية وبالعصيان المدني والاضرابات[١٧]. وتضيف بأن هذه النداءات خرجت من اذاعة عمّان الرسمية[١٨]. ويؤكد مونشهوزن بأن منظمة التحرير الفلسطينية لم تستطع ان تشكل منظمة سرية في الاراضي المحتلة ليصبح في مقدورها ان تبدأ العمل في تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣[١٩].

وبالطبع فإن هذه الادعاءات لا تتفق مع الحقيقة. فمن الجائز ان يكون السيد نوفل والاذاعة الرسمية في عمّان قد اصدرا مثل هذه النداءات. إلّا ان الحقيقة هي ان منظمة التحرير الفلسطينية هي التي وجهت النداءات للشعب الفلسطيني تحت الاحتلال، وهي التي اصدرت تعليماتها لتصعيد النضال ضد الاحتلال وقواته. وقد اصدرت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية في ٧ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ اي بعد يوم من اندلاع الحرب بياناً من اذاعة صوت فلسطين في الجزائر وسجلته هيئة الاذاعة البريطانية ضمن تنصُّتها على الاذاعات[٢٠]. وقد دعت اللجنة التنفيذية في هذا البيان الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال الاسرائيلي الى دعم جميع الاعمال الحربية التي يقوم بها الفدائيون الفلسطينيون والقوات المسلحة السورية والمصرية والاشتراك بها. ودعاهم البيان الى مقاطعة العمل في المزارع والبيارات والاشغال الاسرائيلية الاخرى. وبالرغم من تنكر بعض الصحفيين لبعض الحقائق حول مشاركة الفدائيين الفلسطينيين في الحرب، إلّا ان البعض الآخر لم يكن اعمى عن الحقيقة تماماً، وقد اشاروا الى تأثير هذا البيان على السكان في الاراضي المحتلة. وبهذا الصدد تقول صحيفة دي فلت اليمينية المؤيدة لاسرائيل ان «القليل من العرب حضروا الى اماكن اعمالهم في اسرائيل»[٢١]. وتضيف ان «العرب مكثوا في منازلهم ليتتبعوا الاخبار من اذاعات القاهرة وبيروت ودمشق». ويعبر موشيه تافور مراسل صحيفة فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ في اسرائيل عن الرأي نفسه «بأن الفلسطينيين في الاراضي المحتلة اظهروا اهتماماً كبيراً بالاحداث. وقد سارت الحياة في القدس (الشرقية) كالمعتاد دون اضطراب، الا انهم كانوا يتجنبون اتخاذ موقف علني من الاحداث». ولكن تافور لا يشرح الاسباب التي دعت الفلسطينيين الى عدم مصارحته بما يجيش في صدورهم، فيكتفي بالقول «لربما يتبادلون الاخبار فيما بينهم، أما امام الاجانب فهم منغلقون»[٢٢].

---

(١٧) *SZ*, 15/10/1973.

(١٨) *SZ*, 17/10/1973, and Münchhausen, *FAZ*, 18/10/1973.

(١٩) المصدر نفسه.

(٢٠) *Free Palestine* (London), (November 1973).

(٢١) *Die Welt*, 9/10/1973.

(٢٢) Tavor, *FAZ*, 9/10/1973.

ب ـ اهمية المقاومة على خلفية الممارسات الاسرائيليـة في الاراضـي المحتلـة

لم تكن الصحافة الالمانية توافق او تقدر المقاومة المدنية والعسكرية التي يبديها الشعب الفلسطيني الرازح تحت الاحتلال ضد قوات الاحتلال الصهيوني. وتصف دير شبيغل اعمال الفدائيين الفلسطينيين في الاراضي المحتلة بـ «الاعتداءات والتهديدات بالموت في غرب الاردن»[٢٣]. وتضيف المجلة بأن «الفلسطينيين قاموا بشن اكبر موجة ارهاب منذ ثلاثة اعوام في الاراضي المحتلة فهم يطلقون النار على شرطي اسرائيلي في رام الله، ويزرعون الالغام في الخليل، ويرسلون لحاكم طولكرم راديو ترانزستور ملغوماً بالمواد المتفجرة. ويهددون المتعاونين بالموت من مكبرات الصوت فوق المآذن. وقد بدا وكأن التحرير بالنسبة للفلسطينيين تحت الاحتلال منذ ١٩٦٧ اصبح وشيكاً»[٢٤].

إن ما ادعاه منشهوزن في مقالته هذه في صحيفة فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ في ١٨ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ من ان منظمة التحرير الفلسطينية لم تستطع تشكيل المنظمات السرية في الاراضي المحتلة هو مجرد ادعاء.بعيد عن الحقيقة ولا اساس له من الصحة. والدليل يشير الى فعاليات المنظمة العسكرية والسياسية التي لم تتوقف لحظة واحدة في تلك المناطق منذ حرب ١٩٦٧. يضاف الى ذلك نشاط الجبهة المتحدة الوطنية الفلسطينية التي تضم جميع القوى والاحزاب في الاراضي المحتلة لمقاومة الاحتلال. إن المحاولات الاولى لتأسيس هذه الجبهة تمت بعد حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧ مباشرة، الا انها لم تتكلل بالنجاح لفترة طويلة بسبب ما واجهته من الصعوبات، والعراقيل واختلافات الرأي في طريق عملية بناء هذه الجبهة والتي لم يتم التغلب عليها الا بعد ان اهاب المجلس الوطني الفلسطيني الذي انعقد في نيسان / ابريل ١٩٧٣ بجميع القوى والاحزاب ان تتحد لبناء هذه الجبهة التي صاغت برنامجها اخيراً وأصدرته في آب / اغسطس ١٩٧٣[٢٥]، واعتبرت تنظيمها جزءاً من الجبهة الوطنية المتحدة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، واتخذت من برنامج منظمة التحرير الفلسطينية الأسس السياسية التي تنطلق منها المقاومة ونضال الشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة. وقد قامت سلطات الاحتلال الاسرائيلي في ١٠ كانون الاول / ديسمبر ١٩٧٣ بإبعاد ثمانية من قادة هذه الجبهة الى خارج الاراضي المحتلة لقيامهم بالتحريض «ضد الاحتلال» و «التعاون» مع الفدائيين[٢٦].

---

(٢٣) *Der Spiegel*, no. 51 (17 December 1973).

(٢٤) المصدر نفسه.

(٢٥) ترجم هذا البرنامج الى اللغة الالمانية في: مجلة الثورة (بون)، العدد الاول (١٩٧٤)، ص ٨، والناطقة باسم لجنة نصرة فلسطين.

(٢٦) دخل ثلاثة من هؤلاء الثمانية اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية في مؤتمر المجلس الوطني =

إن المقاومة في الاراضي المحتلة تعاني قمع سلطات الاحتلال الاسرائيلي وارهابها ضد اي تعبير ومهما كان عن الروح الوطنية الفلسطينية وبوحشية لا مثيل لها. ويكشف عدد السجناء والمعتقلين الفلسطينيين في السجون الاسرائيلية عن ابعاد وعمق المقاومة الشعبية الفلسطينية للاحتلال. إن صحافة المانيا الاتحادية لا تذكر ابداً اولئك السجناء والمعتقلين السياسيين الفلسطينيين في السجون الاسرائيلية ـ هذا، واذا تطرقت الى الحديث عنهم ـ فانها تنعتهم «بالارهابيين» الذين يستحقون ما ألحق بهم من عقاب. ولا تشير هذه الصحافة لا من قريب ولا من بعيد الى التعذيب والمعاملة المأساوية واللاانسانية التي يتعرض لها السجناء والمعتقلون الفلسطينيون في السجون الاسرائيلية تلك المعاملة التي فضحتها المؤسسات الدولية المعروفة بنزاهتها. إن هذا السكوت عمّا يلاقيه هؤلاء السجناء والمعتقلون الفلسطينيون من تعذيب او اضطهاد تقابله الضجة الاعلامية في صحافة المانيا الاتحادية دفاعاً عن اسرى الحرب الاسرائيليين في كل من سوريا ومصر خلال الحرب.

ثانياً: المعتدلون والمتطرفون

تعمد صحافة المانيا الاتحادية الى تصنيف الفلسطينيين بين معتدلين ومتطرفين كما صنفت القادة العرب، ولكنها لا تتوانى عن اتخاذ الموقف المؤيد الى جانب من دعتهم بالقادة العرب المعتدلين ضد خصومهم المتطرفين، بينما لا تقف هذا الموقف مع من تدعوهم بالمعتدلين بين الفلسطينيين. وقد حاول كونتسلمان مراسل صحيفة «دي تسايت» الاسبوعية (وهو ايضاً مراسل التلفزيون الالماني البرنامج الاول[٢٧]) ان يدلو بدلوه في هذا الموضوع اكثر من مرة. ويقول كونتسلمان في تقرير له في صحيفة «دي تسايت» في ٧ كانون الاول / ديسمبر ١٩٧٣ ان الفلسطينيين «متفقون في تحديد هدف نضالهم، الا انهم يختلفون باتخاذ وسائلهم النضالية». ومن اجل ان يؤكد مقولته هذه فإنه يقارن بين السيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية والقائد العام لقوات الثورة الفلسطينية، والدكتور جورج حبش الامين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. ويرى كونتسلمان بأن عرفات وحبش يهدفان الى «تدمير اسرائيل، الدولة اليهودية» و«اقامة الدولة الفلسطينية على الارض الاسرائيلية ـ يعيش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود ضمن حقوق متساوية»[٢٨]. ويقول كونتسلمان ان اي انحياز عن هذا الهدف يعتبره الفلسطينيون

= الفلسطيني الذي انعقد في بداية حزيران / يونيو ١٩٧٤ في القاهرة، وهم: د. وليد قمحاوي، عبد المحسن ابو ميزر، وعبد الجواد صالح.

(٢٧) اي ان رسالته التلفزيونية كانت تعتمد الى حد كبير، ان لم تتطابق في بعض الاحيان مع كتابته الصحفية في الصحيفة المذكورة.

(٢٨) Konzelmann, *Die Zeit*, (2 November 1973), and (7 December 1973).

استسلاماً: وهو يأسف لأن الفلسطينيين ـ مثلاً ـ رفضوا اقتراح الرئيس المصري السابق انور السادات حول اقامة حكومة منفى تشارك «في المحادثات حول مسائل الحرب والسلام»(٢٩). ومن هذا التشويه للحقائق بين «الأرض الاسرائيلية» والدولة الفلسطينية، التي ستخلق في نظره على انقاضها، وإزجاء أسفه لرفض قيام حكومة منفى يتساءل كونتسلمان: من هم اولئك الذين يمثلون الفلسطينيين؟ وهو ينقل هذا التساؤل على لسان المصريين والسوريين!

ويستنتج قائلاً: انه «نظراً لخلافات الرأي الموجودة داخل منظمة التحرير الفلسطينية فإن الناطق باسم الفلسطينيين هو الملك حسين، وأن اغلبية الفلسطينيين ليس لها اي اعتراض على ذلك، لأن معظم اللاجئين الفلسطينيين يعيشون في الاردن»(٣٠). ويثني كونتسلمان على الملك حسين لأنه الوحيد الذي قدم اقتراحاً في هذا الصدد حيث اقترح الملك حسين في نيسان/ابريل ١٩٧٢ ان تصبح المملكة الاردنية اتحاداً فدرالياً. وكما اورد كونتسلمان في اطار هذا الاقتراح «يقيم الفلسطينيون على الضفة الغربية للاردن المحتلة حالياً دولتهم الخاصة بهم بالاتحاد مع دولة الاردن الراهنة في اطار دولة كبرى ينال الجزء الفلسطيني ضمنها على حقوق الحكم الذاتي»(٣١). وبالتالي يرى كونتسلمان ان الملك حسين لا يأخذ بعين الاعتبار حرص الفلسطينيين في الحفاظ على كيانهم فحسب، وانما يأخذ بعين الاعتبار ايضاً حرص الاسرائيليين الذين لا يريدون ان يشهدوا قيام دولة فلسطينية(٣٢).

ويضيف كونتسلمان بأن الملك حسين منذ حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧ وهو يوطد علاقاته الجيدة مع الوجهاء الفلسطينيين في الاراضي المحتلة، اولئك كانوا يؤيدون الملك سابقاً. الا ان موقف الملك حسين في حرب تشرين الاول / اكتوبر خيّب آمالهم، لعدم اشتراكه في الحرب ولكن مع هذا يعمل حثيثاً ليتقبله الاعيان «كناطق حول القضية الفلسطينية، بالرغم من ان احداً لم يكلفه بهذه المهمة»(٣٣).

---

(٢٩) المصدر نفسه.

(٣٠) المصدر نفسه.

(٣١) المصدر نفسه.

(٣٢) اعلنت رئيسة وزراء اسرائيل السابقة غولدا مائير للتلفزيون الامريكي بأن موطن الفلسطينيين هو الاردن. وقد نقل هذا الرأي في الصحافة الالمانية.. انظر: M. Schröder, *SZ,* 30 / 10 / 1973.

(٣٣) Konzelmann, *Die Zeit,* (7 December 1973), and *Der Spiegel,* no. 51 (17 December 1973).

ويقول «سيكون» مراسل دي فلت حول علاقات الفلسطينيين مع الاردنيين «منذ ١٩٤٨ والشعبين يعيشان معاً في الاردن، اذ ان اوجه الشبه بينهما كتلك التي بين سكان مقاطعة نيدرسكسن (Niedersachsen) الالمانية ومقاطعة الباسك اي بين البدو والفلسطينيين، ومعروف ان البدو اوفياء للملك، وهم اشداء، ومتمسكون بالتقاليد بينما يقف الفلسطينيون ضد الملكية وهم حيويون وعصريون ومتطرفون ايضاً»: Cycon, *Die Welt,* 15 / 10 / 1973.

ويؤكد كونتسلمان بأن الفلسطينيين في الاراضي المحتلة يطالبون بتقرير المصير والتحرر «من الاسرائيليين ومن الملك حسين». وبالرغم من تأييده السابق للاتحاد الفدرالي بين الاردن والضفة الغربية الا ان كونتسلمان يرى نفسه مضطراً ليعترف بأن فكرة الاتحاد على اساس مقترحات الملك حسين «ليس لها اي قدرة حياتية»(٣٤).

ويقول كونتسلمان «ان هناك عدداً قليلاً من الرجال الاذكياء من منظمة التحرير الفلسطينية، ممن يأسفون لإهمال العامل السياسي من اجل الاستراتيجية العسكرية»(٣٥). ومن الاسباب التي يراها كونتسلمان ان «مقدرة التصور السياسي وثراء الافكار لم يكن الجانب القويّ لدى القيادة الفلسطينية»(٣٦). وقد اغتال الاسرائيليون في وسط بيروت كلاً من كمال ناصر وكمال عدوان وابو يوسف النجار «الرؤوس الذكية» في المقاومة. اما خالد الحسن احد قياديي حركة فتح وروحي الخطيب رئيس بلدية القدس العربية حتى قبيل ابعاده عام ١٩٦٩، فهما محسوبان على هذه «الرؤوس الذكية» في القيادة الفلسطينية ايضاً. ويقول كونتسلمان ان خالد الحسن يتوقع ان تقدم الولايات المتحدة دعماً مالياً للفلسطينيين في حالة السلام، لهذا فهو يرغب في قيام الدولة الفلسطينية على الضفة الغربية وستقدم الولايات المتحدة لهذه الدولة مساعدة تشبه المساعدة التي قدمت الى اوروبا الغربية ضمن «خطة مارشال للتنمية» بعد الحرب العالمية الثانية. ويؤكد كونتسلمان ان خالد الحسن يعتقد بأن الفدائيين سيهدأون في حال قيام مثل هذه الدولة، لهذا فقد اتهمه السيد ياسر عرفات قبل حرب تشرين الاول / اكتوبر «بالتخاذل وجرده من مسؤولياته» حسب قول كونتسلمان. إلّا ان خالد الحسن عاد الى الظهور بعد حرب تشرين الاول / اكتوبر وبالتحديد في مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في الجزائر في شهر تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٣. ويعتقد كونتسلمان أن السيد خالد الحسن يقيم من خلال السيد روحي الخطيب علاقات جيدة مع وجهاء الاراضي المحتلة. وحسب معلومات الصحفي الالماني ان الملك فيصل اعلن تأييده «للديبلوماسي خالد الحسن» الذي يطالب ان تكون القدس العربية عاصمة الدولة الفلسطينية القادمة وهذا ما يؤيده الملك فيصل ايضاً(٣٧).

ثالثاً: تقويم طروحات الحلول للقضية الفلسطينية

لقد كان لاندلاع القتال مرة اخرى وانهيار وقف اطلاق النار بعد قبول قرار مجلس

---

(٣٤) Konzelmann, *Die Zeit*, (7 December 1973).

(٣٥) المصدر نفسه.

(٣٦) Konzelmann, *Die Zeit*, (2 November 1973).

(٣٧) Konzelmann, *Die Zeit*, (7 December 1973).

الامن رقم ٣٣٨ (٢٢ تشرين الاول / اكتوبر١٩٧٣)من قبل الدول المشاركة في الحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة، اثره في دفع بعض الصحفيين الى الكتابة حول القضية الفلسطينية وعن المصاعب المحيطة بتلك القضية. وقد لخّص كل من هارالد فوكه وموشيه تافور وكلاهما من صحيفة فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ في مقالين لهما ـ الاول في ٢٤ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣، والثاني في ٢٥ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ ـ القضية الفلسطينية تحت عنوان «الموضوع هو حدود اسرائيل». كما توصل كل من هيغرت في مقالاته التي نشرها في صحيفة «زود دويتشه تسايتونغ» في ١٣ و ٢٠ و ٢٥ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ ورول في مقاله في صحيفة «دي تسايت» الاسبوعية بتاريخ ٢٦ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ الى نتيجة مشابهة لتلك التي توصل اليها كل من فوكه وتافور. بالنسبة لهؤلاء الصحفيين فإن «الموضوع هو أمن اسرائيل».

وقد عرض الصحفيون الألمان الغربيون القضية الفلسطينية والحروب التي اشتعلت من اجلها خلال ربع قرن من الزمان، كما لو انها حرب خلاف على الحدود بين اسرائيل من جهة و«جاراتها» العربيات من جهة ثانية. وبالرغم من ان فوكه ورول يريان بأنّ النزاع بين إسرائيل وجاراتها العربيات لم يكن ابداً نزاعاً حول الحدود فحسب، وإنما حول تصميم اسرائيل على فرض وجودها في العالم العربي الذي يرفض قبولها[٣٨]، الا انهما يشرحان القضية الفلسطينية باعتبارها مجرد «خلافات حدودية»، فاذا ما تم التوصل الى حلها فإن إحلال السلام في الشرق الاوسط يصبح أمراً ممكناً. وبالتالي فإن هؤلاء الصحفيين يتناسون بأن اساس القضية الفلسطينية هو طرد الشعب الفلسطيني من أرضه وإقامة الكيان الصهيوني على تلك الارض وتحويل الجزء الاكبر من الشعب الفلسطيني إما إلى لاجئين في الدول المجاورة أو مواطنين بلا مواطنية تحت الاحتلال.

ويحاول فوكه ان يشرح سبب رفض العالم العربي لقبول اسرائيل ويرجعه الى «خوف الجانب العربي من نزعة اسرائيل التوسعية، وخوفه من دولة اسرائيلية كبرى قد تمتد يوماً من الفرات الى النيل». ويقول فوكه ان العرب تأكدوا من النزعة الاسرائيلية هذه خلال تصريحات الساسة الصهاينة.

أما اسرائيل فيقول فوكه «منذ الحرب العربية ـ الاسرائيلية الاولى وهي تأخذ في حسبانها تهديد جيرانها المعادين لها، وقد تبنت موقفاً يصور احتياجها الى العمق لتحمي نفسها من هجوم الجيوش العربية»[٣٩]. ويلخص رول هذا الموقف في مقاله في صحيفة «دي تسايت» في ٢٦ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ في اربع نقاط:

(٣٨) Vocke, *FAZ*, 24 / 10 / 1973, and Ruehl, *Die Zeit*, (26 October 1973).

(٣٩) Vocke, Ibid.

١ ـ الاعتراف بخطوط الحدود القائمة منذ عام ١٩٤٩ على انها حدود دولية من قبل جميع الدول العربية المجاورة.

٢ ـ انهاء حالة الحرب الرسمية التي تفرضها الدول العربية كالمقاطعة والحصار اي تأمين الوصول الحر الى البحار والممرات المائية بما فيها قناة السويس ومضيق تيران.

٣ ـ التخلي عن التهديد او استعمال العنف من قبل جميع دول الشرق الاوسط.

٤ ـ عدم تدخل القوى الاجنبية والتخلي ـ خاصة ـ عن المساعدات العسكرية التي تزيد من مستوى التسليح على المستوى الدولي المقبول.

ويقول رول ان هذه السياسة الامنية تتكون من ثلاثة اسس خاصة ـ منذ منتصف الخمسينات ـ عندما زودت سوريا ومصر بالاسلحة السوفياتية؛ وهذه الأسس هي:

ـ الاعتماد على الدفاع الذاتي في الحصول على النوعية العسكرية الارقى.

ـ ان تتفوق هذه النوعية على التقنية العسكرية العربية وزيادتها كلما دعت الحاجة الى ذلك.

ـ تحالف سياسي مع الولايات المتحدة والحصول على مساعدات عسكرية امريكية.
ويقول رول ان اسرائيل تفترض ان الولايات المتحدة ستضمن امنها عبر كل الظروف ومدها بالسلاح في الحالات الحرجة وفي اقصى الظروف حرجاً تقف الى جانبها عسكرياً وتأمن الاتصال الحر لها مع العالم الخارجي. لذلك يرى هذا الصحفي ان النقطة المهمة الاساسية في تعريف امن اسرائيل سياسياً حتى عام ١٩٦٧ هي «القبول بالحدود القائمة مع الدول العربية» بالرغم من وجود ثغرتين أولاهما: الحدود القائمة غير مؤاتية بالنسبة للدفاع عن اسرائيل نظراً «لالتواء (هذه الحدود)، والنقص في العمق الجغرافي للمستوطنات الاسرائيلية ما بين الحدود والبحر». «والثانية أن هذه الخطوط الحدودية لا تقدم أي بعد أمنيّ، ولا تسمح بوقتٍ كافٍ للتحضير العسكري، ولا توفر العمليات العسكرية القائمة سوى مجال ضيق للمناورات في الجنوب»[٤٠].

ويفسّر هيغرت في جريدة زود دويتشه تسايتونغ اصرار اسرائيل على اعتراف الدول العربية بحدودها نظراً لتجربتها التاريخية منذ قيام اسرائيل في عام ١٩٤٨[٤١].

ويقول: لا يمكن لأحد ان يأخذ على اسرائيل مطالبتها المستمرة باجراء محادثات

(٤٠) Ruehl, Ibid.
(٤١) Heigert, *SZ*, 13/10/1973.

مباشرة مع الدول العربية «من اجل الاعتراف المتبادل وتثبيت الحدود النهائية عن طريق التحكيم». إذ أن الحدود القائمة ـ حسب رأيه ـ ليست «حدوداً حقيقية للدّولة» إنها مجرد خطوط لوقف اطلاق النار للأعوام ١٩٤٩ و١٩٥٦ و١٩٦٧ «ولعام ٧٣ إن شاء الله»[٤٢]، وهذه لا تشكل حدوداً دولية معترفاً بها لسيادة الدولة. ويدّعي هيغرت ان اسرائيل كانت مستعدة لاجراء مثل هذه المفاوضات، أما الجانب العربي فلم يرفض قبولها فحسب، وإنما دعا حتى عام ١٩٦٧ الى تدمير دولة اسرائيل[٤٣].

ويعتقد صحفيو ألمانيا الغربية بأن هزيمة الدول العربية وانتصار اسرائيل في حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧ طرحت مشكلة امن اسرائيل، وخط سير حدودها على بساط البحث من جديد. إذ ان الصعوبات التي تجسدها هذه المشكلة انعكست على الصعوبات في المناقشات التي قادت الى تبني قرار ٢٤٢ (٢٢ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٦٧) في مجلس الامن من قِبَل الدول المشاركة في الحرب العربية ـ الاسرائيلية والدول الاعضاء في مجلس الامن. واعتبر هذا القرار هو «قرار طوارىء للوصول الى اسس مشتركة للتخفيف من حدة التوتر في الشرق الاوسط»[٤٤]. وقد اتضحت الصعوبات مباشرة في بروز الخلافات في تفسير نص القرار، حيث يتحدث النص الانكليزي للقرار عن انسحاب القوات الاسرائيلية «من أراضٍ احتلتها في الحرب الاخيرة» بينما يتحدث النص الفرنسي والاسباني عن انسحاب القوات الاسرائيلية «من الاراضي التي احتلتها في الحرب الاخيرة» ـ اي من جميع الاراضي العربية المحتلة. وقد تبنت الدول العربية مدعومةً بالموقف السوفياتي النّص الفرنسي وتبنت اسرائيل مدعومةً بالموقف الامريكي النّص الانكليزي للقرار. ويعتقد فوكه ان الصعوبة تكمن في نص القرار ويقول: «من نافلة القول بأن هذا القرار يطالب بالتخلي عن التهديد وأعمال العنف من اجل تمهيد الطريق للوصول الى السلام الدائم. وقد ظل الامر غير واضح حول كيفية توصل اسرائيل وجاراتها العربيات الى المصلحة المشتركة»[٤٥].

وبالرغم من أن الحصول على الأراضي بقوة السلاح هو امرٌ مرفوض في مقدمة قرار ٢٤٢ إلّا أن الحكومة الاسرائيلية تصر على الاحتفاظ باراضٍ مهمّة احتلتها في حرب حزيران / يونيو معلّلة ذلك بأسباب مختلفة. فهي تريد الاحتفاظ بالقدس الشرقية لأسباب سياسية ودينية، كما أنها تريد توسيع المواقع الاسرائيلية حول المدينة لتؤمن سيطرتها عليها. وهي تدّعي ايضاً الاحتفاظ بمرتفعات الجولان لتحمي مستوطناتها الواقعة في تلك

---

(٤٢) المصدر نفسه.
(٤٣) المصدر نفسه.
(٤٤) Vocke, *FAZ*, 24/10/1973.
(٤٥) المصدر نفسه.

المنطقة[٤٦]. وهي ليست على استعداد للتخلي عن قطاع غزة او ارجاع شرم الشيخ الواقع على بوابة مضيق تيران لأسباب عسكرية ولأنه يربط اسرائيل بالبحر الاحمر اي يمنحها مدخلاً حراً نحو العالم الخارجي.

وقد حاولت اسرائيل تثبيت رفضها لهذا القرار من خلال تفوقها العسكري. ويأتي فوكه ليقول، متحيّزاً بأن الحدود التي ستنسحب اليها القوات الاسرائيلية «بكل حرية يجب ان تكون قبل كل شيء حدوداً آمنة، أي آمنة استراتيجياً»[٤٧]. ويقول إن جميع الدول في الشرق الاوسط لها الحق، حسب قرار ٢٤٢ في العيش ضمن حدود آمنة ومعترف بها. إن إسرائيل تريد الحصول على حدودها المعترف بها من خلال «المفاوضات مع جيرانها العرب»[٤٨]. على العكس من فوكه فإن هيغرت (في صحيفة زود دويتشه تسايتونغ) يتهم الدول العربية برفض البنود الاساسية في القرار. ويشير الى ما قرره قادة الدول العربية في الخرطوم حول «عدم الاعتراف باسرائيل وعدم اجراء اية مفاوضات سلمية ومطالبتهم دوماً بحق اقامة وطن للفلسطينيين». ويرى هيغرت بأن اسرائيل في المقابل كانت على استعداد «لتنفيذ جميع قرارات مجلس الامن من خلال المفاوضات الملائمة، اي التوصل الى اتفاقات مع جيرانها وليس مجرد تلبية مطالب الانسحاب فقط»[٤٩]. ولكنه من الضروري ان يتم التأكيد هنا بأن مقولة هيغرت تتضمن حقائق خاطئة:

١ ـ ان هيغرت يرى في مؤتمر القمة العربي الذي عقد في الخرطوم عام ١٩٦٧ سبباً لرفض الحكومات العربية لتنفيذ قرار ٢٤٢. ولو ان السيد هيغرت محّص النظر في التواريخ التي صدر فيها قرار ٢٤٢ او انعقد فيها مؤتمر القمة العربي لوجد ان انعقاد القمة العربية كان بين ٢٢ آب / اغسطس وايلول / سبتمبر ١٩٦٧ في العاصمة السودانية، وأن قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ تم اتخاذه في ٢٢ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٦٧. وبالتالي فإن الحكومات العربية بموافقتها من الناحية القانونية على قرار ٢٤٢ ألغت ما تم الاتفاق عليه في قمة الخرطوم[٥٠].

٢ ـ ان الادعاء بأن اسرائيل كانت على استعداد لتنفيذ كل القرارات هو مجرد تشويه للحقائق، خاصة وأن هناك تفسيرين للقرار. وكما يبدو فإن هيغرت تبنى التفسير الاسرائيلي المبني على النص الانكليزي.

---

(٤٦) Ruehl, *Die Zeit*, (26 October 1973).

(٤٧) Vocke, *FAZ*, 24/10/1973.

(٤٨) المصدر نفسه.

(٤٩) Heigert, *SZ*, 20/10/1973.

(٥٠) Hansotto Asserhofer, «Chornologie des arabish-israelischen Konflikts seit dem Schestagekrieg bis Mitte 1973,» in: C. C. Schweizer und M. Nemitz, *Krisenherd Nahost* (Köln: Markus Verlag, 1973), p. 260.

ويقول فوكه إن الحكومة الاسرائيلية تركت الباب مفتوحاً امام تحديد الحدود التي ستطالب بها في المفاوضات مع الدول العربية. واستمرت الحكومة الاسرائيلية باتخاذ هذا الموقف حتى بعد قبولها قرار ٣٣٨ (١٩٧٣) المبني على قرار ٢٤٢ (١٩٦٧) والذي يطالب في بنده الثاني الأطراف المشاركة بالحرب بتنفيذ القرار. ولكن الحكومة الاسرائيلية لم توافق على قرار ٣٣٨ إلّا ضمن شرط اساسي وتصرّ فيه على تفسيرها لقرار ٢٤٢ (١٩٦٧)، كما اوضحته «في موافقتها على مبادرة الولايات المتحدة في آب / اغسطس ١٩٧٠، وكانت تهدف الى وقف اطلاق النار، وكما أوضحتها في ٤ آب / اغسطس ١٩٧٠ امام الامم المتحدة وشرحتها في اليوم نفسه، رئيسة وزراء اسرائيل غولدا مائير امام الكنيست»[٥١]. قالت مائير في خطابها امام الكنيست إن العودة لحدود ما قبل ٤ حزيران / يونيو ١٩٦٧ امر غير وارد اطلاقاً، لأن اسرائيل لا تملك حدوداً آمنةً او معترفاً بها. يقول تافور ان «اسرائيل ستنسحب فقط إلى حدود آمنة ومتفق عليها، ومعترف بها»[٥٢]. وينتقد هيغرت قرار ٣٣٨ لعام ١٩٧٣ لأنه لم يتّضح من خلاله الى اين يتوجب على الاسرائيليين ان ينسحبوا. وهل يتحتم عليهم الانسحاب قبل بدء مفاوضات السلام او خلالها، أو بعد عقد اتفاقية السلام[٥٣].

لقد استطاع صحفيو المانيا الاتحادية ان يدركوا مدى التغيير في المواقف العربية المتعلقة باسرائيل قبل حزيران / يونيو ١٩٦٧ وبعدها. فقد اصبح موقفها قبل تلك الحرب من عدم الاعتراف وعدم قبول دولة اسرائيل الى ازالة آثار العدوان بعد الحرب اي استرجاع الاراضي التي احتلتها اسرائيل خلال تلك الحرب. وقد اشارت الى ان مصر عبد الناصر ومصر السادات اكثر من مرة ـ حسب رأي بوخالا ـ مراسل زود دويتشه تسايتونغ «بأنها على استعداد لقبول بعض التصحيحات البسيطة التي تفي باحتياجات اسرائيل الامنية في الحدود». كما اعلنت مصر عن استعدادها ايضاً «بقبول المناطق المنزوعة السلاح على طول حدود السلام النهائية»، وقبولها بوضع قوات من الامم المتحدة في هذه المناطق وفي شرم الشيخ[٥٤]. واشارت جريدة «دي تسايت» في ١٩ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ الى أن مصر أبدت استعدادها في شباط / فبراير ١٩٧١ لأول مرة للاعتراف باسرائيل مباشرة بعد الجلاء عن شبه جزيرة سيناء، إلّا أن اسرائيل ـ حسب رأي الصحيفة ـ لم تتجاوب مع هذا الاستعداد[٥٥].

ويشير هيغرت ايضاً الى ان الاردن، مثلها مثل مصر، اعلنت عن استعدادها

(٥١) Vocke, *FAZ*, 24/10/1973.
(٥٢) Tavor, *FAZ*, 25/10/1973.
(٥٣) Helgert, *SZ*, 25/10/1973.
(٥٤) Buchalla, *SZ*, 23/10/1973.
(٥٥) *Die Zeit*, (19 October 1973).

للتفاوض مع اسرائيل في حالة الجلاء عن الضفة الغربية. وأن الملك حسين اجتمع مع السياسيين الاسرائيليين(٥٦)، وأعلن في نيسان / ابريل ١٩٧٢ عن اقامة اتحاد فدرالي بين شرق الاردن والضفة الغربية. وفي ذلك اشارة لاسرائيل بأن الاردن على استعداد للقبول بسلام منفرد مع اسرائيل. إلاّ أن اسرائيل فوتت هذه الفرصة المُتاحة لها(٥٧).

وكما يرى الصحفيون أن سبب هذه الظاهرة، اي ظاهرة الاستعداد للتفاوض مع اسرائيل وقبولها في المنطقة العربية كان نتيجة لما عانته الدول العربية من تجربة مُرة في حروبها مع اسرائيل. وبالرغم من ان بعض الدول العربية لم تصل بعد الى الاستعداد المذكور، إلاّ ان تصريح الشيخ محمد آل خليفة، وزير خارجية البحرين في ١٩ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٣ لمجلة «دير شبيغل» يعكس هذا الاتجاه العام الطارىء على مواقف الدول العربية، وكان التصريح رداً على سؤال هيلموث زورغه(Helmut Sorge) مراسل المجلة فيما اذا كانت البحرين على استعداد للاعتراف باسرائيل كدولة؟ وكان جواب وزير الخارجية: «اننا نتبع قرارات الامم لمتحدة، واننا نضمن الحدود الآمنة التي تطالب بها اسرائيل باستمرار»(٥٨).

وبناء على تحليلاتهم يتوصل الصحفيون الالمان الثلاثة، فوكه (فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ) وهيغرت (زود دويتشه تسايتونغ) وروك (دي تسايت) الى حلول مختلفة للقضية الفلسطينية من اجل التوصل الى السلام. ويرى فوكه من الممكن التوصل الى حل فقط باتفاق الدول النووية اي الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بالضغط على الاطراف المتنازعة في الشرق الاوسط «للجلوس نهائياً الى طاولة المفاوضات وسيكون موضوع النقاش، اولاً وقبل كل شيء، حدود اسرائيل المستقبلية»(٥٩).

ويقترح هيغرت برنامجاً من اربع نقاط، يرى فيه الامل المرتجى لتعبيد الطريق نحو السلام. وكما يدّعي فمن الممكن البدء بايجاد حلول «للمشاكل الصغيرة» بين الدول المشاركة في الحرب، تجنباً للمآسي غير الضرورية. أما المشاكل الصغيرة التي يتناولها هيغرت فهي في الواقع جزء اساسي من المشاكل الكبيرة التي لم يتم التوصل الى ايجاد الحلول لها. اما المشاكل الصغيرة كما يراها ـ حسب رأيه ـ فهي:

١ ـ أن «يتخلى السوريون بشكل نهائي عن القطاع الضيق اي عن مرتفعات الجولان». ويعتقد هيغرت ان بامكان السوريين ان يتخلوا عن مرتفعات الجولان لخلوّها من اي ثروة معدنية

(٥٦) Heigert, *SZ*, 13/10/1973.

(٥٧) *Die Zeit*, Ibid.

(٥٨) نص المقابلة في: *Der Spiegel*, no. 47 (19 November 1973).

(٥٩) Vocke, *FAZ*, 24/10/1973.

تذكر، وهي «غير مسكونة بالعرب وإنما يقطنها الدروز والشركس وفي هذه الظروف بعض اليهود».

٢ ـ ليس هناك اية «مشاكل قومية» تذكر بين مصر واسرائيل وبالامكان «تحييد النقطة الاستراتيجية المهمة على القطب الجنوبي من سيناء» اي شرم الشيخ، «دون اي مضاعفات كبيرة»، ويعطي هيغرت مقابل ذلك حقوق النفط في سيناء الى مصر.

٣ ـ اما «العرب الذين يعيشون في مدينة غزة وحولها» (وهو يعني بذلك العرب الفلسطينيين) فانهم يسببون لهيغرت مشكلة صعبة. فهو يعترف لهؤلاء العرب ـ على طريقته الخاصة ـ «بحق اقامة وطن فلسطيني حقيقي لهم» لأنهم ليسوا من المصريين او الاردنيين. كما يجب ترك «المستقبل مفتوحاً امامهم». وعلى الاسرائيليين والدول الصناعية الغنية ان تساعد في هذا المضمار. وعلى سكان هذه المدينة وما حولها ان يقرروا وحدهم الى أين يريدون الانضمام، الى اسرائيل او الاردن او الى مصر(٦٠). وفي مقال آخر يقترح هيغرت حل جميع المشاكل التقنية والاجتماعية للاجئين الفلسطينيين بمليارات دولارات الدول النفطية غير المحدودة والمودعة في المصارف الاجنبية. وبهذه المليارات يمكن استثمار الصحاري واقامة المنشآت الصناعية(٦١).

٤ ـ يرى هيغرت ان المشاكل الصعبة التي يجب ان تجد لها حلولاً هي تلك المشاكل القائمة بين الاردن واسرائيل. «الدولتين اللتين حاولتا حتى الآن تجنب شن حرب ضد بعضهما البعض». ويرى هيغرت انها «الفرصة، حتى وان لم تكن غير واضحة وواهية، من اجل تحقيق اتحاد فدرالي اجتماعي واقتصادي بين اسرائيل والمناطق الفلسطينية غرب نهر الاردن، ودولة الاردن الصحراوية الواقعة شرق النهر»(٦٢).

ولا يجد رول ان تعبيد الطريق للسلام في الشرق الاوسط مرتبط في الجانب العسكري كرد على البحث عن الحدود الآمنة. وهو يرى ان الاعتراف بدولة اسرائيل من جميع الاطراف ضمن حدودها لعام ١٩٤٩، مقروناً بالتخلي عن العنف، أهمّ من اي حدود عسكرية استراتيجية. إنه لأمر ضروري «لأن الأمن العسكري لا يمكن تحقيقه ما لم تتوفر القوة الضاربة والاستعداد لاستخدام القوات المسلحة بشكل مباشر وناشط، مقروناً بمقدرة عالية من التعبئة العامة للقوات الاحتياطية والتسليح الحديث، التسليح الحربي الكافي». ويعتقد رول ان هذا التسلح والوضع العسكري لدى الطرفين، العربي والاسرائيلي، يعني «وجود عوامل الاستعداد للحرب بشكل دائم وفي وضع ملبّد بالحرب».

---

(٦٠) Heigert, *SZ*, 13/10/1973.

(٦١) Heigert, *SZ*, 20/10/1973.

(٦٢) Heigert, Ibid.

إن المعادلة الوحيدة التي يمكن ان تتوفر لها الديمومة، حسب رأي رول وتقود الى السلام هي تلك التي تتضمن «نظاماً امنياً تحت السيطرة الدولية ويضم قوات متساوية، وتسليحاً محدوداً يظل اقل من مستوى التسليح عام ١٩٧٣». وهذا يفترض أساساً انسحاب اسرائيل من الاراضي التي احتلتها في حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧ بما فيها القدس مع بعض التغييرات على الارض، في الجولان وقطاع غزة، مقابل اتفاق سلمي تضمنه الدول الكبرى مقروناً بتخلي الاتحاد السوفياتي عن تزويد الدول العربية بمستوى معين من التسليح(٦٣).

واذا ما تمّ اخفاء الحقيقة من ان نزاع الشرق الاوسط هو في الاساس نزاع بين مطلبين متنافسين، مطلب الصهاينة اي الاسرائيليين من جهة، ومطلب الفلسطينيين لفلسطين من جهة ثانية، فمن المنطقي ان تلجأ صحافة ألمانيا الاتحادية لمعالجة موضوع الفلسطينيين الذي تتنكر له بالاسلوب الذي تراه وتعتبره مجرد موضوع ارهابي ناعتة الفلسطينيين بالارهابيين، اذا ما قاموا بعملياتهم الفدائية ضد المنشآت العسكرية الاسرائيلية. وهكذا تنعت صحيفة «دي فلت» الفلسطينيين بأنهم «التلاميذ النموذجيون للإرهاب»(٦٤). ويصفهم كارل الفرد اودين في رسالته الصحفية التي بعثها من القدس الشرقية في ٢٣ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ بأنهم «معكرو السلام». ويقول شرودر «ان قوات الامن الاسرائيلية أوقعت مجموعة من الارهابيين في الفخ وقتلت اربعة من الفلسطينيين»(٦٥).

ويخطو كوربر من جريدة (دي فلت) وزورغه من مجلة (دير شبيغل) خطوة ابعد فيصفان الفلسطينيين بأنهم مصدر الخطر على امن الدول العربية، ويضيف كوربر قائلاً« في حال تدخل الولايات المتحدة كرد فعل لفرض حظر نفطي عربي ضدها وضد دول اوروبا الغربية فإن العرب قد أشاروا الى وجود عدد كبير من الفلسطينيين العاملين في مصافي تكرير النفط والذين ينتظرون في حال وقوع مثل هذا التدخل الى تنفيذ الاوامر بالتدمير»(٦٦).

ويشير هيلموت زورغه الى الموضوع نفسه قائلاً: «إن دول النفط العربية تخشى الفلسطينيين لأن اولئك المطرودين من اسرائيل، يتحكمون بقسم من الصحافة العربية ويعملون في ادارات تلك الدول»(٦٧).

ولم تتحدث الصحافة الالمانية عن جوهر القضية الفلسطينية او عن طرد الشعب

(٦٣) Ruehl, *Die Zeit*, (26 October 1973).

(٦٤) *Die Welt*, 13/10/1973.

(٦٥) Odin, *FAZ*, 23/10/1973, and Tavor, *FAZ*, 1/11/1973.

(٦٦) Körber, *Die Welt*, 25/10/1973.

(٦٧) Sorge, *Der Spiegel*, no. 50 (10 December 1973), p. 92.

الفلسطيني من ارضه واقامة دولة غربية للمهاجرين الصهاينة على الارض الفلسطينية. إن جوهر القضية الفلسطينية لا يكمن في «النزاعات الحدودية» بين اسرائيل والدول العربية المجاورة لفلسطين او غيرها وحتى لو اقدمت الدول العربية المجاورة على الاعتراف بحدود اسرائيل لعام ١٩٤٩ ومنحها بعض تغييرات على الحدود لصالحها، فإن المشكلة الفلسطينية ستبقى دون حل.

الفصل الخامس

استنتاجات حول صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية

نحاول في هذا الفصل تلخيص العناصر ذات الابعاد الجوهرية في تحديد الصورة العربية في الصحف والمجلات الالمانية الغربية موضوع هذا البحث. مشيرين الى تراجع او تصحيح بعض العناصر السلبية للصورة العربية قبل حرب تشرين الاول / اكتوبر كنتيجة من نتائج هذه الحرب.

لقد تطورت الصورة العربية في اجهزة الاعلام الالمانية الغربية قيد البحث حتى نشوب حرب تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ بشكل يتوازى وتطور العلاقات بين جمهورية ألمانيا الاتحادية واسرائيل من جهة، والعلاقات الألمانية الاتحادية مع الاقطار العربية من جهة ثانية. هذا التطور الذي عرضنا له في الفصل الثاني وقد تصاعد عبر نيّف وعقدين من الزمن (١٩٤٩ - ١٩٧٣)، وتميّز بعلاقات تجنح الى السلبية باستمرار بين جمهورية المانيا الاتحادية والاقطار العربية كنتيجة لمواقف الاطراف من القضية الفلسطينية: ان محاولة الاقطار العربية، وخاصة مصر وسوريا والعراق لمنع حكومة المانيا الاتحادية من الاعتراف باسرائيل وبالتالي منع تبادل العلاقات الديبلوماسية بينهما قوبلت بموقف ألمانيا الاتحادية بإقامة علاقات مع اسرائيل والاقطار العربية على حد سواء، معلّلة موقفها بما حل باليهود من ماسٍ وإبادة في ظل الرايخ الثالث. لذا «وجدت» حكومة ألمانيا الاتحادية نفسها «ملزمة» بهذه الخلفية لتقديم التعويضات لإسرائيل. وبالمقابل فقد اعتبرت البلدان العربية ان تقديم اي مساعدة لاسرائيل يعني توطيد الكيان الاسرائيلي على حساب شعب آخر هو الشعب الفلسطيني.

لقد تبنت أجهزة الإعلام الألمانية الاتحادية - موضوع البحث - موقف حكومة ألمانيا الاتحادية. وقد نُعتت اسرائيل في تلك الصحافة على انها البلد الصغير الشجاع المدافع عن وجوده ضد التهديد العربي. وامتدح الجندي الاسرائيلي عبر هذه الاجهزة الاعلامية

لانجازاته البطولية المتسمة بنكران الذات. وهي ترى بأن الجيش الاسرائيلي حقق النصر تلو النصر. ألم يهزم هذا الجيش «الجيوش العربية» عام ١٩٤٨ و عام ١٩٥٦ وأخيراً عام ١٩٦٧. لقد صورت هذه الصحافة اسرائيل بأنها تمتلك الجيش الأحسن تدريباً، والمسلح بالتقنية الحديثة والمنضبط، والمؤتمن اكثر. ووصفت اسرائيل بأنها بلد الديمقراطية والبناء الصناعي.

وبالمقارنة مع هذه الصورة لاسرائيل فقد صورت هذه الصحافة العرب ونعتتهم بالمتأخرين، وغير المتطورين، وبشكل عام لم يكونوا جنوداً شجعاناً، فهم يفرّون جزعاً امام الجيش الاسرائيلي المنتصر. ويكفي ان نذكّر بتلك الصور المرفقة بالتعليقات السلبية والخاطئة والتي نشرتها صحافة المانيا الاتحادية (وغيرها من صحافة الغرب) عن حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧. وقد عرضت هذه الصور الجنود العرب في سيناء وهم حفاة ـ معلّقة ـ بأنهم تَحفّوْا ليستطيعوا الركض فراراً امام الجيش الاسرائيلي المنتصر. والجندي العربي بالنسبة لهذه الصحافة، لا يُلمّ بالتقنية الحديثة او بالتنظيم الإداري. وأرجعت هذا التخلف الى نمط عقليته الشرقية الغريبة كل الغرابة عن التقنية والتنظيم.

ودانت هذه الصحافة المقاومة ضد الاحتلال الاسرائيلي، ووصمت المقاتل الفدائي الفلسطيني بالإرهاب. وقد توصل كينيت ليفان في دراسته السابقة حول «حرب الشرق الاوسط في صحافة المانيا الغربية» الى ان معظم الصحفيين في الصحف التي درسها أيّدوا سياسة الاحتلال الاسرائيلية.

تلك هي الصورة العربية في الصحف الألمانية الاتحادية ـ قيد البحث ـ وبالتالي في الصحف الأخرى، ما عدا اليسارية منها على قلتها، خلال اندلاع حرب الشرق الأوسط الرابعة في ٦ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ بين اسرائيل من جهة ومصر وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية من جهة ثانية.

لقد كانت الحرب المندلعة والانجازات العسكرية الاولية التي احرزتها الجيوش العربية مفاجئة للصحافة والرأي العام العالمي والمراقبين السياسيين لأحداث الشرق الاوسط. لقد تطرقنا في مقولتنا في بداية هذه الدراسة الى اثر اندلاع الحرب وهذه الانجازات العسكرية الاولية في تغيير المواقف الصحفية في ألمانيا الاتحادية. وقد وجد العاملون في هذه الصحافة انفسهم مضطرين الى الاهتمام الملحوظ بالموقف العربي. وبالرغم من هذا، فإن الموقف المؤيد لاسرائيل في هذه الصحافة وموقف الصحفيين قبل اندلاع الحرب لم يطرأ اي تغيير عليه. لقد أدّى تطور العمليات العسكرية خلال حرب الشرق الاوسط الرابعة الى بروز مرحلتين مهمتين في الكتابة الصحفية في اجهزة الاعلام الالمانية الاتحادية قُرنت كل منها بالصورة التالية عن العرب:

١ ـ وضع الصور المقولبة القائمة حتى اندلاع حرب تشرين الاول / اكتوبر موضع التساؤل.

٢ ـ عودة الى الصور المقولبة القديمة.

وقد بدأت المرحلة الاولى بتحقيق النجاحات العسكرية الاولية للجيوش العربية، وبدأت المرحلة الثانية بالثغرة التي اخترقتها القوات العسكرية الاسرائيلية على الضفة الغربية لقناة السويس.

وبالمقارنة مع حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧ فإن صحافة المانيا الاتحادية لم تصف العرب «بالمعتدين» بالرغم من ان جميع الصحف موضوع هذه الدراسة كانت متفقة بأن العرب كانوا البادئين بالحرب. وبهذا المقدار فقط، فإن هذه الصورة المقولبة عن العرب قد اسقطت في الصحف المعنية بدراستنا. ولم تشر بعد اندلاع حرب تشرين الاول / اكتوبر (انظر دراسة ليفان واتحاد طلاب فلسطين) عن الرأي القائل بأن تدمير دولة اسرائيل كان الهدف المعلن للدول العربية. وكما اشرنا سابقاً فقد أكّدت هذه الصحف ان هدف العرب في حرب تشرين الاول / اكتوبر، كان محدوداً، ان لم يكن من الناحية الاستراتيجية فعلى الاقل من الناحية التكتيكية، لاسترجاع الاراضي التي احتلتها اسرائيل في حرب عام ١٩٦٧. لقد شرحنا اسباب هذا التغيير في بداية الفصل الثالث. وقد سقط عنصران من عناصر الصور المقولبة عن العرب على الاقل في الصحافة الالمانية ضمن الفترة الزمنية التي عُنينا بدراستها. ولم تعد تلك العناصر الكتابية ثانية حسب معرفتنا ضمن الفترة التي راقبناها بعد انتهاء الحرب(*). إن هذين العنصرين يشكلان الصورة المقولبة «للمعتدي» و«لتدمير دولة اسرائيل» او «القاء اليهود في البحر».

إن التغيير في الصورة المقولبة في الصحافة الالمانية الاتحادية نتيجة لاندلاع الحرب وللانجازات العسكرية الاولية للقوات العربية تفسره الاسباب الآتية، وهي الاسباب نفسها التي تفسر المفاجأة، لا بل الاعجاب باندلاع الحرب والنجاحات العربية الاولية. وهذه الاسباب هي:

أ ـ الحسابات العربية، فقد عبرت الصحف قيد البحث ان العرب اختاروا توقيت بدء المعارك اختياراً جيداً على الصعيد العسكري والصعيد الديبلوماسي الدولي.

ب ـ النجاح في كتمان السر: وما فاجا صحافة المانيا الاتحادية هو مقدرة الدول العربية المشاركة في الحرب كتمان موعد اندلاع الحرب. وقد وصفت هذه المقدرة بأنها مثيرة

(*) اي حتى نهاية عام ١٩٧٥.

«للدهشة» و «الغرابة» خاصة بالنسبة للرأي السائد عن العرب لدى الرأي العام الغربي. وبالرغم من ان دراسة الكاتبة الانكليزية اليزابيت مونرو (Elisabeth Monroe) لم تكن جزءاً من هذا البحث، الا اننا نورد قولها هنا حول «ثرثرة» العرب لأنه يعكس الصورة المقولبة عن العرب لدى الرأي العام الغربي. تقول الكاتبة «بالرغم من هذه الدرجة من المخادعة والتمويه، فإن الحفاظ على سر اليوم المحدد لبدء الهجوم(**) عمل بطولي رائع لشعب ثرثار»(١). هكذا نرى ان عنصراً جديداً دخل على الصورة العربية وكان هذا وقفاً على الاسرائيليين وحدهم حيث ان الحفاظ على السر وكتمانه من الخصائص التي خصت صحافة المانيا الاتحادية (وأجهزة الاعلام الغربية الاخرى) اسرائيل بها.

ج ـ يرتبط هذا السبب ارتباطاً وثيقاً مع السببين السابقين: وهما فعالية التنسيق بين الاقطار العربية المشاركة في الحرب (مصر وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية) من جهة وبين هذه الاقطار والاقطار العربية الاخرى من جهة ثانية. وهي ميزة ادهشت صحافة المانيا الاتحادية لأنها كما قالت لم تكن قد تعودت على ان يظهر العرب بمثل هذه الفعالية. إنها الخاصية التي «لا تتفق مع الصورة» وكما تصورتها عن العرب. وقد استمر هذا التنسيق الفعال خلال الحرب وبعد انتهائها.

د ـ وبالمقارنة مع الدعاية العربية خلال سنوات الخمسينات والستينات والتي حفلت «بالتهديدات الطنانة من الحكومات العربية» ضد اسرائيل، لهذا فقد وصفت صحافة المانيا الاتحادية الدعاية العربية بأنها اكثر دقة وعقلانية مما كانت عليه قبل الحرب. وقد شكك الصحافيون في بعض الحالات بصحة المعلومات والدعاية الاسرائيلية، كما اشرنا في حينه، وتحدث الصحفيون عن فرض الرقابة عليهم وعلى مراسلاتهم.

هـ ـ اعترفت هذه الصحافة، شأنها شأن صحافة الغرب، بأن الجندي العربي ـ الذي أشيع عنه خلال حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧ وبعدها بأنه يفرّ هارباً امام الجندي الاسرائيلي ـ قاتل بثبات في حرب تشرين الاول / اكتوبر. وقد فاجأت الروح القتالية والصمود التي اظهرتها القوات العربية جميعَ المراقبين واضطروا الى القول بأن العرب حاربوا هذه المرة «كالرجال» وبشكل «منظم».

وكانت هذه الميزات في الصحافة قبل حرب تشرين الاول / اكتوبر محصورة

(**) الاصطلاح المستعمل هو (D-Day)

(١) Elisabeth Monroe and A. H. Farrar-Hockley, *The Arab - Israel War, October 1973: Background and Events*, Adelphi Papers, 111 (London: International Institute for Strategic Studies, 1973), p. 6.

بالاسرائيليين فقط. وقد أدّى التسليح الجيد والتدريب الافضل للقوات العربية الى نتائج ايجابية بالنسبة الى الصورة التي كانوا عليها. أما الصحافة الالمانية الاتحادية فقد اخذت هذا التغيير في الميزان العسكري بين العرب واسرائيل بعين الاعتبار وأضفت الصفات التي كانت تضفيها على الاسرائيليين في السابق، على الجنود العرب.

لقد ترك الاعتراف بالروح القتالية وبصمود القوات العربية تأثيراً ملحوظاً على مراسلي وصحفيي اجهزة الاعلام موضوع الدراسة، وكانت الانجازات العسكرية التي حققتها القوات العربية في عبور قناة السويس واجتياح خط بارليف على الجبهة المصرية واسترجاع هضبة الجولان المحتلة على الجبهة السورية، الصور المشرقة المعبرة عن الروح القتالية وصمود القوات العربية، وقد تركت هذه التطورات بصماتها على ما تناولته صحافة المانيا الاتحادية موضوع الدرس.

كما كان لسير العمليات العسكرية على قناة السويس وعلى مرتفعات الجولان صورة اخرى عن القوات العربية بالمقارنة مع صورتها المقولبة قبل عام ١٩٦٧. وقد أكّد عبور الجيش المصري لقناة السويس واحتلاله خط بارليف للصحفيين وللمراسلين الالمان الغربيين بأن تطوراً كبيراً طرأ على الجيش المصري منذ هزيمته عام ١٩٦٧. ودلّت عمليات الجيش المصري على ان «تنظيمًا كبيراً، وكفاءة عالية ومبادرة فورية تجلت بعد بدء القتال وعبر تخطيط محكم ودقيق». ورأى هؤلاء الصحفيون كيف كان الجيش المصري يتعلم «دروس الحرب المدرعة». وقد حدث تغيير مماثل على الجبهة السورية وكان في نظرهم اكثر مبادرة وخفة في القتال، اما الجيش الاسرائيلي فقد كان يقاتل بشكل مرير في كل متر من الارض. ومع هذا فقد رافقت هذا التغيير في صورة الجيوش العربية محاولة بعض الصحفيين للانتقاص من هذه الانجازات، واعتبر بعضهم عبور قناة السويس انجازاً غير كبير لأن الروس قد جربوا هذا التكتيك العسكري وتدربوا عليه في الحرب العالمية الثانية، وادّعوْا بأنّ المصريين لم يحتلوا سوى الخط (اي خط بارليف) ولم يكن آنذاك «مدعماً بالرجال»، كما حاولوا الانتقاص بشكل مماثل من انجازات السوريين. ويبدو ان هؤلاء الصحفيين والمراسلين شعروا بصعوبة الاعتراف بالأزمة الخطيرة التي وقعت فيها القوات الاسرائيلية التي كانت تُعرف «بالقوات المنتصرة دائماً وأبداً».

لقد كان للنجاحات العسكرية الاولية التي حققتها القوات العربية تأثيرها السلبي على تقويم اسرائيل، حتى وإن كان لفترة قصيرة من الوقت. وبالرغم من عدم وضع اسرائيل في اطار الصورة السلبية في الصحافة الالمانية إلّا ان بعض الصور المقولبة المعهودة عن الجيش الاسرائيلي طرحت للتساؤل. إذ ان الجيش الاسرائيلي «المنتصر» والقوات الجوية الاسرائيلية «الضاربة» والاستخبارات الاسرائيلية «الفعالة» إحدى «افضل استخبارات

العالم» لم تقم بواجبها كما كان متوقعاً ولم تحقق بالتالي ما يُتوخى منها من انجازات. وتساءل الكثير من الصحفيين عن اسباب تقصير الجيش الاسرائيلي والاستخبارات الاسرائيلية، كما تساءل فاينشتاين في جريدة (فرانكفورتر الجماينة تسايتونغ) فيما اذا كان هناك جيل جديد في اسرائيل غير ذلك الجيل الذي خاض حروب ١٩٤٨و ١٩٥٦ و ١٩٦٧.

إن وضع الصور المقولبة المعروفة عن العرب موضع التساؤل وتأثيرها على تقويم اسرائيل في الصحافة الألمانية تشكل المرحلة الاولى لما بين ايدينا من تحليل. إن معنى هذه المرحلة وأهميتها يمكن معرفتها بالمقارنة مع الصورة المقولبة عن العرب نتيجة للهزيمة في حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧. إن هذه الصورة المقولبة عن العرب في معظم الصحافة العالمية، بما فيها صحافة ألمانيا الاتحادية، مقرونة بما خلّفتها الهزيمة على الانسان العربي من تأثيرات نفسية، تركت تأثيراً كبيراً على تدارك جزء واسع من الرأي العام العربي نفسه.

يستشهد كارل بوخالا مراسل جريدة (زود دويتشه تسايتونغ) في العدد الصادر في ٥ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٣ بحديث لضابط مصري كبير ادلى به لدى استقباله المراسلين الاجانب على ارض سيناء المحررة. وهو يعكس بصدق مدى التغيير على التقويم الذاتي للعرب بالمقارنة مع الاسرائيليين قبل عام ١٩٦٧ وبعد حرب تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣. يقول بوخالا « إن الفريق يرى في النجاح - مثل اي شخص آخر في مصر - اعادة كسب الثقة بالنفس والمعنويات القتالية للقوات». ويتابعُ الفريق حديثه قائلاً: «بعد حرب ١٩٦٧ قال العالم كله ان «المصريين لا يستطيعون ولا يريدون القتال» وكان عاراً كبيراً حتى اننا لم نستطع تحمله اطلاقاً. أما الآن فقد رأى العالم اننا نستطيع ان نخوض القتال، وعلى اتم الاستعداد ان نستشهد». وعلق الرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين الاهمية الكبرى لحرب تشرين الاول / اكتوبر، لا على «النصر» ضد اسرائيل، بل على التغلب على الخوف الذي تملّك العرب بعد هزيمة ١٩٦٧. وحدد الرئيس الجزائري التأثيرات التي تركتها حرب تشرين الاول / اكتوبر في كلمة ألقاها امام مؤتمر الاتحاد العام لطلاب فلسطين الذي انعقد في مدينة الجزائر في آب / اغسطس ١٩٧٤ قائلاً: «.. كانت نتائج الحرب الاخيرة ليس الانتصار على «اسرائيل» بل الانتصار على الخوف الذي كان سياجاً مضروباً حولها. لقد انتصر العرب على شبح الخوف، ولم تعد طائرات الفانتوم تخيفنا، وهذا يعني ان الجندي العربي عندما تتوفر له بعض الشروط او شروط العمل، قادر على تحقيق الكثير من النتائج....»[٢].

وقد توصل معظم الصحفيين الالمان الغربيين الى تحليلات ونتائج مشابهة. فقالت

---

(٢) خطاب الرئيس الجزائري في: فلسطين الثورة، عدد ١٠٧ (٢٨ آب / اغسطس ١٩٧٤)، ص ٢٢-٢٣.

جريدة «دي تسايت»: لقد اثبت العرب بأنهم «انداد» (للاسرائيليين) في استعمال السلاح وقال مونشهوزن: إن العرب تغلبوا على «كابوس» هزيمة ١٩٦٧ من خلال النجاحات الاولية التي حققوها.

وقد تساوق ظهور المرحلة الثانية من الصورة العربية في الصحف الالمانية الغربية موضوع البحث مع سير العمليات العسكرية خلال الحرب. فقد عادت الصحافة الالمانية الاتحادية مع بداية هجوم القوات الاسرائيلية في منتصف شهر تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ على الضفة الغربية لقناة السويس ومع تطور الهجوم الاسرائيلي على الجبهة السورية الى الصور المقولبة القديمة للصورة العربية. وقد اعتبر الصحفيون الهجوم الاسرائيلي على الجبهة المصرية برهاناً على ان الجيش الاسرائيلي بعد ان مُني بالانتكاسات الاولية، عاد للعمل «تارة اخرى ضمن روحه المعهودة». ونعتت هجوم الجيش الاسرائيلي «بالانجاز الضخم» و«الانقلاب العبقري». واعتبر توسعه على الارض المصرية توسعاً على الارض الافريقية. ولم تتوانَ بعض التناولات الصحفية عن سرد التبريرات الدينية ـ الايديولوجية لتفسير احتلالها. تلك التبريرات المتطابقة نسبياً مع ما قدمه بعض الصحفيين من تبرير للهجوم الاسرائيلي على دمشق واحتلالها «المرتقب» من الجيش الاسرائيلي. ويعبر مقال بيتر رسن في صحيفة «دي فلت» بعنوان «دمشق متأهبة للاحتلال» افضل تعبير عن هذه المحاولات التبريرية. إن المميزات والنعوت والصور المزجاة على القوات الاسرائيلية بعد بدء الهجومين على الجبهة المصرية والسورية تذكرنا بصورة كبيرة على ما اطلق على هذه القوات من نعوت مضخمة في حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧. إن رحلة كارل الفرد اودين ـ المشار اليها في هذا البحث ـ الى سيناء تدل دلالة واضحة على ما اطلق على الجندي الاسرائيلي من تمجيد وتعظيم. وأخيراً فإن ما جاء في هذا البحث حول صورة القوات العربية في الصحف المذكورة لا يتفق مع تلك الصورة التي بدأت تظهر قبل بدء الهجومين الاسرائيليين في سيناء والجولان. وقد عادت الصحف الى نعت القوات العربية «بالذهول والاضطراب والضياع».

إن الاتصالات بين الدولتين العظميين، الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي، والتي انتهت بوقف اطلاق النار في ٢٤ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ بين الدول المشاركة في الحرب، مصر وسوريا واسرائيل، كانت مناسبة لهذه الصحافة لتأكيد صحة النتائج التي توصلت اليها، أي عظمة الجيش الاسرائيلي، واضطراب الجيوش العربية. وبالرغم من انها استقبلت وقف القتال برضى ملحوظ الا انها اعتبرت وقف اطلاق النار مؤامرة ضد اسرائيل. فقد حرمت من تحقيق النصر من جهة «وانقذت» الدول العربية من هزيمة نكراء من جهة ثانية.

ونتيجة للهجوم الاسرائيلي، وموافقة الدول المتحاربة على وقف اطلاق النار

اصبحت الصورة العربية في الصحافة الالمانية الغربية ـ على الاقل على المستوى العسكري ـ في مستوى مشابه ـ ان لم يكن في المستوى نفسه ـ مع تلك الصورة العربية قبل اندلاع حرب تشرين الاول / اكتوبر. وهذا امر مهم فـي نظرنـا خاصة واننـا سنتطرق الى ما تناولته صحافة المانيا الاتحادية عن القادة السياسيين في مصر وسوريا والاردن، والعربية السعودية. وبالرغم مما ذكرناه حول عودة الصحافة الالمانية الاتحادية الى الصور المقولبة القديمة، فانها كانت ايجابية نسبياً.

«ويظل هناك امران يحتاجان الى توضيح فيما يتعلق بالعودة الى الصور المقولبة القديمة. الامر الاول يتعلق «بالفضائل غير العربية»، والثاني «بالعرب والانسانية». وكما اشرنا سابقاً فقد ادت النجاحات الاولية للجيوش العربية الى مفاجأة الصحفيين والمراسلين، والى وضع الصور المقولبة المعهودة عن العرب موضع التساؤل. وقد طبعت هذه المفاجأة تحليل ما ورد عن المرحلة الاولى من تناولات صحفية. كما ورد في هذه الصحافة ما يفسر النجاحات الاولية للجيوش العربية ـ من وجهة نظرها ـ بأنه نتيجة من نتائج الفضائل غير العربية اي ـ «العقلانية المخططة، والنظام، والواقعية».

وتطرق صحفيون آخرون الى اسباب اكثر جدية من هذا السبب الغوغائي. فقد ركّزوا على استعداد الدول العربية لفترة بعد حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧، لتحديث جيوشها وتزويدها بالتقنية الحديثة وبالاسلحة الجديدة. وقد حصلت في هذا المجال على مساعدات جمة من الاتحاد السوفياتي. وكان اتقان استعمال السلاح ومعرفة التقنية السوفياتية بنجاح مثيراً لدهشة الصحفيين الذين عادوا الى الادعاء بأن الجيوش العربية لولا الاسلحة السوفياتية والاستراتيجية والتكتيك السوفياتي لربما اخفقت في تحقيق النجاحات الاولية التي حققتها، ورأى صحفيون آخرون في النجاح العربي نجاحاً للسلاح السوفياتي الذي كان متوفراً بكميات كبيرة.

وبشكل عام فقد تساوقت صـورة الجندي العربي الذي رسمها هؤلاء الصحافيون مع تلك الصورة التي تحددت في المرحلة الاولى: من ان الجندي العربي برهن على قدرته في استخدام السلاح الحديث. ومرد ذلك الى التعبئة الحديثة والتدريب الجيد للجندي العربي، وبذلك اصبح من الممكن مقارنة الصورة العربية في هذا الموضوع مع الصورة التي رسمت لهم من خلال حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧. وقد اتفق الصحفيون خلافاً لعام ١٩٦٧ بأن معظم جنود الجيشين المصري والسوري ليسوا من «الفلاحين»، وانما هم من الطلاب الذين يتمتعون بحيوية الحركة والموهوبين تقنياً وعلى معرفة بكيفية صيانة الصواريخ الحديثة واجهزة الرادار والاجهزة الالكترونية والآلات الاخرى واستخدامها، ويتمتعون بروح العمل الجماعي والنظام والاستعداد للقتال.

وهذه هي عناصر جديدة من الصفات التي اضيفت الى الصورة العربية في صحافة ألمانيا الاتحادية بعد ان حرم العرب في صورتهم المقولبة قبل حرب ١٩٧٣ من امكاناتهم وقدراتهم وأنكر عليهم معرفة التعامل مع التقنية الحديثة. ومما الصق بالعرب من الصور المقولبة القديمة حتى في حرب ١٩٧٣ تلك الصور السلبية المتعلقة بتبادل اسرى الحرب. وقد اعتبرت صحافة المانيا الاتحادية ان المعيار لانسانية الجانب العربي او عدم انسانيته، وخاصة مصر وسوريا، يقوم على اساس تبادل اسرى الحرب الاسرائيليين. وأعربت عن خشيتها من اقدام العرب على استخدام «الضغط السياسي» او «الصفقة التبادلية» مع اسرائيل في مسألة تبادل اسرى الحرب. وأجمعت هذه الصحف على ان اسرائيل تعتبر الافراج عن الاسرى «المسألة الاولى» المطروحة على بساط البحث. ولا يمكن ان يفوت القارىء ما تهدف اليه الصحافة الالمانية من التشديد على «قلقها» على الاسرى الاسرائيليين، مما يكشف تحيّزها في هذا الصدد واصطفافها مع اسرائيل. وفي تقرير لصحيفة «دي فلت» حول احد الجنود الاسرى على الجبهة السورية ـ مثلاً ـ تقول وبعنوان كبير: بأنه «قُتل لأنه كان يسير ببطء الى الأسر». ويمكن ان يجد القارىء عدة تقارير مشابهة في صحف هي موضوع بحثنا هذا. إن التهويل حول مصير الاسرى الاسرائيليين امر واضح ومقصود. وفي الوقت الذي تطالب فيه الصحافة الالمانية الاتحادية الجانب العربي بما يخفيه حول مصير الاسرى الاسرائيليين فإننا لم نقرأ اي مقال في الفترة نفسها، يعالج مشاكل الاسرى العرب او يتطرق الى مصير الاسرى الفلسطينيين، في السجون الاسرائيلية. وهذا ما يؤكد الصورة العربية المقولبة القديمة في المقالات الصحفية الالمانية الاتحادية التي لم تكن يوماً في صالح الجانب العربي. وقد رأينا كيف أُلقي سبب تأخير تبادل الاسرى على عاتق الجانب العربي. إن انتقاء المعلومات وتوزيعها حول هذه المواضيع في صحافة المانيا الاتحادية وُظف ـ كما بدا لنا ـ في خدمة الصورة المقولبة عن العرب.

إن ما يجب ان نفرق فيه هو ما تبرزه الصحف من معانٍ ذات فروق دقيقة (nuances) في ترتيب القادة السياسيين العرب بين محافظين ومتطرفين اي راديكاليين. وفي الوقت الذي نرى فيه الصحافة الالمانية الاتحادية تجري مقارنة بين العرب والاسرائيليين مستندة بذلك على انجازات الطرفين العسكرية في الحروب السابقة، نراها هنا تمسك بعداً جديداً في الصورة العربية هو التفريق ما بين «العربي المتطرف» و«العربي المحافظ الواقعي». اي انها تضع قطباً سلبياً مقابل قطب ايجابي. وهي تضع «الديكتاتور» عبد الناصر او القذافي قبالة «الليبرالي الواقعي» السادات. كما تقارن الرئيس حافظ الاسد «البعثي المعتدل»«باليسار الدغماتي» وتقارن الملك فيصل «حامي التراث» بالنظام في اليمن الجنوبي الذي تطلق عليه «النظام الماركسي». وبالملك حسين «هذا الملك الشجاع» الذي يواجه الفلسطينيين.

إن هذا التباين بين القادة «المتطرفين» و«المحافظين الواقعيين» حسب تصنيف

الصحافة الألمانية الاتحادية اعتمد على تقويمها لأدوارهم في السياسة الداخلية والخارجية. وان أية محاولة يبديها او يقوم بها القادة «المحافظون الواقعيون» للتحول من النظام الاشتراكي في البناء الاقتصادي او تحرير الاقتصاد من القيود، خاصة في مصر وسوريا، يحظى بتأييد الصحفيين او المراسلين وثناء جرائدهم كما ـ اشرنا الى ذلك في دراستنا هذه آنفاً. لذا فإن الصحافة قوّمت تقويماً ايجابياً سياسة السادات والأسد فيما يتعلق بانتهاج حل سلمي لمشكلة الشرق الأوسط. ووصفت قرار عدم مشاركة الملك حسين في الحرب ضد اسرائيل بالحكمة مذكرة بما مر به الاردن في حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧ من تجربة مريرة. ويلقى السادات الذي ابتعد عن «القومية العربية العدائية» التي كان ينتهجها الرئيس عبد الناصر كما يلقى الملك فيصل، ذلك «المسلم المتشدد والمحافظ»، تجاوباً ايجابياً من قبل صحافة المانيا الاتحادية، وقد نظر اليهما كشريكين للغرب الذي يجب ان يكون مستعداً دوماً لمساعدتهما في تحقيق ما يخططان من البرامج السياسية والاجتماعية.

تلكم هي العناصر الجديدة في الصورة العربية كما برزت في صحافة ألمانيا الاتحادية عن القادة العرب. وبالرغم من ان هذه الصحافة اعترفت بأن العرب يشكلون جبهة مشتركة في النضال ضد اسرائيل، إلا أن ما كتبه الصحفيون والمراسلون حول المعطيات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المختلفة تظهر ايضاً بأن العرب لا يشكلون جبهة مشتركة، وإنما على العكس، فإن ما تلقته اسرائيل من دعم من العالم الخارجي كان اكبر حجماً من الدعم الذي قدمته البلدان العربية بعضها لبعض. ومع ان هذا الامر ليس بالجديد في معالجة القضايا العربية، فقد استغلته الصحافة الألمانية الاتحادية لإبراز الصورة القديمة عن إسرائيل: «البلد الصغير الشجاع»، المحارب من أجل وجوده المهدد من الجانب العربي المتفوق عليه عدداً. تلك هي احدى الصور المقولبة القديمة المتواجدة قبل حرب ١٩٧٣ وبعدها ولم يطرأ عليها اي تغيير. ومما تجدر الاشارة اليه ان هذه العناصر المتناقضة ـ السياسة الواقعية للبلدان العربية المشتركة بالحرب وتهديدها للوجود الاسرائيلي ـ تكرر ذكرها في وسائل الاعلام الألمانية والغربية من: تلفزيون وراديو وصحف ومجلات خلال فترة اعداد هذا البحث.

وقد ورد في الفصل الاول من هذه الدراسة بأن اصحاب مدرسة تحليل المضمون النوعي يقدمون نقداً مهماً ضد اصحاب مدرسة تحليل المضمون الكمّي، مشيرين الى عدم اهمية تكرار بعض المصطلحات المعينة او الكلمات او الرموز او الوحدات اللفظية، وانما المهم هو عدم تكرار مثل هذه المصطلحات او الوحدات اللفظية او ظهورها لمرة واحدة. ويقولون ايضاً ان تحليل المضمون يجب ان يأخذ بعين الاعتبار الاطار الاجتماعي للمواضيع المطروحة للبحث والدراسة. واذا ما تابعنا معالجة القضية الفلسطينية في الصحف ـ مدار

البحث ـ فاننا سنتأكد من صحة نقد مدرسة التحليل النوعي للمدرسة الكمّية.

إن القضية الفلسطينية وهي القضية المركزية في نزاع الشرق الاوسط وجوهره لم تلق الاهتمام اللازم من الصحفيين والمراسلين والصحف بشكل عام خلال الفترة الزمنية ـ مدار البحث ـ والفترة التي تلتها. وقد كان جلّ اهتمامهم وبشكل مكثف وملحوظ بالقضايا الاخرى مثل مسألة تبادل الأسرى والعمليات العسكرية وغيرها من المسائل التي وردت في هذا البحث. ان كون هذه المسائل هو الموضوع الراهن الآني لا يبرر النقص في النظرة التحليلية في هذه الصحافة حول القضية الفلسطينية. اما المقالات التي «عالجت» ظهور القضية الفلسطينية وتطورها فقد لوحظ ان تأكيدها كان على المواضيع التي لم تكن من المسائل الجوهرية للقضية، وقد تم اخفاء الحقائق المعروفة عن القضية الفلسطينية، رغم انها في متناول جميع الصحفيين.

إن مقاومة الشعب الفلسطيني للاحتلال الاسرائيلي لم يحظ بتأييد هذه الصحافة وقد وصمت الفدائيين الفلسطينيين الذين يقعون في الاسر الاسرائيلي «بالارهابيين» ووصمت كذلك عمليات المقاومة «بالاعتداء والتهديد بالقتل». وهذا يدل بأن هذه الصحافة قد قفزت بالفعل عن الموضوع الاساسي وهو ان النزاع في الشرق الاوسط نزاع من اجل فلسطين، بين ادعاء الصهاينة وبالتالي الاسرائيليين بها، ومطالبة الفلسطينيين بأرضهم، ونضالهم لاسترجاعها. ومن هنا يكون «منطقياً» ان تصف هذه الصحافة الفلسطينيين بالإرهاب، لأنها لم تعترف اصلاً بمطالبهم او بشرعية نضالهم. وقد بلغ الامر بصحيفة «دي فلت» ان تنتهج اسلوباً تحقيرياً في وصف الفدائيين الفلسطينيين «بالتلاميذ النموذجيين للإرهاب». اما الصحف الاخرى فإنها لا تتورع ان تصفهم في احسن الاحوال «بالمشاغبين». وفي غمرة هذه النعوت والاوصاف تحاول الصحف الالمانية الاتحادية «سحب» الشرعية من تحت اقدام المقاومة الفلسطينية. إن القارىء ليفتقد خلال المقالات الكثيرة ـ المتخصصة في الصحافة الالمانية الاتحادية للإعلان عن قلقها حول مصير الأسرى الاسرائيليين وأوضاعهم في الاسر العربي ـ الى مقال واحد او حتى الى المعلومات الاولية حول معاملة المعتقلين الفلسطينيين وأوضاعهم في السجون الاسرائيلية. علماً ان جميع هذه المعلومات متوفرة من خلال التقارير الدورية التي تصدرها اللجنة الدولية لتقصّي الممارسات الاسرائيلية في الاراضي الفلسطينية المحتلة، إلّا ان تقارير اللجنة الدولية وغيرها من اللجان التي تقصّت الحقائق في الاراضي المحتلة لم تترك أيّ صدىً في الصحافة الالمانية الاتحادية التي دأبت جاهدة على اخفائها. ومن نافلة القول إننا لم نجد أثراً للقضية الفلسطينية وموضوعها الأساسي وهو طرد الشعب الفلسطيني من موطنه واقامة دولة غريبة على ارضه في كل ما تطرقت اليه صحافة ألمانيا الاتحادية من المقالات او التعليقات خلال مرحلة هذه الدراسة. لقد كان جوهر القضية الفلسطينية، وما زال حتى يومنا هذا، في

الصحافة الالمانية مجرد نزاع على الحدود بين اسرائيل والدول العربية[٣]. حتى لو ان الدول العربية اعترفت بدولة اسرائيل ضمن حدودها قبل يوم ٤ حزيران / يونيو ١٩٦٧ (اي قبل اندلاع الحرب) مقرونةً بتعديلات بسيطة على الحدود لصالح اسرائيل، فإن القضية الفلسطينية لن تجد طريقها الى الحل او حتى الاقتراب منه.

إن القضية الفلسطينية هي قضية شعب طرد من ارضه وسيظل يكافح ويناضل لاسترجاع حقوقه الوطنية الثابتة والمشروعة.

إن معرفة اللغة في البلد الذي يقيم فيه المرء، كما اشرنا سابقاً، ليست شرطاً حتمياً للتحليل الموضوعي، رغم اهميتها وضرورة الطموح لمعرفتها. اما الاختلاف في تحليل المواضيع الجزئية فإنه نتيجة للمؤهلات المختلفة للصحافيين. ولكننا نستطيع ان نقول نتيجة للدراسة ـ موضوع البحث ـ وبالرغم من هذه الاختلافات، بالإمكان ملاحظة ما طرأ من تغيير على الصورة العربية في جميع معالجات الصحف الالمانية الاتحادية. وبالمقارنة مع الفترة التي سبقت حرب ١٩٧٣ نستطيع ان نقول ايضاً ان هناك ميلاً الى تحقيق اكبر قدر من الموضوعية والى نهج صحفي أعمق في معظم تلك الصحف. خاصة في المواضيع التي لا تتعلق بالقضية الفلسطينية.

ولنا أن نجيب بوضوح عن السؤال الذي يطرح نفسه حول اسباب هذا التغيير الذي طرأ على الصورة العربية بعد حرب تشرين الاول / اكتوبر. فلقد كررت الصحف الالمانية الاتحادية ـ كما مر بنا في هذه الدراسة، من ما نشرته حول الانتصارات العربية العسكرية التي حققها العرب خلال المعارك المختلفة في هذه الحرب وبشكل كبير ـ الصور المقلوبة التي وصفت بها النجاحات الاسرائيلية في حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧. وهنا يكمن سر التغيير الطارىء على الصورة العربية بشكل واضح. وإذا كان تحليلنا صحيحاً فإن الصحف الألمانية قد اتخذت من الكفاءة والميزات العسكرية أساساً لتحليلها وتقويمها للعرب الذين استطاعوا بين ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣، ومن خلال الدعم السوفياتي والاسلحة السوفياتية الحديثة، والتدريب المكثف، ورفع مستوى المجندين العلمي، ان يشنّوا حرباً ناجحة ضد اسرائيل. لذا فقد قوّمت الصحافة الالمانية الغربية هذا النجاح واعتبرته قدرة من قدرات العرب «على التعلم». وهذا يعني بأن ما اعتبرته الصحافة فشلاً للعرب خلال حرب ١٩٦٧ كان نتيجة لفقدانهم تلك المؤهلات ـ أي معرفة التعامل مع الأسلحة المعقدة وعدم توفر

---

(٣) لا يقتصر هذا التحليل على الصحافة في المانيا الاتحادية فحسب، وانما على الصحافة الغربية ومواقف الحكومات الغربية ايضاً. إن جميع «الحلول» التي وضعتها الادارات الامريكية تنطلق من هذا الاساس وتتبناها الكتابات المعروفة بالعلمية الرزينة، انظر مثلاً: Lawrence L. Whetten, *The Canal War: Four Power Conflict in the Middle East* (Cambridge, Mass. and London: MIT Press, 1974).

التقنيين والجنود والطيارين المؤهلين، وبذلك فقد توصلت بأن العرب لم يكن لديهم اي امل في تحقيق النصر العسكري. لقد كشف سير العمليات في حرب الشرق الاوسط الرابعة عن حقائق «موضوعية» قادت الى التغيير في الصورة العربية على صفحات الصحافة الالمانية. وبما أن الاقطار العربية المشاركة في حرب ١٩٧٣ حققت نتائج ايجابية، على العكس من حرب ١٩٦٧، فإنّ الصحافة لم تستطع ان تستمر في استخدام الصفات السلبية نفسها التي دأبت عليها في حرب ١٩٦٧ لترسم الصورة العربية القديمة، خاصة وأن هذه النتيجة الايجابية كانت واضحة بيّنة في المعارك العسكرية لم يستطع احد نكرانها او اخفاءها مما اضطرها ان تسبغ على العرب الصفات نفسها التي اسبغتها على اسرائيل في كل انتصار من انتصاراتها العسكرية على العرب. واذا ما تركنا الكتابة الصحفية عن سير العمليات جانباً، فإن تصعيد النضال الفلسطيني وفرض حظر النفط في تلك الفترة كان لهما اثرهما في منح حيّز اكبر في الصحافة الالمانية لهذه القضايا اكثر مما كانت عليه من قبل. وقد شقّت الاخبار والتعليقات والافتتاحيات حول القضايا العربية طريقها إلى الصفحة الاولى في الصحف الالمانية الاتحادية، ليس بسبب المعارك وأزمة النفط فحسب، وانما بسبب الثقة المتزايدة لدى الاقطار العربية التي قادتهم الى النصر في الحرب. وقد ساعد حظر النفط وزيادة اسعاره وما درّ من ارصدة مالية كبرى على الاقطار العربية النفطية في ترسيخ الموقف العربي وتوطيده، وبالتالي فقد انعكس اثره على اهتمام الصحافة الألمانية بمنح القضايا العربية موقعاً مهماً على صفحاتها الاولى.

لهذا كله حظي العرب بالاحترام في الصحافة الالمانية وتغيّرت الصورة واختلفت عن سابقاتها على صفحاتها. أما الفلسطينيون فقد ظلت معاملتهم في هذه الصحافة تختلف عن التعامل مع الاقطار العربية، فقد استمرت في معاملتهم ضمن سلبية مقاييس الارهاب والعنف دون ان تأخذ بعين الاعتبار ما تحتّمه عليهم ظروفهم السياسية ومشاكلهم الاخرى.

عندما نقول اليوم بأن تغيراً طرأ على الصورة العربية في الصحافة الالمانية الاتحادية برغم استمرار النزاع والتوتر والعدوان في الشرق الاوسط ضد الشعب الفلسطيني والامة العربية، فاننا نأمل في ضوء تنامي وازدياد قوة البلدان العربية العسكرية وفعاليتها السياسية والاقتصادية أن يقوم الصحافيون الالمان الغربيون (وغيرهم من الصحافيين) بما يحتمه عليهم الواجب من الاهتمام والاتقان والدقة في تناول المعلومات التي يتعاملون معها وبها، وان يقوموا بالانتقاء الايجابي المرفق بالتحليل الموضوعي. ودون تحقيق ذلك فاننا لا نعتقد بإمكانية قيام الصحافة بواجبها بصورة موضوعية، او مصداقية، لتأدية واجبها تجاه قرّائها وتقديم المعلومات الحقيقية اليهم دون اللجوء الى الاسهام في خلق الصور المقولبة والاحكام المسبقة. كما يحتم الواجب عليها ايضاً ليس تجنب المشاركة في خلق مثل هذه الصورة

فحسب وانما ايضاً الاسهام الفعّال في ازاحة واسقاط الصور المقولبة والاحكام المسبقة التي طالما دأبت على صنعها سنوات طوالاً . إننا على ثقة اكيدة أن الصحافة الالمانية الاتحادية اذا لعبت هذا الدور المهم فانها تكون قد عبدت الطريق امام تفاهم الماني عربي افضل ، لا يتم الارتقاء اليه الا باعتراف هذه الصحافة وباعتراف الحكومة الالمانية الاتحادية بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وبحقوق الشعب الفلسطيني الوطنية غير القابلة للتصرف ، بما فيها حقه في العودة وتقرير المصير واقامة دولته الفلسطينية المستقلة على تراب ارضه الوطني ، فلسطين .

المــراجـع

١ ـ العربيـــة

كتـب

بن فوراث، يشعياهـو [وآخـرون]. التقصير «المحدال». ترجمة مؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت: المؤسسة، ١٩٧٤.

مراد، عباس. الدور السياسي للجيش الاردني. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الابحاث، ١٩٧٣.

مسلم، سامي (جـامع). قرارات الامم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي ـ الاسرائيلي، ١٩٤٧ ـ ١٩٧٤. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٥. ٢١٠ ص.

مؤسسة الدراسات الفلسطينية. الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ١٩٦٩. بيروت: المؤسسة، ١٩٧٢.

هيكل، محمد حسنين. عبد الناصر والعالم. بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٧٢.

دوريـات

ابـو القـاسم، فاطمة. «الحرب الرابعة وجمهورية المانيا الاتحادية.» شؤون فلسطينية: العدد ٢٨، كانون الاول/ ديسمبر ١٩٧٣. ص ١٤٩ ـ ١٥٢.

الاخبار (القاهرة)، ٢٠/ ١١/ ١٩٧٣.

الاهرام (القاهرة): ٣١/ ٥/ ١٩٥٨.

ــــ ١٨/ ١١/ ١٩٧٣.

البلاغ (بيروت): العدد ١٣٣، ٢٩ تموز/ يوليو ١٩٧٤.

الثورة (بون): العدد ١، ١٩٧٤.

شيتيرن (Stern): ١٥/ ١٢/ ١٩٦٩.

عمد، عدنان. «اوروبا الغربية والقضية الفلسطينية، ١٩٦٥ - ١٩٧٠.» شؤون فلسطينية: العددان ٤١ - ٤٢، شباط/ فبراير ١٩٧٥. ص ٥٤٦ - ٥٥٦.

فلسطين الثورة (بيروت): العدد ١٠٧، ٢٨ آب/ اغسطس ١٩٧٤.

ـــ العدد ٩٧، ١٩ حزيران/ يونيو ١٩٧٤.

قاضي، ل. «الصحافة الاجنبية والقضية الفلسطينية.» شؤون فلسطينية: العدد ١٣، ايلول/ سبتمبر ١٩٧٢. ص ٩٥ - ١١٤.

منصور، ف. «المقاومة الفلسطينية في الصحافة البريطانية والالمانية (الغربية) والاميركية، ١٩٦٦ - ١٩٧١.» شؤون فلسطينية: العدد ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢. ص ٧٨ - ١٠٣.

٢ - الاجنبيــة

Books

Abdel-Hadi, Hakam [et al.]. *BRD, Israel und die Palästinenser: Fallstudie Zur Ausländerpolitik*. Köln: Pahl-Rugenstein Verlag, 1973.

Akten Zur Deutschen Auswärtigen Politik, 1918-1945. Baden-Baden: Imprimerie Nationale, 1950.

Albrecht, Ulrich und Birgit Sommer. *Deutsche Waffen Für die Dritte Welt: Militärhilfe und Entwicklungspolitik*. Reinbeck bei Hamburg: Rowohlt Taschenbuch Verlag, 1972.

Antonious, George. *The Arab Awakening: The Story of the Arab National Movement*. London: H. Hamilton, 1945.

Besson, Waldemar. *Die Aussenpolitik der Bundesrepublik: Erfahrungen und Massstäbe*. München: R. Piper and Co. Verlag, 1970.

Bodenheimer, Max Isidor. *So Wurde Israel*. Frankfurt/ Main: Europäische Verlag Anst., 1958.

Briscoe, Robert. *For the Life of Me*. Boston: Little, Brown, 1958.

Brokmeier, Peter. *Kapitalismus und Pressefreiheit am Beispiel Springer*. Frankfurt/ Main: Europäischer Verlagsanstalt, 1969.

Büttner, Friedemann (ed.). *Reform und Revolution in der Islamichen Welt*. München: List Verlag, 1971. (Taschenbücher der Wissenschaft, 1505)

Conze, Werner [et al.]. *Jakob Kaiser: Politiker Zwischen Ost und West, 1945-1949*. Stuttgart, 1969.

Deligdisch,Jekutiel. *Die Einstellung der Bundesrepublik Deutschland Zum Staate Israel*. Bonn-Bad Godesberg: Verlag Neue Gesellschaft, 1974.

Dexter, Lewis and David M. White (eds.). *People, Society and Mass Communication*. New York [N.Y.]: Free Press of Glencoe, 1964.

Die Auswartige Politik der Bundesrepublik. Köln, 1972.

Die Nationale Befreiungsbewegung 1965. Leipzig: Bilanz, Berichte, Chronik, 1966.

Earle, Edward Mead. *Turkey, The Great Powers and the Bagdad Railway: A Study in Imperialism*. New York: Macmillan, 1923.

End, Heinrich. *Zweimal deutsche Aussenpolitik: Internationale Dimensionen des inner-deutschen Konflikts, 1949-1972.* Köln: Verlag Wissenschaft und Politik, 1973.

Feilchenfeld, Werner [el al.]. *Haavara-Transufer nach Palästina und Einwanderung der deutschen Juden, 1933-1939.* Tübungen: J. C. B. Mohr, 1972.

Fischer, Fritz. *Griff nach der Weltmacht: Die Kriegszielpolitik des Kaiserlichen Deutschland, 1914-1918.* Düsseldorf: Droste, 1967.

Hartmann, Heinz. *Empirische Sozialforschung: Probleme und Entwicklungen.* München: Juventa Verlag, 1972.

Hartmann, Klaus Dieter (ed.). *Vorurteile, Ängste, Agreessionen.* Frankfurt/ Main: Europäsiche Verlagsanstalt, 1975.

Hecht, Ben. *Perfidy.* New York: Julien Messner, 1961.

Heikal, Mohammad H. *Das Kairo-Dossier: Aus des Geheimpapieren des Gamal Abdel Nasser.* Wien, München, Zürich: Molden, 1972.

Hektographierte Thesen zur Veranstaltung im Rahmen der "Woche der Brüderlichkeit". Marburg, 1972.

Hirszowicz, Lukusz. *The Third Reich and the Arab East.* Translated from Polish. London: Routledge and Kegan Paul, 1966.

Horkeimer, M. und Theodor Adorno. *Soziologica II.* Frankfurt/ Main: Reden und Vorträge, 1973.

IVW Auflagenliste Informationsgemeinschaft Zur Festellung des Verbreitung von Werbeträgern. Bonn-Bad Godesberg: IVW, 1972.

Kelman, Herbert (ed.). *International Behavior: A Social-Psychological Analysis.* New York [N.Y.], Holt: Rinehart and Winston, 1965.

Kimche, Jon and David Kimche. *The Secret Roads: The "illegal" Migration of a People, 1938-1948.* London: Secker and Warburg, 1954. 223 p.
Westport, Conn.: Hyperion, 1976. 223.p

Kochwasser, Friedrich Helmuth und Hans R. Roemer (eds.). *Araber und Deutsche: Begegnungen in einem Jahrtausend.* Tübungen / Basel: Horst Erdmann Verlag, 1974.

Konzelmann. Gerhard. *Die Araber und ihr Traum vom Grossarabischen Reich.* München: Verlag Kurt Desche, 1974.

— *Die Reichen aus dem Morgenland: Wirtschaftsmacht Arabien.* Müchen: Verlag Kurt Desche, 1975.

— *Die Schlacht um Israel: Der Krieg der Heiligen Tage.* München, Wien, Basel: Verlag Kurt Desche, 1974.

— *Suez: Der Kanal im Streit der Strategen, Diplomaten, Ingenieure.* München: Verlag Kurt Desche, 1975.

— *Vom Frieden redet Keiner: Zwischen der Fronten im Nahen Osten.* Stuttgart: Deutsche Verlagsanstalt, 1971.

Kreysler, Joachim und Klaus Jungfer (eds.). *Deutsche Israel-Politik: Entwicklung oder Politische Masche.* Dissen/ Ammersee: V. Tucher Verlag, 1965.

Kupper, Siegfried [et al.]. *Die Tätigkeit der DDR in der nichtkommunistischen Ländern: 6*

Arabische Staaten und Israel. Bonn: Forschungs-Institut der deutschen Gesellschaft für Ausswartige Politik, 1971.

Lewan, Kenneth Melvin. *Der Nahostkrieg in der westdeutschen Presse.* Köln: Pahl-Rugenstein Verlag, 1970.

Lothar, Ruehl. *Israels Letzter Krieg.* Hamburg: Hoffman und Campe Verlag, 1974.

Mentzel, Jörg Peter und Wolfgang Pfeiler. *Deutschlandbilder: Die Bundesrepublick Aus der Sicht der DDR und der Sowjetunion.* Düsseldorf: Droste, 1972.

Monroe, Elizabeth and A. H. Farrar-Hockley. *The Arab-Israel War, October 1973: Background and Events.* London: International Institute for Strategic Studies, 1974. (Adelphi Papers, 111)

Morsey, Rudolf und Konrad Repgen(eds.). *Adenauer Studien I.* Mainz, 1971.

Musallam, Sami (ed.). *United Nations Resolutions on Palestine, 1947-1972.* Beirut: Institute of Palestine Studies, 1973.

El-Nakhal, Ali. *Flugzeugentführungen in der öffentlichen Meinung: Die Tatsachen und die Berichterstattung in ausgewählten deutschen Presseorganen.* Berlin: unveröffentlichte Magisterarbeit an dem Institut für Publizistik der Freien Universitat, 1973.

Nerlich, Uwe (ed.). *Krieg und Frieden im industriellen Zeitalter.* Gütersloh: Bertelsmann Verlag, 1966.

Noelle, Elisabeth and Erich Peter Neumann (eds.). *Jahrbuch der öffentlichen Meinung, 1968-1973.* Allensbach, Bonn: Verlag für Demoskopie, 1974.

Quasthoff, Uta. *Soziales Vorurteil und Kommunikation, Eine Sprachwissenchaftliche Analyse des Stereotyps.* Frankfurt/ Main: Athenäum-Fischer-Taschenbuch-Verlag, 1973.

Rosenau, James (ed.). *International Politics and Foreign Policy: A Reader in Research and Theory.* New York: Free Press of Glencoe, 1961.

Schewe, Heinz. *Report aus Israel.* Korrespondent Zwischen Kolchos und Kibbuz. Frankfurt/ Main, Berlin/ Wein: Ulstein Verlag, 1970.

Schulz, Winfried (comp.) *Der Inhalt der Zeitungen.* Düsseldorf: Rheinische Druckerei und Verlagsgesellschaft, 1970.

Schweizer, C. C. und M. Nemitz. *Krisenherd Nahost.* Köln: Markus Verlag, 1973.

Seelbach, Jörg. *Die Aufnahme der diplomatischen Beziehungen Zu Israel als Problem der deutschen Politik seit, 1955.* Meisenheim a. Glan: Hain, 1970.

Thomson, David (ed.). *The Era of Violence, 1898-1945.* Cambridge: University Press, 1960.

Tibi, Bassam. *Nationalismus im der Dritten Welt am arabischen Beispiel.* Frankfurt/ Main: Europäische Verlagsanstalt, 1971.

Tillmann, Heinz. *Deutschlands Araberpolitik im Zweiten Weltkrieg.* Berlin: VEB Deutscher Verlag der Wissenschaft, 1965.

Vocke, Herald. *Das Schwert und die Sterne: Eine Ritt durch den Jemen.* Frankfurt/ Main, 1965.

Vogel, Rolf. *Deutschlands Weg Na Ch Israel: Eine Dokumentation.* Stuttgart: Seewald Verlag, 1967.

Wallenberg, H. (ed.). *A. Springer Von Berlin ausgesehen, Zeugnisse eines Engagierten Deutschen.* Stuttgart, 1971.

Welten, In Zwei. *Siegfried Moses Zum Fünfundsiebzigsten Geburstag.* Tel Aviv, 1969.

Whettan, Lawrence L. *The Canal War: Four Power Conflict in the Middle East.* Cambridge, Mass. and London: Massachusetts Institute of Technology Press, 1974.

Zeine, Zeine N. *Arab Turkish Relations and the Emergence of Arab Nationalism.* Beirut: Khayat, 1958.

Periodicals

Ben-Vered, Amos. "Israel und Deutschland Die Bedeutung der Aufnahme diplomatischer Beziehungen für den Jüdischen Staat." *Europa Archiv:* Folge 13, 1965.

"Stichwort: Sprache." *Bertelsmann-Lexikon* (Dusseldorf): vol. 6, 1974.

Bild-Zeitung: 9/ 10/ 1973.

Economic Review Jerusalem: vol. 10, no. 54, 12 September 1957.

Frankfurter Allgemeine Zeitung [FAZ]: 9 October-20 December 1973.

Free Palestine (London): November 1973.

Jacobsen, Hans Adolf. "Anmerkungen Zur Untersuchung internationaler Konflikte." *Beiträge Zur Konfliktforschung:* nos. 1 and 2, 1972.

Krakauer, Siegfried. "The Challange of Qualitative Content Analysis." *Public Opinion Quarterly:* vol. 16, p. 632.

Malone, Joseph T. "Germany and the Suez Crisis." *Middle East Journal:* vol. 20, no. 1, 1966. pp. 20-30.

Das Parlament: no. 45, 4 November 1972.

Polkehn, K. "Die Kollaboration der Zionisten mit dem deutschen kaiserreich und dem deutschen Faschismus." *Resistentia Schriffen* (Frankfurt): no. 12, 1971.

"Soziographie, "Stichwort Sprache"." *Rororo Lexicon* (Reinbeck bei Hamburg): vol. 6, p. 1946.

Said, Edward E. "Arabs and Jews." *Journal of Palestine Studies:* vol. 3, no. 2, Winter 1974.

Der Spiegal: no. 42, 15 October 1973 - no. 48, 26 November 1973.

— no. 50, 10 December 1973 - no. 52, 25 December 1973.

Süddeutsche Zeitung [SZ]: 8 October-23 November 1973.

Tribüne, Zeitschrift Zum Verstândnis des Judentums: vol. 11, no. 41, 1972, pp. 4457-4468.

Wagner, Wolfgang. "Der Rückschlag der Bonner Politik in den arabischen Staaten." *Europa Archiv:* Folge 10, 1965, p. 359 ff.

Die Welt (Hamburg): 29/ 5/ 1967.

— 10/ 6/ 1967.

— 8 October - 29 December 1973.

Welt am Sonntag, 7/ 10/ 1973.

— 14 / 10/ 1973.

Die Zeit: 12 October - 14 December 1973.

فهرس عام

(أ)

(ب)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(C)

(D)

(E)

(F)

(G)

(H)

(I)

(J)

(K)

(R)

(S)

(T)

(U)

(V)

(W)

(Z)

طبع بمطابع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الادارة

(رمزى السيد شعبان)

رقم الايداع ٣٤٧٠

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية -(نوبار) ٤٠٨٧٨ س٨٧-١٠١٠

مطبوعات

المجلس الأعلى للثقافة